

موارد الاعتبار في مقتل الامام الحسين عليه السلام

عصر المعارضة

القسم الثاني

تأليف
السيد محمد حسين الحسيني الجلاي

تحقيق
السيد محمد جواد الحسيني الجلاي

٧

(الجزء السابع)

هوية الكتاب

الكتاب: موارد الاعتبار

المؤلف: السيد محمد حسين الحسيني الجلاي

التحقيق: السيد محمد جواد الحسيني الجلاي

الكمية المطبوعة: ١٠٠٠ نسخة

صف الحروف والإخراج الفني: عرشيا - قم

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للمحقق

سلسلة اهل البيت

بوارد الاعتبار في سيرة النبي واله الاطهار الاجزاء

- ٥٣ قبل الهجرة- ١١ (عصر الرسالة الاسلامية) ٣-١
٥٩-١٢ للهجرة (عصر الخلافة بالشورى) ٥-٤
٦١-٦٠ للهجرة (عصر المعارضة للاستبداد) ٧-٦
٣٢٩-٦٢ للهجرة (عصر الامامة الروحية) ١٧-٨
٣٣٠ للهجرة النبوية (عصر المرجعية الدينية) ١٩-١٨
١٣٦٥ للهجرة النبوية (ميثاق الامم المتحدة) ٢٠



The Open School

P.O. BOX 53573

CHICAGO, IL 60653-0398

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ما أكثر العبر وأقل الاعتبار؟

الامام علي عليه السلام

نهج البلاغة

٣: ٣٩٧

شهادة الحسين (ع)

في تسلسلها التاريخي

من المنطلق حتى المقتل

المقدمة



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الطيبين الطاهرين آل الله وأصحابه ومن والاه إلى يوم لقاء الله.

وبعد، فإن مقتل الحسين يمثل نقطة سوداء في تاريخ الإسلام خلّفت أثراً عميقاً في الأمة الإسلامية على مختلف قومياتها ومذاهبها، ولا يمكن للباحث المنصف أن يغفل عن دراستها بروح موضوعية لمعرفة الحقيقة وآثارها في التاريخ والحضارة والأدب.

وهذه محاولة متواضعة لقراءة حركة الحسين من المنطلق في مدينة جده الرسول حتى مقتله في صحراء كربلاء، وذلك اعتماداً على كتاب تاريخ الطبري المعروف بعنوان «تاريخ الرسل والملوك»، تأليف محمد بن جرير الطبري (ت / ٣١٠ هـ)، المطبوع بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الطبعة الثانية - القاهرة - ١٩٦٨ م، على أمل أن نحصل على نصٍ أوثق.

وحيث أن رواية الأحداث تتداخل في روايات الطبري رأيت الانتقاء منها حسب تسلسل الأحداث مع المحافظة على ترتيب كتاب الطبري ما أمكن، وذلك بالإشارة في الهامش إلى مواضع التقديم والتأخير وإرجاء ما لا يرتبط بسيدنا الحسين إلى آخر الكتاب حسب الترقيم.

وروايات الطبري - على الأغلب - تمثل ما رواه فلول المشاركون في الجيش المعادي للحسين، وهو على الأغلب لا يمثل رواية أهل البيت أنفسهم، وإن كانت الروايتان تلتقيان في الخطوط العريضة للأحداث، فإن رواية أهل البيت أطول، وخاصة فيما حدث

١٠ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

في داخل مخيم الحسين وما جرى بينه وبين أصحابه وأهل بيته وهي تستدعي دراسة مستقلة.

كما أن حركة الحسين تفتقر إلى دراسة من له اختصاص بالتاريخ السياسي والثقافي العام لعصر الحسين والمخططات العسكرية السائدة آنذاك والمتوفرة لأعداء الحسين عسى أن يقوم بها من يجد في نفسه القدرة والكفاءة.

يبتدىء عصر المعارضة باستخلاف يزيد بن معاوية الاموي في ٢٧ - رجب - ٦٠ للهجرة.

واعتبر المعارضون ذلك تغييرا لنظام الحكم الاسلامي من الخلافة بالشوري الي نظام ملكي مستبد لم يسبق في عصر الرسول القائد ﷺ وكان من قيادات المعارضة:

عبدالله بن عمر (رض)

و عبدالله بن الزبير (رض)

والامام الحسين بن علي بن ابي طالب زعيم اهل البيت في هذا العصر
وكان هذا الاستخلاف خرقا صريحا لبنود الصلح مع معاوية بما نصه: «وليس لمعاوية ابن ابي سفيان ان يعهد الي احد من بعده عهدا بل يكون الامر من بعده شوري بين المسلمين.» (راجع ص ٤٥٥)

والتاريخ يستعرض بتفصيل مواقف المعارضة وكان اهم المواقف اصالة ووضوحا و صمودا موقف الامام الحسين اخر اصحاب الكساء والذي انتهى الي شهادته في صحراء كربلاء - العراق في ١٠ / محرم / ٦١ للهجرة. واصبحت شهادته ﷺ نقطة سوداء في التاريخ الاسلامي تستحق دراسة مستقلة.

وقد دعاني الى جرد هذه الروايات طلب العارف بالله نقيب الاشراف في سوريا الشيخ الأُمجد السيد محمد الحسيني حفظه الله في لقاء معه في دمشق، حيث جاء من موطنه الحسكة بمناسبة أيام عاشوراء عام ١٤٢١، فشكى من غلو ما قرأه من المقاتل، فوعده ان ألخص النصوص التاريخية في تسلسلها التاريخي، كما وردت في تاريخ الطبري الذي يعتبر أقدم التواريخ الموجودة المتيسرة.

وعقبت روايات الطبري ببعض الملاحظات المقتضية التي ليست سوى انطباعات شخصية في قراءة سريعة لمعرفة الحقيقة في مواقف الحسين ومواقف أعدائه، على أن يلحق بموارد الاعتبار في سيرة النبي المختار وأهل بيته الأطهار، وقد استجبت في ذلك رغبة شيعي العارف بالله ببقية السلف الشيخ السيد محمد الحسيني، لما رأيت ذلك أداء الواجب مودة القُربى التي أمرنا الله تعالى بقوله: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى»^(١).

وقد جعلته في خسمة فصول:

١. المنطلق: من المدينة إلى مكة ٢٨ / رجب / ٦٠ هـ.
 ٢. سفارة مسلم في الكوفة ٥ / شوال / ٦٠ هـ إلى ٨ / ذي الحجة / ٦٠ هـ.
 ٣. مسيرة كربلاء و المنازل ٨ / ذي الحجة / ٦٠ هـ إلى ٢ / محرم / ٦١ هـ.
 ٤. عاشوراء قمة الصراع ومقتل الحسين في ١٠ / محرم / ٦١ هـ.
 ٥. أسارى أهل البيت ما بعد معركة كربلاء.
- عسى أن تكون هذه الرسالة تطبيقاً للتأكيد الثلاثي من الرسول القائد: «(أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)» وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أُنِيب.

الفقير إلى الله

محمد حسين الحسيني الجلالى

أحسن الله إليه

المعارضة للاستبداد

٦٠-٦١

ابتدت المعارضة باستخلاف يزيد بن معاوية، واعتبر المعارضون ذلك تغييراً لنظام الحكم الاسلامي من الخلافة بالشوري الي نظام ملكي مستبد لم يسبق في عصر الرسول القائد ﷺ، وكان من قيادات المعارضة: عبد الله بن عمر (رض)، وعبد الله بن الزبير (رض)، والامام الحسين بن علي بن ابي طالب زعيم اهل البيت في هذا العصر. وكان هذا الاستخلاف خرقاً صريحاً لبنود الصلح مع معاوية، حيث انه ورد في قرار الصلح ما نصه: «وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد الى احد من بعده عهداً، بل يكون الامر من بعده شورى بين المسلمين»^(١). والتاريخ يستعرض بتفصيل مواقف المعارضة، وكان اهم المواقف أصالة ووضوحاً وصموداً: موقف الامام الحسين آخر اصحاب الكساء.

(١) راجع: موارد الاعتبار ٣: ٤٥٥.

يبتداء عصر المعارضة باستخلاف يزيد بن معاوية
الاموي في ٢٧-رجب-٦٠ للهجرة.

و اعتبر المعارضون ذلك تغييرا لنظام الحكم
الاسلامي من الخلافة بالشوري الي نظام ملكي
مستبد لم يسبق في عصر الرسول القائد (ص)
و كان من قيادات المعارضة:

عبد الله بن عمر (رض)

و عبد الله بن الزبير (رض)

و الامام الحسين بن علي بن ابي طالب زعيم اهل
البيت في هذا العصر

. و كان هذا الاستخلاف خرقا صريحا لبنود الصلح
مع معاوية بما نصه: " و ليس لمعاوية بن ابي سفيان
ان يعهد الي احد من بعده عهدا بل يكون الامر من
بعده شوري بين المسلمين." (راجع ص ٤٥٥)

و التاريخ يستعرض بتفصيل مواقف المعارضة و كان
اهم المواقف اصالة و وضوحا و صمودا موقف الامام

الحسين اخر اصحاب الكساء والذي انتهى الي
شهادته في صحراء كربلاء - العراق في ١٠ -

محرم - ٦١ للهجرة . و اصبحت شهادته (رض) نقطة

سوداء في التاريخ الاسلامي تستحق دراسة

مستقلة.

عصر المعارضة للاستبداد

٦٠-٦١

يبتداء عصر المعارضة باستخلاف يزيد بن معاوية
و اعتبر المعارضون ذلك تغييرا للنظام الحكم
الاسلامي من الخلافة بالشوري الي نظام ملكي
مستبد لم يسبق في عصر الرسول القائد (ص)
و كان من قيادات المعارضة:

عبد الله بن عمر (رض)

و عبد الله بن الزبير (رض)

و الامام الحسين بن علي بن ابي طالب زعيم اهل
البيت في هذ العصر

و التاريخ يستعرض بتفصيل مواقف المعارضة و
كان اهم المواقف اصالة و وضوحا و صمودا موقف
الامام الحسين اخر اصحاب الكساء

استخلاف يزيد (٢٧ / رجب / ٦٠ للهجرة)

[١١٣] - قال الطبري (ت = ٣٦٠ هـ) في تاريخه: « وفيها كان أخذ معاوية على الوفد الذين وفدوا إليه مع
عبيد الله بن زياد البيعة لابنه يزيد وعهد إلى ابنه يزيد حين مرض فيها ما عهد إليه في النفر الذين امتنعوا من
البيعة ليزيد حين دعاهم إلى البيعة وكان عهده الذي عهد ما ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف قال: حدثني عبد
الملك ابن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخزومة أن معاوية لما مرض مرضته التي هلك فيها دعا يزيد ابنه
فقال: يا بني إني قد كفيتك الرحلة والترحال ووطأت لك الأشياء وذللت لك الأعداء وأخضعت لك أعناق العرب
وجمعت لك من جمع واحد وإني لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتب لك إلا أربعة نفر من قريش
الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر فأما عبد الله بن عمر فرجل قد

وقدته العبادة وإذا لم يبق أحد غيره بإيعاك وأما الحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه فإن خرج عليك فظفرت به فاصنع عنك فإن له رحما ماسة وحقا عظيما وأما ابن أبي بكر فربما إن رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثلهم ليس له همة إلا في النساء واللهو وأما الذي يجثم لك جثوم الاسد ويراوغك مراوغة الثعلب فإذا أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إربا إربا قال: هشام قال: عوانة قد سمعنا في حديث آخر أن معاوية لما حضره الموت وذلك في سنة ٦٠ وكان يزيد غائبا فدعا بالضحاك بن قيس النهري وكان صاحب شرطته ومسلم بن عقبة المري فأوصى إليهما فقال: بلغا يزيد وصيتي أنظر أهل الحجاز فإنهم أصلك فأكرم من قدم عليك منهم وتعاهد من غاب وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تمزل عنهم كل يوم عاملا فافعل فإن عزل عامل أحب إلى من أن تشهر عليك مائة ألف سيف وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك فإن نابك شيء من عدوك فانتصر بهم فإذا أصيبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم وإني لست أخاف من قريش إلا ثلاثة حسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير فأما ابن عمر فرجل قد وقده الدين فليس ملتصبا شيئا قبلك وأما الحسين بن علي فإنه رجل خفيف وأرجو أن يكتفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه وإن له رحما ماسة وحقا عظيما وقرابة من محمد ﷺ ولا أظن أحسن العراق تاركه حتى يخرجوه فإن قدرت عليه فاصنع عنه فإني لو أني صاحبه عفوت عنه وأما ابن الزبير فإنه خب ضب فإذا شخص لك فالبد له إلا أن يلتمس منك صلحا فإن فعل فاقبل واحقق دماء قومك ما استطعت» (١)

ومن موارد الاعتبار:

- ١- صرحت نصوص معاهدة الصلح مع الحسن بن لا يستخلف معاوية أحداً، بل يجعل الأمر شورى بين المسلمين، لكنه خالف ذلك، وراجع النص فيما سبق.
 - ٢- أن معاوية في وصيته صرح بأنه قضى على كل من أعلن الممارسة، وذلك في قوله ليزيد: (ذلك لك الأعداء وأخضعت لك أعناق العرب).
 - ٣- أن تخوف معاوية كان من أربعة ذكرهم بالاسم وذكر أسباب الخوف منهم، وهم:
 - أولاً: عبد الله بن عمر، وعلل سبب الخوف بأنه (وقدته العبادة).
 - ثانياً: الحسين بن علي وعلل الخوف بأن (أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه).
 - ثالثاً: ابن أبي بكر، لانه (رجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثله).
 - رابعاً: ابن الزبير، لانه (يراوغك مراوغة الثعلب).
- والتحليل في هذه الملل يوجب حصر التخوف من اثنين فقط، أحدهما: من له الشعبية، فلا مؤاخذه عليه، والثاني: المراوغ.

٤ - أن معاوية أوصى يزيداً فيما لو خرج الحسين بأمرين:
 أولاً: تفريق كلمة أصحابه (الرجوا أن للميكة؟؟) اليه ممن قتل أباه وخذل أخاه.
 ثانياً: العفو أن قدرت عليه (فاصفح عنه) وعلل ذلك بثلاثة أسباب: (إن له رحماً ماسة، وحقاً عظيماً، وقرابة من محمد).^(١)

٥ - أن معاوية أوصى بفصل جيشه (اهل الشام) عن القاعدة، لئلا يفسد الوعي الاسلامي فيهم (فانهم ان أماسوا بغير بلادهم اخذوا بغير أخلاقهم) وهذه سياسة التعتيم وغسل الأدمغة حتى لا يفتح الجيش على الحقيقة ولا يختلط بالشعب فيعيش آماله والآمه.

أخذ البيعة ليزيد (ذو الحجة / ٦٠ للهجرة)

[١١٤] - قال ابو علي القاري (ت = ٣٥٦ هـ) في «النوادر والأمالى»: «وأخبرنا محمد بن أبي الأزهري حدثنا الزبير قال: حدثنا أبو زيد عُمَرُ بْنُ شَجَّةٍ قال: حدثنا سعيد بن عامر الضبي عن جويرية بن أسماء قال: لما أراد معاوية البيعة ليزيد ولده، كتب الى مروان - وهو عامله على المدينة - فقرأ كتابه وقال: ان أمير المؤمنين قد كَبَّرَ سُلْطَةً ودَقَّ عَظْمَهُ، وقد خاف أن يأتيه أمر الله تعالى فَيَدْعُ الناس كالنعم لاراعي لها، وقد أحب أن يُعْلِمَ عِلْمًا وَيُتِمَّ إِمَامًا فقتلوا: وفق الله أمير المؤمنين وسدده لينعل، فكتب بذلك الى معاوية، فكتب اليه أن سَمَّ يزيد، قال: فقرأ الكتاب عليهم وسَمَّى يزيد، فقام عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما فقال: كَذَبْتَ والله يامروان وكَذَبَ معاوية مَك، لا يكون ذلك، لَأَتَدُنُوا عَلَيْنَا سُلْطَةَ الروم كلما مات هرقل قام مكانه هرقل، فقال مروان: هذا الذي قال لوالديه: أُنْ لَكُمَا أَمَدَانِني أَنْ أُخْرِجَ. قال: فسمعت ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت: أَلَا بِنُ الصَّدِيقِ يقول هذا؟ اشتروني فستروها، فقالت: كَذَبْتَ والله يامروان، إِنَّ ذَلِكَ لَرَجُلٌ معروف نسبه، قال: فكتب بذلك مروان الى معاوية، فاقبل فلما دنا من المدينة استقبله أهلها فيهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن علي وعبد الرحمن بن أبي بكر رضوان الله عليهم أجمعين، فأقبل على عبد الرحمن بن أبي بكر فَسَبَّه وقال: لامرحباً بك ولا أهلاً، فلما دخل الحسين عليه قال: لامرحباً ولا أهلاً، بَدَنَتْ يَتَرَفَرَقُ دُمُها والله مهريقه، فلما دخل ابن الزبير قال: لامرحباً بك ولا أهلاً ضَبَّ ثَلْثَةٌ مُدْخِلُ رأسه تحت ذنبه، فلما دخل عبد الله بن عمر قال: لامرحباً بك ولا أهلاً وسبّه، فقال: اني لست بأهل لهذه المقالة. قال: بلى ولما هو شرُّ منها. قال: فدخل معاوية المدينة وأقام بها وخرج هؤلاء الرهط معتمرين، فلما كان وقت الحج خرج معاوية حاجباً فأقبل بعضهم على بعض فقالوا: لقد قلل قد ندم، فأقبلوا يستقبلونه، قال: فلما دخل ابن عمر قال: مرحباً بك وأهلاً يا بن الفاروق، هاتوا لأبي عبد الرحمن دابة، وقال لابن أبي بكر: مرحباً يا بن الصديق، هاتوا له دابة، وقال لابن الزبير: مرحباً يا بن حوارى رسول الله، هاتوا له

(١) قال المحقق: ولعل الاصل في في وصية معاوية بالصفح هو ما للحسين عليه السلام من الشعبية العامة التي أدت في النهاية الى سقوط الحكم الاموي، وكان معاوية بدهانه واقفاً على هذه النقطة التي لم يدركها يزيد. لعنة الله عليهما.

دابة. وقال للحسين: مرحباً بابن رسول الله، هاتوا له دابة، وجعلت أطفانة تدخّل عليهم ظاهرة يراها الناس ويحسّون إذ نههم وشفاعتهم، قال: ثم أرسل إليهم، فقال بعضهم لبعض: من يكلمه؟ فاقبلوا على الحسين فأبى، فقالوا لابن الزبير: هات فأنت صاحبنا، قال: على أن تعطوني عهد الله أن لا أقول شيئاً إلا تابعتوني عليه. قال: فأخذ عهودهم رجلاً رجلاً، ورضي من ابن عمر بدون ما رضي به من صاحبيه، قال: فدخلوا عليه، فدعاهم إلى بيعة يزيد فسكتوا، فقال: أجيبيوني فسكتوا، فقال: أجيبيوني فسكتوا، فقال لابن الزبير: هات، فأنت صاحبهم. قال: اختر منا خصلة من ثلاث، قال: إن في ثلاث لمخرجاً، قال: إما أن تفعل كما فعل رسول الله ﷺ، قال: ماذا فعل؟ قال: لم يستخلف أحداً، قال: وماذا قال: أو تفعل كما فعل أبو بكر. قال: فعل ماذا؟ قال: نظر إلى رجل من عرض قريش فولّاه، قال: وماذا قال: أو تفعل كما فعل عمر بن الخطاب، قال: فعل ماذا؟ قال: جعلها شورى في ستة من قريش، قال: ألا تسمعون، إنني قد وعدتكم على نفسي عادة وإني أكره أن أمنعكموها قبل أن أبين لكم، إن كنت لا أزال أتكلم بالكلام فتعترضون عليّ فيه وتردّون عليّ، وإني قائم ففائل مقالة فإياكم أن تعترضوا حتى أنتهيا، فإن صدقت فعليّ صدقي، وإن كذبت فعليّ كذبي، والله لا ينطق أحد منكم في مقالتي إلا ضربت عنقه، ثم وكلّ بكل رجل من القوم رجلين يحفظانه لئلا يتكلم، وقام خطيباً فقال: إن عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن عليّ وعبد الرحمن بن أبي بكر قد بايعوا فبايعوا، فأنجل الناس عليه^(١) يبايعونه حتى إذا فرغ من البيعة ركب نجائبه فرمى إلى الشام وتركهم، فأقبل الناس على الرهط يلومونهم، فقالوا: والله ما بايعنا ولكن فعل بسنا وفعل^(٢)

ومن موارد الاعتبار:

١- أن استخلاف يزيد للملك بعد معاوية كان أمراً مفروضاً عنه في الجانب الأموي، وأن المعارضة كانت واقفة على هذا الاتجاه وعالمية به فعارضه كلّ بأسلوبه.

٢- أن معاوية وولاته - ومنهم مروان عامله على المدينة - كانوا يركّزون على إخضاع المعارضة في المدينة باعتبارها عاصمة الاسلام الروحية.

٣- أن عبد الرحمن بن أبي بكر علل معارضته بقوله: (لا تحذروا علينا سنة الروم كلّما مات هرقل قام مكانه هرقل) باعتبار أن الاستخلاف سنة تعارض السنة النبوية، وأن تهريب مروان لعبد الرحمان بأن قال: (الوادية أفى لكما) يعني اتهماه بمخالفة القرآن، ومن هنا تناصرته اخته أم المؤمنين عائشة.

٤- أن معاوية واجه كل واحد من المعارضة بما يثبّط عزمه، فسبّ ابن أبي بكر، وقال عن الحسين (بدنة يترقرق دمه والله مهريقة) مهدداً إيّاه بالقتل، ووصف ابن الزبير (ضرب تلمة مدخل رأسه تحت ذنبه) وكذلك سبّ عبد الله بن عمر، ولم يجابهه أحد بشيء سوى ابن عمر الذي أراد الدفاع عن نفسه بقوله: (إني لست بأهل لهذه

(١) أنجل الناس عليه: تجتمعوا.

(٢) النوادر والامالي، لأبي عليّ القالي، ص ١٣٢٢ ط.

المقالة) مع انه لم يكن من المعارضة كما يثبت ذلك تاريخه. ورد معاوية ذلك بقوله: (بلى ولما هو شر منها) وربما اعدم معارضته هؤلاء. فأجابهم جميعاً بقوله: (لا مرحباً ولا أهلاً).

٥- ان في اللقاء الثاني أخذ معاوية جانب اللين، فأكرم كل واحد (أدنا له دابة) مما يظهر ان التهديد الاول لم تكن مؤثرة في تمرير سياسة معاوية فغَيَّرَ أسلوبه بالرعاية والتقرب اليهم (يحسن اذنههم وشفاعتهم).

٦- ان في هذا اللقاء الثاني الذي دعا إليه معاوية أرادت المعارضة ان تجعل الحسين مثلاً لها (فأقبلوا على الحسين فأبى) الحسين ان يكلمه مثلاً للمعارضة، ولعل ذلك لأن مبادئ المعارضة كانت مختلفة، لما انتخبوا (ابن الزبير) الذي مثل المعارضة وقد عرف معاوية ان (ابن الزبير صاحبهم) وخيَّره ابن الزبير بين ثلاث خصال: بان لا يستخلف او ينص على رجل من قريش او يجعلها بالشورى. وهذه الدعوى لاستئثار ان ينفي (يزيد) لكونه من قريش مع انه ابن معاوية، وهم من قريش.

٧- ان معاوية قام بسياسة خاصة به كآها مكر وإرغاب (والله لا ينطق احد منكم في مقاتلي إلا ضربت عنقه. ثم وكل بكل رجل من القوم رجلين يحفظانه لئلا يتكلم).

٨- ان معاوية خطب في الناس: (ان هؤلاء قد بايعوا فبايعوا، فانجفل الناس عليه يبائعونه) ثم انصرف إلى الشام.

٩- ان القوم جميعاً قالوا: (والله ما بايعنا، ولكن فعل بنا وفعل) فأساس خلافة يزيد كانت على الدعاية الكاذبة من أصلها.

١٠- ان سياسة معاوية للتهديد لهذا الاستخلاف من بالتهديّة والتطميع والدعاية، وهي الطرق المعروفة لكل سياسي غير ملتزم بالمبادئ في الوصول الى اهدافه.

دعوة اهل الكوفة (١٠ / رمضان / ٦٠ للهجرة)

[١١٥] - قال أبو مخنف: فحدثني الحجاج بن علي عن محمد بن بشر الهمداني قال: اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد فذكرنا هلاك معاوية فحمدنا الله عليه فقال: لنا سليمان بن صرد ان معاوية قد هلك وإن حسيناً قد تقبض على القوم ببيعتهم وقد خرج إلى مكة وأنتم شيعة وشيعة أبيه فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدوه عدوه فاكتبوا إليه وإن خفتم الوهل والفتش فلا تغروا الرجل من نفسه قالوا لا بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه قال: فاكتبوا إليه فكتبوا إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم، لحسين بن علي من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة ابن شداد وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة سلام عليك فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الامة فابترها أمرها وغصبها فيأها وتأمر عليها بغير رضى منها ثم قل خيارها واستبقى شرارها وجعل مال الله دولة بين جبارتها وأغنياها فبعدها له كما بعدت ثمود إنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والنعمان بن بشير في قصر الامارة

لسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله والسلام ورحمة الله عليك قال: ثم سرحتنا بالكتاب مع عبد الله بن سبيع الهمداني وعبد الله بن وال وأمرناهما بالنجاء فخرج الرجلان مسرعين حتى قدما على حسين لعشر ماضين من شهر رمضان بمكة ثم لبثنا يومين ثم سرحتنا إليه قيس بن مسهر الصيداوي وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدكن الارحبي وعمارة بن عبيد السلولي فحملوا معهم نحواً من ثلاثة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والاربعة» (١)

ومن موارد الاعتبار:

١- إن موت معاوية كان - حسب رؤية المعارضة - أمراً طبيعياً لأن يرجع الحكم إلى الشورى حسب نص معاهدة الصلح مع الإمام الحسن ، ومن هذا المنطلق دعى أهل الكوفة الحسين، حيث رأوه وجزبوه ورأوا أن تاريخه وماضيه المشرق يؤهله للخلافة.

٢- أن سليمان بن صرد - زعيم المعارضة - لم يبادر بحركة ولا بدعوة إلا أن يكون على أساس الشورى (أن كنتم تعلمون أنكم تاصروه ومجاهدوا عدوه فاكثبوا إليه).

٣- أن سليمان رأى الموقف مناسباً للدعوة للعلل:

اولاً: أن معاوية قد هلك، فليست المعاهدة نافذة بعد وفاته.

ثانياً: أن حسيناً قد تقبض على القوم ببيعته، فهو معارض لحكم يزيد.

ثالثاً: أنه قد خرج إلى مكة ممتنعاً عن البيعة ليزيد.

رابعاً: اتهم شيعة وشعبة أبيه، فانتهم أعرف به وبسياسة.

وكل واحدة من هذه العلل كافية لدعوته إلى العراق.

٤- أن رسالة الدعوة شرحت ما ليس بخاف من تاريخ معاوية، وكيف أن خرق بنود المعاهدة

(انتزى على هذه الامة، فابتزها امرها وغصبها فيها وتأمر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خييارها) وأنهم من جانبهم لم يبايعوا بعد، فهم على خط واحد مع الامام، (ليس علينا امام) وأن عدد الرسائل بلغت (٥٣) صحيفة.

٥- وليس موقف الحسين موقفاً يمكن فيه أن يرفض دعوة تسير على المبادي والتساوت الاسلامية في الظرف الخاص الذي كان فيه، فلا بد له من التجاوب.

الفصل الاول

المنطلق

٢٨ / رجب / ١٤٠٥ هـ

خلافة يزيد بن معاوية

قال الطبري: وفي هذه السنة^(١) بوبع ليزيد بن معاوية بالخلافة بعد وفاة أبيه، للنصف من رجب في قول بعضهم، وفي قول بعض لثمان بقين منه - على ما ذكرنا قبل من وفاة والده معاوية - فأقر عبيد الله بن زياد على البصرة، والنعمان بن بشير على الكوفة. وقال هشام بن محمد، عن أبي مخنف: ولي يزيد في هلال رجب سنة سنين، وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وأمير الكوفة النعمان بن بشير الانصاري، وأمير البصرة عبيد الله بن زياد، وأمير مكة عمرو بن سعيد بن العاص، ولم يكن ليزيد همّة حين ولي إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية الاجابة إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعته، وأنه وليّ عهده بعده، والفراغ من أمرهم، فكتب إلى الوليد:

بسم الله الرحمن الرحيم

من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد، فإن معاوية كان عبدا من عباد الله، أكرمه الله واستخلفه، وخوّله، ومكن له، فعاش بقدر، ومات بأجل، فرحمه الله، فقد عاش محمودا، ومات برا تقيا، والسلام.

وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن فأرة: أما بعد، فخذ حسيننا وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذًا شديدًا ليست فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام.

فلما أتاه نعي معاوية قطع به، وكبر عليه، فبعث إلى مروان بن الحكم فدعاه إليه - وكان الوليد يوم قدم المدينة قدمها مروان متكارها - فلما رأى ذلك الوليد منه شتمه عند جلسائه، فبلغ ذلك مروان، فجلس عنه وصرمه، فلم يزل كذلك حتى جاء نعي معاوية إلى

(١) وهي سنة ستين للهجرة.

الوليد، فلما عظم على الوليد هلاك معاوية وما أمر به من أخذ هؤلاء الرهط بالبيعة، فزع عند ذلك إلى مروان ودعاه، فلما قرأ عليه كتاب يزيد، استرجع وترحم عليه، واستشاره الوليد في الامر وقال: كيف ترى أن نصنع؟

قال: فإني أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة، فإن فعلوا قبلت منهم، وكففت عنهم، وإن أبوا قدمتهم فضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية؛ فإنهم إن علموا بموت معاوية وثب كل امرئ منهم في جانب، وأظهر الخلاف والمناظرة، ودعا إلى نفسه.

لا أدري، أما ابن عمر فإني لا أراه يرى القتال، ولا يحب أنه يولّي على الناس إلّا أن يدفع إليه هذا الامر عفوا. فأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان - وهو إذ ذاك غلام حدث - إليهما يدعوهما، فوجدهما في المسجد وهما جالسان، فأتاها في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس، ولا يأتيانه في مثلها، فقال: أجييا الأمير يدعوكما. فقال له: انصرف الآن نأتيه، ثم أقبل أحدهما على الآخر فقال عبد الله بن الزبير للحسين: ظنّ فيما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها؟ فقال حسين: قد ظننت، أرى طاعتهم قد هلك، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشو في الناس الخبر، فقال: وأنا ما أظن غيره، قال: فما تريد أن تصنع؟ قال: أجمع فتياي الساعة ثم أمشي إليه، فإذا بلغت الباب احتبستهم عليه، ثم دخلت عليه قال: فإني أخافه عليه إذا دخلت، قال: لا آتيه إلّا وأنا على الإمتناع قادر. فقام فجمع إليه مواليه وأهل بيته، ثم أقبل يمشي حتى انتهى إلى باب الوليد وقال: لأصحابه إني داخل، فان دعوتكم أو سمعتم صوته قد علا فاقتموا عليّ بأجمعكم، والا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم، فدخل فسلم عليه بالإمرة ومروان جالس عنده فقال حسين كأنه لا يظن ما يظن من موت معاوية: الصلة خير من القطيعة، أصلح الله ذات بينكما، فلم يجيباه في هذا بشيء، وجاء حتى جلس، فأقرأه الوليد الكتاب ونعى له معاوية ودعاه إلى البيعة، فقال حسين: إنا لله وإنا إليه راجعون ورحم الله معاوية، وعظّم لك الاجر، أما ما سألتني من البيعة فإن مثلي لا يعطي بيعته سرا، ولا أراك تجتري به مني سرا دون أن تظهرها على رؤوس الناس علانية، قال: أجل، قال: فإذا خرجت إلى

الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً، فقال له الوليد - وكان يحب العافية - فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس، فقال له مروان: والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه، فوثب عند ذلك الحسين فقال: يا ابن الزرقاء أنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت.

ثم خرج فمرّ بأصحابه فخرجوا معه حتى أتى منزله، فقال مروان للوليد: عصيتني، لا والله لا يمكنك من مثلها من نفسه أبداً، قال الوليد: وبخ غيرك يا مروان، إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه، من مال الدنيا وملكها، وأني قتلت حسيناً، سبحان الله، أقتل حسيناً إن قال: لا أبايع، والله إنني لا أظن امرأة يحاسب بدم حسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة، فقال له مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت، يقول هذا له وهو غير الحامد له على رأيه.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - مات معاوية في ١٥ / رجب / ٦٠ هـ وجلس ابنه يزيد مكانه باسم خليفة المسلمين. وكان هذا الحدث مثاراً للجدل من الرأي العام الإسلامي ومرفوضاً من الصحابة؛ لأنه أهمل لمادة الشورى والكفاءة في الحكم الإسلامي والحاكم المسلم، ولم يستخلف أحدٌ من الخلفاء أو لادهم في الخلافة، وكان الرأي العام يركّز على موقف الحسين ابن بنت رسول الله باعتبارهم سيد أهل البيت والرمز البارز.

٢ - وكانت السلطة على علم كامل بكل هذه الملابسات لما بايعوا يزيد بن معاوية، لذلك لم تكن مفاجئة حينما وجه يزيد كتاباً إلى والي المدينة - ابن عمّه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - بأخذ البيعة من أهالي المدينة وخاصة الحسين، وفي كتاب منفصل: (وإن أبي الحسين فليضرب عنقه) وامتنع الوالي عن أن يقتل الحسين وقال: (والله ما أحب أن لي ما

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٥٠ - ٢٥٢، هذا وقد ورد بعد هذا المقطع: خبر ابن الزبير، راجع الملحق رقم (١) في آخر هذا المجلد.

١٨ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأني قتلت حسيناً، سبحان الله، أقتل حسيناً أن قال: لا أبايع؟!).

وهذا الكلام يكشف عن تلاحم الرأي العام مع مواقف الحسين سواءً قالها الوالي اعتقاداً أو سياسةً للرأي العام.

٣- ان الوالي - لعلمه بالظروف - كان لا يريد الاستعجال لإندلاع الثورة الإسلامية، بل أراد جس النبض، فبعث في الليل إلى الحسين عارضاً عليه الرسالة، وكان في جواب الإمام ما يكشف عن ذلك حيث قال: (اني أراك لا تقنع ببيعتي سرّاً حتى أبايعه جهراً فيعرف ذلك الناس، فقال الوليد: أجل).

٤- ان الحسين فوّت بذلك فرصة على السلطة مؤكداً على ان رفض البيعة انما هو لامر مبدئي. عقائديّ باعتباره رمز بيت النبوة، كما تبين سيرته عند الوداع، وبذلك فوّت الفرص للوقعية به في ظلام الليل، ولم يبق مجال لهم للقول بأن الإمام له عداوة شخصية مع يزيد أو معاوية.

٥- ان الحسين كان على معرفة كاملة بأهداف وخطط السلطة، حيث لم يستجب لدعوة الوالي بمفرده بل اصطحب جماعة من أهل بيته ومواليه، وكانوا ثلاثين رجلاً، وأمرهم بحمل السلاح، وقال لهم: قد استدعاني في هذا الوقت، ولست آمن أن يكلفني فيه أمراً لا أجيبه إليه، و هو غير مأمون، فأجلسوا على الباب فإن سمعتم صوتي قد علا فأدخلوا عليه لتمنعوه عني، فلما اجتمعوا نعي الوليد معاوية، وكان كما قاله الإمام، فقال الحسين: (رحم الله معاوية، وعظم لك الأجر) واسترجع.

المقاطعة

٢٨ / رجب / ٦٠ ليلاً

رواية الطبري:

فخرج حسين من ليلته - وهي ليلة الاحد - ليومين بقيا من رجب سنة ستين، وكان مخرج ابن الزبير قبله بليلة، خرج ليلة السبت فأخذ طريق الفرع، فبينما عبد الله ابن الزبير يسائر أخاه جعفر إذا تمثل جعفر بقول صبرة الحنظلي:

وكل بني أم سيمسون ليلة
ولم يبق من أعقابهم غير واحد
فقال عبد الله: سبحان الله ما أدرت إلى ما أسمع يا أخي؟ قال: والله يا أخي ما أردت به شيئاً مما تكره، فقال: فذاك والله أكره إليّ أن يكون جاء على لسانك من غير تعمد، قال: وكأنه تطير منه.

وأما الحسين، فإنه خرج بينيه وإخوته وبني أخيه وجلّ أهل بيته إلاّ محمد بن الحنفية فانه قال له: يا أخي أنت أحبّ الناس إليّ وأعزّهم عليّ ولست أدخر النصيحة لاحد من الخلق أحقّ بها منك، تنح بتبعتك عن يزيد بن معاوية وعن الامصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك، فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك. إني أخاف أن تدخل مصرا من هذه الامصار وتأتي جماعة من الناس، فيختلفون بينهم، فمنهم طائفة معك وأخرى عليك، فيقتتلون فتكون لأول الأسنة، فإذا خیر هذه الأمة كلها نفسا وأبا وأماً، أضيعها دماً. وأذلّها أهلاً، قال له الحسين: فاني ذاهب يا أخي، قال: فانزل مكة فان اطمأنت بك الدار فسيبيل ذلك، وإن نبت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال، وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس، وتعرف عند ذلك الرأي، فانك

٢٠..... موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

أصوب ما يكون رأياً وأحزمه عملاً حتى تستقبل الأمور استقبالا، ولا تكون الأمور عليك أبداً أشكل منها حين تستدبرها استدباراً. قال: يا أخي قد نصحت فأشفقت، فأرجو أن يكون رأيك سديداً موثقاً.

قال أبو مخنف: وحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن أبي سعد المقبري قال: نظرت إلى الحسين داخلًا مسجد المدينة وإنه ليمشي وهو معتمد على رجلين، يعتمد على هذا مرة وعلى هذا مرة، وهو يتمثل بقول ابن مفرغ:

لا ذعرت السوام في فلق الصب

سح مغيرا ولا دُعيت يزيدا

يوم أعطى من المهابة ضيماً

والمنايا يرصدني أن أحيدا

قال: فقلت في نفسي: والله ما تمثل بهذين البيتين إلا لشيء يريد، قال: فما مكث إلا يومين حتى بلغني أنه سار إلى مكة. ثم إن الوليد بعث إلى عبد الله بن عمر فقال: بايع لي زيد، فقال: إذا بايع الناس بايعت، فقال رجل: ما يمنعك أن تباع إنما تريد أن يختلف الناس بينهم فيقتتلوا، ويتفانوا فإذا جهدهم ذلك قالوا: عليكم بعبد الله بن عمر، لم يبق غيره بايعوه. قال عبد الله: ما أحب أن يقتتلوا ولا يختلفوا ولا يتفانوا، ولكن إذا بايع الناس ولم يبق غيري بايعت، قال: فتركوه وكانوا لا يتخوفونه. قال: ومضى ابن الزبير حتى أتى مكة وعليها عمرو بن سعيد، فلما دخل مكة قال: إنما أنا عائد، ولم يكن يصلي بصلاتهم ولا يفيض بافاضتهم، كان يقف هو وأصحابه ناحية، ثم يفيض بهم وحده، ويصلي بهم وحده، قال: فلما سار الحسين نحو مكة قال: ﴿فخرج منها خائفا يترقب قال ربّ نجني من القوم الظالمين﴾ فلما دخل مكة قال: ﴿فلما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾^(١)

موارد الاعتبار:

١ - قرر الإمام الحسين الخروج ليلة الأحد ليومين بقيتا من رجب، وكانت أُمّام

الحسين من الخيارات:

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٥٤ - ٢٦٠، والايات من سورة القصص: ٢١ و ٢٢.

أولاً: الإستسلام والبيعة، وذلك نقض لأهداف الحكم في الإسلام من الثوابت الإسلامية في الحكم بالشورى وبالحاكم للأهلية للخلافة، وهو أمرٌ مرفوض بالطبع.
ثانياً: البقاء في المدينة مع وجود خطر القضاء عليه، وهو خطر قائم من قبل السلطة المسلحة ما دام على موقفه الرافض من الإستسلام.

ثالثاً: الذهاب إلى ناحية مجهولة، والمفروض أن عيون يزيد تراقبه، ولا شك أنها تقتضي عليه بحجج مفتعلة مع أن هدف الحسين لم يكن المحافظة على نفسه حينما يقرض عليه الجهاد.

رابعاً: الخروج إلى مكة حيث موسم الحج وتواجد الوفود من مختلف البلاد الإسلامية فيها؛ لبيان موقفه الإسلامي حيث يتمكن الإمام من ذلك، لكي يتبين الموقف للرأي العام بكل الملابسات.

٢- وفي رواية أهل البيت: ان الحسين ذهب إلى قبر جده الرسول قائلاً: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد خرجت من جوارك كرهاً، وفرّق بيني وبينك، وأخذت قهراً أن أبايع يزيد شارب الخمر وراكب الفجور، وان فعلت كفرت، وان أبيت قتلت، فها أنا خارجٌ من جوارك كرهاً، فعليك مني السلام يا رسول الله» (١).

والوداع لقبر جده أمر طبعي يعتاده أهل البيت وخاصة في مثل هذه الظروف الصعبة.
٣- وأيضاً وزّع الحسين المسؤوليات الرسالية بين أقاربه وأنصاره، وكتب وصيته كما هي عادة أهل البيت، وقد روى الخوارزمي الوصية التالية لأخيه محمد بن حنفية، وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به الحسين بن عليّ إلى أخيه محمد بن الحنفية: ان الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الله، وان الجنة حق، والنار حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وان الله يبعث من في القبور، واني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرت لطلب الإصلاح في أمة جدي ،

٢٢ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا، أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي إليك يا أخي، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.»^(١)

وخرج الحسين في جوف الليل وسلك الطريق العام، ولما سئل: لما لم تتنكب الطريق؟ قال: لا والله، لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاض.

٤- ومن هذه الوصية تظهر الأهداف التالية لحركة الحسين:

أولاً: طلب الإصلاح في الأمة الإسلامية.

ثانياً: أداء المسؤولية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثاً: تطبيق سيرة النبي

وقد ربط الإمام في وصيته بين هذه النقاط الثلاث بإعتبار أن ذلك يرتبط ارتباطاً مباشراً بالحكم الإسلامي القائم على أساس الشورى وكفاءة الحاكم، وهما مفقودان في شخص يزيد وحكمه.

٥- أن خروج الإمام في الليل له دلالة واضحة على القرار الشخصي المفاجيء، لما لم تنحسسه السلطة وسلك الإمام الطريق العام، حيث يكون على مرئىء ومسمع من الناس كل ما قد تفاجئه السلطة به، وحينما اقترح على الإمام بأن يتنكب الطريق الأعظم قال: (لا والله، لا أفارقه حتى يقضى الله ما هو قاض) ثم تلا قوله تعالى: ﴿فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين﴾^(٢) مما يكشف عن وعي كامل عمّا قد تلفقه السلطة و تخطط له فيما لو تنكب الطريق وسلك طريقاً مفرداً يجعله هدفاً للقضاء عليه قبل أن يصل إلى مقصده.

و لما سئل اين تريد؟ قال عليه السلام: «أما الآن فمكة، وأما بعد فاستخير الله.» حيث لم يحدّد القرار النهائي. ما عدى مكة.

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٩

(٢) القصص: ٢١.

دعوة اهل الكوفة

رواية الطبري:

وفي هذه السنة وجه أهل الكوفة الرسل إلى الحسين عليه السلام وهو بمكة يدعونه إلى القدوم عليهم فوجه إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه.^(١)

قال الطبري: وأما أبو مخنف، فإنه ذكر من قصة مسلم بن عقيل وشخصه إلى الكوفة ومقتله قصة هي أشبع وأتم من خبر عمار الدهني عن أبي جعفر - الذي ذكرناه - ما حدثت عن هشام بن محمد عنه قال: حدثني عبد الرحمن بن جندب قال: حدثني عقبة بن سمعان مولى الرباب ابنة امرئ القيس الكلبي امرأة حسين، وكانت مع سكينه ابنة حسين وهو مولى لابيها وهي إذ ذاك صغيرة، قال: خرجنا فلزنا الطريق الأعظم فقال للحسين أهل بيته: لو تنكبّ الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير، لا يلحقك الطلب. قال: لا والله، لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو أحب إليه، قال: فاستقبلنا عبد الله بن مطيع فقال للحسين: جعلت فداك أين تريد؟ قال: أما الآن فإني أريد مكة، وأما بعدها فإني أستخير الله، قال: خار الله لك، وجعلنا فداك، فإذا أنت أتيت مكة فإياك أن تقرب الكوفة؛ فإنها بلدة مشؤومة، بها قتل أبوك وخذل أخوك واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه، ألزم الحرم؛ فإنك سيد العرب، لا يعدل بك والله أهل الحجاز أحدا، ويتداعى إليك الناس من كل جانب، لا تفارق الحرم فداك عمي وخالي، فوالله لئن هلكت لنسترقن بعدك. فأقبل حتى نزل مكة، فأقبل أهلها يختلفون إليه ويأتونه، ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق، وابن الزبير بها قد لزم الكعبة فهو قائم يصلي عندها عامة النهار ويطوف ويأتي حسينا فيمن يأتيه، فيأتيه اليومين المتواليين ويأتيه بين كل يومين مرة، ولا يزال يشير عليه

(١) نقلنا ما يتعلق بمسلم بن عقيل إلى الفصل الثاني من هذا الكتاب، وراجع تاريخ الطبري ٤:

بالرأي، وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير قد عرف أن أهل الحجاز لا يبايعونه ولا يتابعونه أبدا ما دام حسين بالبلد، وأن حسينا أعظم في أعينهم وأنفسهم منه وأطوع في الناس منه، فلما بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية أرجف أهل العراق بيزيد وقالوا: قد امتنع حسين وابن الزبير ولحقا بمكة، فكتب أهل الكوفة إلى حسين وعليهم النعمان ابن بشير. قال أبو مخنف: فحدثني الحجاج بن علي عن محمد بن بشر الهمداني قال: اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد، فذكرنا هلاك معاوية فحمدنا الله عليه فقال لنا سليمان بن صرد: إن معاوية قد هلك وإن حسينا قد تقبض على القوم ببيعته وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهل والفشل فلا تغروا الرجل من نفسه. قالوا: لا، بل تقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه. قال: فاكتبوا إليه، فكتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، لحسين بن علي من سليمان ابن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة ابن شداد وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة: سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الامة فابتزها أمرها، وغصبها فيئها وتأمر عليها بغير رضي منها، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبارتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود، إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق: والنعمان بن بشير في قصر الامارة، لسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله، والسلام ورحمة الله عليك.

قال: ثم سرحنا بالكتاب مع عبد الله بن سيع الهمداني وعبد الله بن وال، وأمرناهما بالنجاء، فخرج الرجلان مسرعين حتى قدما على حسين لعشر مضين من شهر رمضان بمكة، ثم لبثنا يومين، ثم سرحنا إليه قيس بن مسهر الصيدائي وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الارحبي وعمارة بن عبيد السلولي، فحملوا معهم نحواً من ثلاثة وخمسين صحيفة [الصحيفة] من الرجل، والاثنين، والاربعة.

قال: ثم لبثنا يومين آخرين، ثم سرحنا إليه هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله

الحنفي، وكتبنا معهما:

بسم الله الرحمن الرحيم لحسين بن عليٍّ من شيعته من المؤمنين والمسلمين، أما بعد:
فحيّهما، فإن الناس ينتظرونك، ولا رأي لهم في غيرك، فالعجل العجل، والسلام عليك.
وكتب شبت بن ربيعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث ويزيد بن رويم وعزرة بن
قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمير التميمي، أما بعد: فقد اخضرّ الجنب،
وأينعت الثمار، وطمّت الجمام، فإذا شئت فاقدم على جندٍ لك مجنّد، والسلام عليك.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - وصل الحسين مكة في ٣ / شعبان / ٦٠ هـ وانما اختار مكة المكرمة باعتبارها
مركز التجمع الإسلامي معلناً معارضته لخلافة يزيد بالوسائل المتيسرة طيلة فترة اقامته
بها: أربعة أشهر و خمسة أيام، حتى الثامن من ذي الحجة ٦٠ هـ.

٢ - خلال فترة تواجد الإمام التقت جموع المعارضة من أهالي مكة وغيرهم من
أهالي الآفاق، ووصلته رسائل التأييد من مختلف الطبقات والبلدان والإمام لم يعر
اهتماماً بكل ما يردده سوى من يثق بهم لمعرفته بماضيهم حسب تجربته الطويلة في أيام
والده وأخيه، وكان يعلم ان هناك من المنافقين الذين دخلوا صفوف المعارضة ليضربوها
من الداخل، أو يغيّروا مسيرتها، لذلك لم يأخذ بنظر الاعتبار إلاّ الخلص من أصحابه
كسليمان بن صرد والمسيّب بن نجية وحبيب بن مظاهر الأسدي وأمثالهم.

٣ - ان توجه الرأي العام من أهالي مكة وأهل الآفاق كان على التذمر من ابن الزبير؛
لأن (حسيناً أعظم في أعينهم وأنفسهم منه، وأطوع في الناس منه) فإن النقاط الثلاثة من
كون الحسين أعظم في الأعين والأنفس وأطوع، تكشف عن خيار الرأي العام على
أساس قيادة وخلافة عقائدية لا قيادة سياسية وقتية، ومن هنا كان الحسين (أثقل خلق
الله على ابن الزبير) كما في الرواية.

رسالة مفتوحة

رواية الطبري:

وتلاقت الرسل كلها عنده فقرأ الكتب وسأل الرسل عن أمر الناس، ثم كتب مع هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي وكانا آخر الرسل: «بسم الله الرحمن الرحيم، من حسين بن عليّ إلى الملاء من المؤمنين والمسلمين، أما بعد، فإنّ هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم: إنّهُ ليس علينا إمام فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فان كتب إليّ أنه قد أجمع رأي مَلِككم وذوي الفضل والحجّي منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الامام إلّا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله، والسلام».

قال أبو مخنف: وذكر أبو المخارق الراسبي قال: اجتمع ناس من الشيعة بالبصرة في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها: مارية ابنة سعد أو منقذ أياما، وكانت تشيّع، وكان منزلها لهم مألفا يتحدّثون فيه، وقد بلغ ابن زياد إقبال الحسين فكتب إلى عامله بالبصرة أن يضع المناظر ويأخذ بالطريق.^(١)

موارد الاعتبار:

١- ان موقف الإمام تجاه الكتب والرسل كان موقفاً حقيقياً.

أولاً: (تلاقت الرسل كلها عنده) فلم يسمع الإمام من طائفة خاصة، بل فتح الباب لكل الناس وجعل الحرية لمختلف الطبقات في التعبير عن آرائهم.

ثانياً: (قرأ الكتب والرسائل) فكان له الإشراف المباشر على قراءة ما يصل إلى مكتبه من الكتب والرسائل التي تعبر عن شخصية المراسلين.

ثالثاً: (سأل الرسل عن أمر الناس) فإن الهدف في تطبيق الحكم الإسلامي لا يكون إلا بعد موافقة الرأي العام والأغلبية، فإن أي حكم لا تحترمه الأغلبية لا بد وأن يؤول إلى الفشل والانهيار، وبهذه المواقف الثلاثة كان الإمام يكشف عن شخصية المراسلين من معرفة ماضيهم في عهد أبيه وأخيه، ووسائلهم في الأندساس في صفوف المعارضة، وأهدافهم الشخصية والسياسية.

٢- أن الإمام لم يأخذ قرار الحركة نحو العراق إلا بعد رسالة سليمان بن صرد والمسيب بن نجية وحبيب بن مظاهر، ولم يستجب لهذه الدعوة إلا بعد التأكد حيث أرسل سفيره لاستطلاع الرأي أولاً، وقد أثبت التاريخ فيما بعد مواقف هؤلاء في الولاء لآل البيت والتزامهم بمواقف الحسين.

٣- إن الحسين لم يرد على الرسائل التي وصلته من الكوفة رداً خاصاً، بل أجاب الرسائل كلها برسالة مفتوحة جواباً عاماً شاملاً موجهاً إلى «الملا من المؤمنين والمسلمين» من دون أي تخصيص تمتاز به إحدى الرسل، فلم يبق مجال لدعوى أحد بالخصوص، وبالطبع لا يكون الجواب معنياً لمن لا يكون من الملا أو من المؤمنين أو من المسلمين؛ للتحديد المذكور.

٤- شرح الحسين في الجواب مضمون الرسائل التي استلمها من قبل سواء كانت كتابة أو شفهاً، ومضمونها: (ليس علينا إمام فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الهدى والحق).

٥- أن هذا المضمون كان معبراً عن الرأي العام للشعب (مقالة جلّكم) وفي مثل حالة كهذه كان الحسين عليه السلام أمام ثلاث خيارات:

أولاً: رفض الطلب، وهذا ينافي الواجب الإسلامي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانياً: القبول من دون تريث، وهذا يستلزم أن يكون قد طلب السلطة للسلطة.

ثالثاً: القبول مع التحفظ حتى تظهر الحقائق.

٢٨..... موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

٦- اختار الحسين الخيار الثالث على شروط تكشف عن ان قبوله الطلب كان بتحفظ، وذلك بشرح و تحديد مسؤوليات الإمام بقوله: (فلعمري، ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله). وهذه هي الأركان الأساسية لقبوله، والأهداف الرئيسية لحركة الحسين التي كانت أداءً للمسؤولية الإسلامية.

٧- لم يعتمد الحسين على أي من هذه الرسائل ولا الرسل، بل أرسل سفيراً خاصاً من جانبه هو ابن عمه مسلم بن عقيل مع آخرين؛ ليتحرى الواقع ويتبين الظروف باستطلاع الحقيقة وإيلاغ الحسين بالنتائج حتى يتخذ قراره الأخير.

حقيقة الموقف

رواية الطبري:

قال: فأجمع يزيد بن نبيط الخروج - وهو من عبد القيس - إلى الحسين، وكان له بنون عشرة فقال: أيكم يخرج معي؟ فانتدب معه ابنان له: عبد الله وعبيد الله، فقال لأصحابه في بيت تلك المرأة: اني قد أزمعت على الخروج وأنا خارج، فقالوا له: انا نخاف عليك أصحاب ابن زياد، فقال: إني والله لو قد استوت أخفافهما بالجدد لهان على طلب من طلبني، قال: ثم خرج فتقدى في الطريق حتى انتهى إلى حسين عليه السلام فدخل في رحله بالأبطح، وبلغ الحسين مجيئه فجعل يطلبه، وجاء الرجل إلى رحل الحسين فقبل له: قد خرج إلى منزلك، فأقبل في أثره ولما لم يجده الحسين جلس في رحله ينتظره، وجاء البصري فوجده في رحله جالسا، فقال: ﴿بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾^(١) قال: فسلم عليه وجلس إليه فخبره الذي جاء له، فدعا له بخير ثم أقبل معه حتى أتى فقاتل معه، فقتل معه هو وابناه.^(٢)

(١) يونس: ٥٨.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٦٤.

موارد الاعتبار:

١ - يكشف عن حقيقة الموقف ما كتبه ابن زياد إلى عامله بالبصرة: (ان يضع المناظر ويأخذ بالطريق) وهاتان النقطتان تعني التجسس على تحرّكات الناس، و تفتيش المسافرين في الطريق لئلا تتلاحم القوى المساندة لحركة الحسين.

٢ - بالرغم من هذه الرقابة المشدّدة وشبكة التجسس على المناظر والطرق، تمكن بعض المسلمين المؤمنين بحركة الحسين من الالتحاق بالركب أو الحركة، منهم: ابن نبيط القيسي وإيناه عبدالله وعبيدالله، وتمكنوا من الالتحاق بالحسين في الأبطح وهو قرب مقبرة المعلّة في مكة المكرمة.

٣ - إنّ إلحاق بنو قيس - هؤلاء - يكشف عن نسبة المستعدين للإلتحاق بالحركة آنذاك، فان القيسي كان له (بنون عشرة، فقال: اايكم يخرج معي؟ فانتدب له إينان) وهي نسبة عشرون في المئة بالعائلة الواحدة.

٤ - إهتمام كلّ من القيسي والإمام بزيارة الآخر يكشف عن مدى إهتمام الحسين بأصحابه، حيث أن هذا القيسي أثبت صدق دعواه بالحضور وتجاوز كل المخاطر والقيود العسكرية، في حين لم يجب إجابة شخصية لعلمه بأنها دعاوى مجرّدة عن الإلتزام والعمل.

٥ - إلحاق بنو قيس هؤلاء بركب الحسين في مكة يكشف عن انتشار فكرة الحسين وحركته في صفوف الحجاج من كل البلاد الإسلامية الذين حضروا مكة في موسم الحج آنذاك.

الفصل الثاني

سفير الحسين الى الكوفة

٥ / شوال / ٦٠ هـ.

المقاطعة

٢٨ / رجب / ٦٠ ليلاً

رواية الطبري:

ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين عليه السلام للمصير إلى ما قبلهم وأمر مسلم بن عقيل رضي الله عنه.

حدثني زكرياء بن يحيى الضرير قال: حدثنا أحمد بن جناب المصيصي ويكنى أبا الوليد، قال: حدثنا خالد بن يزيد بن أسد بن عبد الله القسري، قال: حدثنا عمار الدهني قال: قلت لابي جعفر: حدثني بمقتل الحسين حتى كأني حضرته، قال: مات معاوية، والوليد بن عتبة بن أبي سفيان على المدينة، فأرسل إلى الحسين بن عليّ ليأخذ بيعته، فقال له: أخّرني وارفق، فأخّره، فخرج إلى مكة، فأتاه أهل الكوفة ورسلمهم: أنا قد حبسنا أنفسنا عليك ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي، فأقدم علينا. وكان النعمان بن بشير الانصاري على الكوفة قال: فبعث الحسين إلى مسلم بن عقيل بن أبي طالب ابن عمه فقال له: سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إليّ، فإن كان حقا خرجنا إليهم، فخرج مسلم حتى أتى المدينة، فأخذ منها دليلين فمرّاه في البرية، فأصابهم عطش فمات أحد الدليلين، وكتب مسلم إلى الحسين يستعفيه، فكتب إليه الحسين: أن امض إلى الكوفة

فخرج حتى قدمها، ونزل على رجل من أهلها يقال له: ابن عوسجة، قال: فلما تحدّث أهل الكوفة بمقدمه دبّوا إليه فبايعوه، فبايعه منهم اثنا عشر ألفاً، قال: فقام رجل ممن يهوي يزيد بن معاوية إلى النعمان بن بشير فقال له: إنك ضعيف أو متضعّف، قد فسد البلاد. فقال له النعمان: أن أكون ضعيفا وأنا في طاعة الله أحبّ إليّ من أن أكون قويا في معصية الله، وما كنت لأهتك سترا ستره الله.

فكتب يقول النعمان إلى يزيد، فدعا مولى له يقال له: سرجون - وكان يستشير - فأخبره الخبر، فقال له: أكنت قابلاً من معاوية لو كان حيّاً؟ قال: نعم، قال: فأقبل منّي فإنه ليس للكوفة إلاّ عبيد الله بن زياد، فولّها إياه، وكان يزيد عليه ساخطاً، وكان همّ بعزله عن البصرة، فكتب إليه برضائه وأنه قد ولّاه الكوفة مع البصرة، وكتب إليه: أن يطلب مسلم بن عقيل فيقتله إن وجده، قال: فأقبل عبيد الله في وجوه أهل البصرة حتى قدم الكوفة متلثماً ولا يمرّ على مجلس من مجالسهم فيسلم إلاّ قالوا: عليك السلام يا ابن بنت رسول الله، وهم يظنون أنه الحسين بن عليّ عليه السلام، حتّى نزل القصر فدعا مولى له فأعطاه ثلاثة آلاف وقال له: اذهب حتى تسأل عن الرجل الذي يبيع له أهل الكوفة، فأعلمه أنك رجل من أهل حمص جئت لهذا الامر، وهذا مال تدفعه إليه ليتقوى، فلم يزل يتلطّف ويرفق به حتى دلّ على شيخ من أهل الكوفة يلي البيعة، فلقيه فأخبره، فقال له الشيخ: لقد سرتني لقاءك إياي وقد ساءني، فأما ما سرتني من ذلك فما هداك الله له، وأما ما ساءني فإن أمرنا لم يستحكم بعد. فأدخله إليه، فأخذ منه المال وبايعه ورجع إلى عبيد الله فأخبره

فتحوّل مسلم حين قدم عبيد الله بن زياد من الدار التي كان فيها إلى منزل هاني بن عروة المرادي، وكتب مسلم بن عقيل إلى الحسين بن عليّ عليه السلام يخبره ببيعته اثني عشر ألفاً من أهل الكوفة، ويأمره بالقدوم. وقال عبيد الله لوجوه أهل الكوفة: مالي أرى هاني بن عروة لم يأتني فيمن أتاني؟ قال: فخرج إليه محمد بن الأشعث في ناس من قومه وهو على باب داره، فقالوا: إن الأمير قد ذكرك واستبطأك، فانطلق إليه، فلم يزالوا به حتى ركب وسار حتى دخل على عبيد الله وعنده شريح القاضي، فلما نظر إليه قال لشريح: أتتكم بحائن رجلاه. فلما سلّم عليه قال: يا هاني أين مسلم؟ قال: ما أدري، فأمر عبيد الله مولاه صاحب الدراهم فخرج إليه، فلما رآه قطع به، فقال: أصلح الله الأمير، والله ما دعوته إلى منزلي ولكنه جاء فطرح نفسه عليّ، قال: انتني به، قال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه، قال: ادنوه إليّ فأدني، فضربه على حاجبه فشجّه، قال: وأهوى هاني إلى سيف شرطيّ ليسلّه فدفع عن ذلك، وقال: قد أحلّ الله دمك، فأمر به فحبس في جانب

القصر^(١)

وقال غير أبي جعفر: الذي جاء بهاني بن عروة إلى عبيد الله بن زياد عمرو بن الحجاج الزبيدي، ذكر من قال ذلك: حدثنا عمرو بن علي قال: حدثنا أبو قتيبة قال: حدثنا يونس بن أبي اسحاق عن العيزار بن حريث قال: حدثنا عمارة بن عقبة بن أبي معيط. فجلس في مجلس ابن زياد فحدث، قال: طردت اليوم حمراً فأصبت منها حماراً فعقرته، فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي: إن حماراً تعقره أنت لحمار حائن، فقال: ألا أخبرك بأحين من هذا كله؟ رجل جىء بأبيه كافراً إلى رسول الله فأمر به أن يضرب عنقه، فقال: يا محمد، فمن للصبيبة؟ قال: النار. فأنت من الصبيبة وأنت في النار، قال: فضحك ابن زياد^(٢). رجع الحديث إلى حديث عمار الدهني عن أبي جعفر قال: فبينما هو كذلك إذ خرج الخبر إلى مذحج، فإذا على باب القصر جلبة سمعها عبيد الله فقال: ما هذا؟ فقالوا: مذحج، فقال لشريح: اخرج إليهم فأعلمهم أنني إنما حبسته لاسائله، وبعث عينا عليه من مواليه يسمع ما يقول، فمرّ بهاني بن عروة فقال له هاني: اتق الله يا شريح، فانه قاتلي، فخرج شريح حتى قام على باب القصر فقال: لا بأس عليه، إنما حبسه الامير ليسانله، فقال: صدق ليس على صاحبكم بأس، فتفرقوا. فأتي مسلماً الخبر فنادى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، فقدم مقدمته وعبئ ميمنته وميسرته وسار في القلب إلى عبيد الله، وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر، فلما سار إليه مسلم فانتهى إلى باب القصر أشرفوا على عشائهم فجعلوا يكلمونهم ويردونهم، فجعل أصحاب مسلم يتسللون حتى أمسى في خمسمائة، فلما اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً. فلما رأى مسلم أنه قد بقي وحده يتردد في الطرق حتى أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة فقال لها: اسقيني، فسقته ثم دخلت فمكثت ما شاء الله، ثم خرجت. فإذا هو على الباب، قالت: يا عبد الله إن مجلسك مجلس ريبة، فقم. قال: إني أنا مسلم بن عقيل، فهل عندك مأوى؟ قالت: نعم ادخل، وكان ابنها مولى لمحمد بن الأشعث، فلما علم به الغلام

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٥٧ - ٢٥٩.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٥٧ - ٢٥٩.

انطلق إلى محمد فأخبره، فانطلق محمد إلى عبيدالله فأخبره، فبعث عبيدالله عمرو بن حريث المخزومي - وكان صاحب شرطه - إليه، ومعه عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث، فلم يعلم مسلم حتى أحيط بالدار، فلما رأى ذلك مسلم خرج إليهم بسيفه فقاتلهم، فأعطاه عبد الرحمن الأمان فأمكن من يده، فجاء به إلى عبيدالله، فأمر به فأصعد إلى أعلى القصر فضربت عنقه، وألقي جثته إلى الناس، وأمر بهاني فسحب إلى الكناسة فصلب هنالك، وقال شاعرهم في ذلك:

فإن كنت لا تدريين ما الموت فانظري إلى هاني في السوق وابن عقيل
أصابهما أمر الامام فأصبجا أحاديث من يسعي بكل سبيل
أيركب أسماء الهماليج آمنة وقد طلبته مذحج بذحول^(١)

وذكر الطبري بعد صفحة من الكتاب أمر سفارة مسلم بن عقيل برواية ابي مخنف التي وصفها بقوله: «هي اشبع وأتم من خبر عمّار الدهني عن أبي جعفر»، فقال مأنصه: ثم دعا مسلم بن عقيل فسرّحه مع قيس بن مسهر الصيداي وعمارة بن عبيد السلولى وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الارحبي فأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف فإن رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجل إليه بذلك، فأقبل مسلم حتى أتى المدينة فصلّى في مسجد رسول الله ﷺ وودّع من أحب من أهله، ثم استأجر دليلين من قيس فأقبلا به، فضلاً الطريق وجارا، وأصابهم عطش شديد، وقال الدليلان: هذا الطريق حتى ينتهي إلى الماء وقد كادوا أن يموتوا عطشا، فكتب مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيداي إلى حسين وذلك بالمضيق من بطن الخبيت، أما بعد: فإني أقبلت من المدينة معي دليلان لي، فجارا عن الطريق وضلا، واشتد علينا العطش، فلم يلبثا أن ماتا، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا، وذلك الماء بمكان يدعي المضيق من بطن الخبيت، وقد تطيّرت من وجهي هذا، فإن رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري، والسلام.

فكتب إليه حسين، أما بعد: فقد خشيت ألا يكون حملك على الكتاب إليّ في

الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن، فامض لوجهك الذي وجهتك له، والسلام عليك.

فقال مسلم لمن قرأ الكتاب: هذا ما لست أتخوفه على نفسي، فأقبل كما هو حتى مرّ بماء لطّي فنزل بهم، ثم ارتحل منه، فإذا رجل يرمي الصيد فنظر إليه قد رمى طيباً حين أشرف له فصرعه، فقال مسلم: يقتل عدونا إن شاء الله، ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة، فنزل دار المختار بن أبي عبيد، وهي التي تدعي اليوم دار مسلم بن المسيب، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فلما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب حسين، فأخذوا يبيكون.

فقام عابس بن أبي شبيب الشاكري، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإني لا أخبرك عن الناس ولا أعلم ما في أنفسهم وما أغرك منهم؟ والله أحدثك عمّا أنا موطن نفسي عليه، والله لأجيبنكم إذا دعوتهم، ولا قاتلنّ معكم عدوكم، ولا ضربنّ بسيفي دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله.

فقام حبيب بن مظاهر الفقعسي فقال: رحمك الله، قد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك، ثم قال: وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه.

ثم قال الحنفي مثل ذلك، فقال: الحجاج بن عليّ: فقلت لمحمد بن بشر: فهل كان منك أنت قول، فقال: إن كنت لأحب أن يعزّ الله أصحابي بالظفر وما كنت لأحب أن أقتل، وكرهت أن أكذب. واختلفت الشيعة إليه حتى علم مكانه، فبلغ ذلك النعمان بن بشير^(١).

موارد الاعتبار:

١ - قرر الحسين إرسال من يستطلع له حقيقة الموقف من قرب، واختار لهذه المهمة ابن عمّه مسلم بن عقيل ليستطلع عن الحالة بالاتصال المباشر بالملأ من المؤمنين والمسلمين، وأرسله في جماعة مكونة من ثلاثة أشخاص هم:

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٦٢ - ٢٦٤.

- قيس بن مسهر الصيد اوي.

- عمارة بن عبيد السلولي.

- عبد الرحمن بن عبدالله.

٢- دعى الحسين مسلم بن عقيل (فأمره بتقوى الله، وكتمان أمره، واللفظ، فإن رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجل بذلك)، فإن هذه النقاط الأربع من التقوى والكتمان واللفظ واجتماع الناس مستوثقين هي واجبات السفير، وقد أداها مسلم حرفياً كما يظهر من رسالته الى الامام.

٣- ان كون سفارة مسلم بصحبة آخرين تكون لجنة معتمدة للشورى في تطبيق القواعد الأربع التي وجههم الحسين بها، وقد أضيف إلى اللجنة دليلان من قيس فصاروا خمسة أفراد.

٤- خرج مسلم من مكة سفيراً للحسين متحلياً بالآداب الإسلامية (فأقبل مسلم حتى أتى المدينة، فصلّى في مسجد رسول الله، ووداع من أحب من أهله، واستأجر دليلين) فإن الصلاة والوداع واستئجار دليلين هي آداب اسلامية تجاه الله والأهل والطريق، بحيث لو ضلّ أحد الدليلين ساعده الآخر.

٥- لم يتسلم مسلم رسالة خاصة إلى شخص خاص في الكوفة، وإن اضطر إلى النزول في دار المختار (وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فلما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين فأخذوا يبكون) فالرسالة كانت رسالة مفتوحة عامة.

موقف يزيد

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني نمر بن وعلة عن أبي الوداك قال: خرج إلينا النعمان بن بشير فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فاتقوا الله عباد الله، ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فان فيهما يهلك الرجال وتسفك الدماء وتغصب الاموال - وكان حليماً ناسكاً يحب العافية - قال: إني لم أقاتل من لم يقاتلني، ولا أثب على من لا يشب عليّ، ولا

أشاتمكم، ولا أتحرس بكم، ولا آخذ بالقرف ولا الظنة ولا التهمة، ولكنكم إن أبديتكم صفحتكم لي ونكتستم بيعتكم وخالفتم إمامكم فوالله الذي لا إله غيره لا ضربنكم بسيوفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر، أما إني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل

قال: فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أمية فقال: إنه لا يصلح ما ترى إلا الغشم، إن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين. فقال: أن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إليّ من أن أكون من الأعزّين في معصية الله، ثم نزل.

وخرج عبد الله بن مسلم وكتب إلى يزيد بن معاوية: أما بعد، فإن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة فبايعته الشيعة للحسين بن عليّ، فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلا قويا ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوك، فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعّف، فكان أول من كتب إليه، ثم كتب إليه عمارة بن عقبة بنحو من كتابه، ثم كتب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص بمثل ذلك.

قال هشام: قال عوانة: فلما اجتمعت الكتب عند يزيد ليس بين كتبهم إلا يومان، دعا يزيد بن معاوية سرجون مولى معاوية فقال: ما رأيك، فإن حسيناً قد توجّه نحو الكوفة ومسلم بن عقيل بالكوفة يبايع للحسين، وقد بلغني عن النعمان ضعف وقول سيّء وأقرأه كتبهم، فما ترى، من أستعمل على الكوفة؟ وكان يزيد عاتبا على عبيد الله بن زياد، فقال سرجون: أرايت معاوية لو نشر لك، أكنت آخذا برأيه؟ قال: نعم، فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة فقال: هذا رأي معاوية ومات وقد أمر بهذا الكتاب، فأخذ برأيه وضمّ المصريين إلى عبيد الله، وبعث إليه بعهد على الكوفة. ثم دعا مسلم بن عمرو الباهلي وكان عنده فبعثه إلى عبيد الله بعهد إلى البصرة، وكتب إليه معه، أما بعد، فإنه كتب إلى شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أن ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشق عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي أهل الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تتفقّه، فتوثقه أو تقتله أو تنفيه، والسلام. فأقبل مسلم بن عمرو حتى قدم على عبيد الله بالبصرة،

فأمر عبيدالله بالجهاز والتهيؤ والمسير إلى الكوفة من الغد.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - كانت سياسة السلطة المتمثلة بوالي الكوفة: النعمان بن بشير سياسة ليّنة تجاه حركة الحسين، فانه كان يدعو إلى اللين بقوله: (لا تسارعوا إلى الفتنة) وفي نفس الوقت يهدّد بقوله: (لأضربنكم بسيفي) وذلك ليكسب الوقت حتى يصل اليه القرار الحاسم من القيادة العليا المتمثلة بيزيد بن معاوية في دمشق.

٢ - ان دعاة الشدّة في المواجهة في السلطة كانوا يرون في هذا الموقف ضعفاً في السلطة، فأرادوا الردّ السريع، منهم: عبدالله الحضرمي حليف بني أمية فانه قام فقال: (ان هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين).

٣ - إنّ قرار القمع كان قراراً مسبقاً و مدروساً احتياطاً من قبل السلطة العليا، حيث أظهره سرجون مولى معاوية. فقال سرجون مخاطباً يزيد بن معاوية: (أرأيت معاوية لو نُشِرَ لك، أكنت آخذاً برأيه؟ قال: نعم، فأخرج عهد عبيدالله [ابن زياد] على الكوفة فقال: هذا رأي معاوية ومات وقد أمر بهذا الكتاب).

٤ - قد توجّحت كفة المتشدّدين في السلطة بأمر قيادي من شخص يزيد بن معاوية، جاء فيه مخاطباً ابن زياد (فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي أهل الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه) حيث جعل هذه الخيارات الثلاث بالترتيب فالحبس أولاً لأن امكن؛ لغرض استجوابه. وان لم يمكن فالقتل، وان لم يمكن أيضاً لكثرة المعارضين فالنفي والتباعد.

موقف ابن زياد

رواية الطبري:

وقد كان حسين كتب إلى أهل البصرة كتابا، قال هشام: قال أبو مخنف: حدّثني الصقعب بن زهير عن أبي عثمان النهدي قال: كتب حسين مع مولى لهم يقال له: سليمان، وكتب بنسخة إلى رؤوس الأخماس بالبصرة وإلى الأشراف، فكتب إلى مالك بن مسمع البكري وإلى الأحنف بن قيس وإلى المنذر بن الجارود وإلى مسعود بن عمرو وإلى قيس بن الهيثم وإلى عمرو بن عبيد الله بن معمر، فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها: أما بعد، فإن الله اصطفى محمداً على خلقه وأكرمه بنبوّته واختاره لرسالته ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده، وبلغ ما أرسل به وكنا أهله وأولياءه وأوصيائه وورثته، وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه، وقد أحسنوا وأصلحوا وتحروا الحق فرحمهم الله وغفر لنا ولهم، وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه فإن السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت، وإن تسمعوا قولِي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله

فكل من قرأ ذلك الكتاب من أشراف الناس كتبه غير المنذر بن الجارود فإنه خشي - بزعمه - أن يكون دسيسا من قبل عبيد الله فجاءه بالرسول من العشية التي يريد صبيحتها أن يسبق إلى الكوفة، وأقرأه كتابه، فقدم الرسول فضرب عنقه، وصعد عبيد الله منبر البصرة فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فوالله ما تقرن بي الصعبة، ولا يقعق لي بالشنان، وإني لتكِلُّ لمن عاداني، وسِمُّ لمن حاربني، أنصف القارة من رامها، يا أهل البصرة إن أمير المؤمنين ولاني الكوفة وأنا غادٍ إليها الغداة، وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان وإياكم والخلاف والارجاف، فوالذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لاقتلته وعريفه ووليه، ولآخذن الأدنى بالأقصى حتى تستمعوا لي ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق، أنا ابن زياد أشبهته من بين من وطئ الحصي ولم ينتزعني شبه خال

ولا ابن عم^(١).

موارد الاعتبار:

١ - أختار ابن زياد ان يتحرك من البصرة إلى الكوفة مستصحباً معه - بالإضافة إلى جيشه - رجلاً من قادة الشيعة (شريك بن الأعور) وكان شيعة لعلي فكان أول من سقط من الناس شريك، فيقال: انه تساقط غمرةً ومعه ناس)، مما يكشف عن ان استصحابه كان لغرض سياسي وهو الفصل بين هذا القائد الشيعي وقاعدته، وانهم اكتشفوا هذه الخطة في الطريق (فتساقط غمرةً ومعه ناس).

٢ - خطط ابن زياد لمواجهة مسلم بن عقيل بالطرق المعروفة من التهديد لإيجاد الرعب والوحشة من جنود الشام وتفريق كلمة الشعب باستمالة القادة، والحصار بإعلان الحكم العسكري في البلاد.

٣ - ان الأشراف الذين وجهه الحسين وجهوا الدعوه اليه، - ما عدى. واحد منهم - كانوا مؤيدين لحركة الحسين فإن (كل من قرأ ذلك الكتاب كتمه غير المنذر ابن الجارود) فإنّ كتمان هذه الرسالة تكشف عن ولائه للحسين وحذره من السلطة) في آن واحد.

٤ - إن ابن زياد لم يترك البصرة إلا بعد ان استوثق من أمرها، فإن مغادرة البصرة في ليلة واحدة لا بد وان يسبقها تخطيط مسبق مدروس من قبل أنصار السلطة كتخطيط وقائي.

٥ - خطبة ابن زياد احتوت على نقاط في غاية القسوة:

- العقاب قبل الجناية، بما لم يسبق لها مثيل في تاريخ الإسلام.

- قتل المخالف.

- قتل العريف وصلبه على باب داره.

ابن زياد في الكوفة

رواية الطبري:

ثم خرج من البصرة واستخلف أخاه عثمان بن زياد، وأقبل إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي، وشريك بن الاعور الحارثي وحشمه وأهل بيته، حتى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء، وهو متلثم والناس قد بلغهم إقبال حسين إليهم، فهم ينتظرون قدومه، فظنوا حين قدم عبيد الله أنه الحسين، فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلا سلموا عليه وقالوا: مرحبا بك يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم، فرأى من تبشيرهم بالحسين عليه السلام ما ساءه، فقال: مسلم بن عمرو لما أكثروا: تأخروا هذا الأمير عبيد الله بن زياد، فأخذ حين أقبل على الظهر وإنما معه بضعة عشر رجلا، فلما دخل القصر وعلم الناس أنه عبيد الله بن زياد دخلهم من ذلك كآبة وحزن شديد، وغاز عبيد الله ما سمع منهم وقال: ألا أرى هؤلاء كما أرى؟

قال هشام: قال أبو مخنف: فحدثني المعلّى بن كليب عن أبي وداك قال: لما نزل القصر نوذي: الصلاة جامعة، قال: فاجتمع الناس فخرج إلينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن أمير المؤمنين أصلحه الله ولآني مصركم وثركم، وأمرني بانصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدة على مريبكم وعاصيكم، وأنا متبّع فيكم أمره ومنفذ فيكم عهده، فأنا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البر، وسوطي وسيفي على من ترك أمري وخالف عهدي، فليبق امرؤ على نفسه الصدق ينبيء عنك لا الوعيد ثم نزل.

فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً فقال: اكتبوا إليّ الغرباء ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبرئ، ومن لم يكتب لنا أحداً فيضمن لنا ما في عرفته إلا يخالفنا منهم مخالف ولا يبغى علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة، وحلال لنا ماله وسفك دمه، وأيما عريف وجد في عرفته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، وألغيت تلك العرافة من العطاء وسير إلى موضع بعمان الزارة.

وأما عيسى بن يزيد الكناني فانه قال - فيما ذكر عمر بن شبة، عن هارون بن مسلم، عن علي بن صالح، عنه - قال: لما جاء كتاب يزيد إلى عبيدالله بن زياد انتخب من أهل البصرة خمسمائة فيهم عبد الله بن الحارث بن نوفل، وشريك بن الأعور وكان شيعَةً لعليّ فكان أول من سقط بالناس شريك، فيقال: إنه تساقط غمرة ومعه ناس، ثم سقط عبد الله بن الحارث وسقط معه ناس، ورجوا أن يلوي عليهم عبيدالله ويسبقه الحسين إلى الكوفة، فجعل لا يلتفت إلى من سقط ويمضي حتى ورد القادسية، وسقط مهران مولاه فقال: أيا مهران على هذه الحال ان أمسكت عنك حتى تنظر إلى القصر فلك مائة ألف قال: لا والله ما أستطيع، فنزل عبيد الله فأخرج ثيابا مقطّعة من مقطّعات اليمن ثم اعتجر بمعجرة يمانية فركب بغلته ثم انحدر راجلا وحده، فجعل يمرّ بالمحارس فكلما نظروا إليه لم يشكّوا أنه الحسين فيقولون: مرحبا بك يا ابن رسول الله! وجعل لا يكلمهم وخرج إليه الناس من دورهم ويوتهم، وسمع بهم النعمان بن بشير فغلق عليه وعلى خاصته، وانتهى إليه عبيدالله وهو لا يشك أنه الحسين، ومعه الخلق يضجّون، فكلمه النعمان فقال: أنشدك الله إلّا تنحيت عني ما أنا بمسلم إليك أمانتي، وما في قتلك من إرب. فجعل لا يكلمه ثم إنه دنا وتدلّى الآخر بين شرفتين فجعل يكلمه فقال: افتح لافتحت فقد طال ليلك، فسمعها إنسان خلفه فتكفّى إلى القوم فقال: أي قوم ابن مرجانة والذي لا إله غيره. فقالوا: ويحك إنما هو الحسين، ففتح له النعمان فدخل، وضربوا الباب في وجوه الناس فانفضوا، وأصبح فجلس على المنبر، فقال: أيها الناس إني لاعلم أنه قد سار معي وأظهر الطاعة لي من هو عدو للحسين حين ظن أن الحسين قد دخل البلد وغلب عليه، والله ما عرفت منكم أحدا؛ ثم نزل.

وأخبر أن مسلم بن عقيل قدم قبله بليلة وأنه بناحية الكوفة، فدعا مولى لبني تميم فأعطاه مالا وقال: انتحل هذا الامر وأعنتهم بالمال واقصد لهاني ومسلم وانزل عليه، فجاء هائنا فأخبره أنه شيعه وأنّ معه مالا. وقدم شريك بن الأعور شاكيا فقال لهاني: مر مسلما يكون عندي فإن عبيدالله يعودني، وقال شريك لمسلم: رأيته إن أمكنتك من عبيدالله أضاربه أنت بالسيف؟ قال: نعم والله. وجاء عبيدالله شريكا يعوده في منزل هاني، وقد

قال شريك لمسلم: إذا سمعتني أقول: اسقوني ماء، فاخرج عليه فاضربه، وجلس عبيدالله على فراش شريك وقام على رأسه مهران، فقال: اسقوني ماء، فخرجت جارية بقدر فرأت مسلما فزالت، فقال شريك: اسقوني ماء، ثم قال الثالثة: ويلكم تحموني الماء؟ أسقوني به ولو كانت فيه نفسي، ففطن مهران فغمز عبيدالله فوثب، فقال شريك: أيها الأمير إني أريد أن أوصي إليك، قال: أعود إليك، فجعل مهران يطرد به وقال: أراد والله قتلك، قال: وكيف مع إكرامي شريكا، وفي بيت هاني، ويد أبي عنده يد؟ فرجع، فأرسل إلى أسماء بن خارجة ومحمد بن الأشعث فقال: اثنياني بهاني. فقالا له: إنه لا يأتي إلا بالأمان، قال: وماله وللأمان، وهل أحدث حدثا؟ انطلقا فإن لم يأت إلا بأمان فآمنه، فأتياه فدعواه، فقال: إنه إن أخذني قتلني. فلم يزالا به حتى جاء به وعبيدالله يخطب يوم الجمعة، فجلس في المسجد وقد رجل هاني غديرته، فلما صلى عبيدالله قال: يا هاني، فتبعه، ودخل فسلم، فقال عبيدالله: يا هاني، أما تعلم أن أبي قدم هذا البلد فلم يترك أحدا من هذه الشيعة إلا قتله غير أبيك وغير حجر وكان من حجر، ما قد علمت، ثم لم يزل يحسن صحبتك، ثم كتب إلى أمير الكوفة أن حاجتي قبلك هاني؟ قال: نعم، قال: فكان جزائي أن خبأت في بيتك رجلا ليقتلني؟ قال: ما فعلت، فأخرج التميمي الذي كان عينا عليهم، فلما رآه هاني علم أن قد أخبره الخبر، فقال: أيها الأمير قد كان الذي بلغك ولن أضيع يدك عني فأنت آمن وأهلك فسر حيث شئت، فكبا عبيدالله عندها ومهران قائم على رأسه في يده معكزة فقال: واذا لاه هذا العبد الحائك يؤمّنك في سلطانك، فقال: خذه، فطرح المعكزة وأخذ بصفيرتي هاني ثم أقنع بوجهه، ثم أخذ عبيدالله المعكزة فضرب به وجه هاني، وندر الزج فارتز في الجدار، ثم ضرب وجهه حتى كسر أنفه وجبينه، وسمع الناس الهيعة، وبلغ الخبر مذحج فأقبلوا فأطافوا بالدار، وأمر عبيدالله بهاني فألقي في بيت وصيح المذحجيون، وأمر عبيدالله مهران أن يدخل عليه شريحا فخرج فأدخله عليه ودخلت الشرط معه، فقال: يا شريح قد ترى ما يصنع بي؟ قال: أراك حيا، قال: وحيّ أنا مع ماترى؟ أخبر قومي أنهم إن انصرفوا قتلني، فخرج إلى عبيدالله فقال: قد رأيته حيا ورأيت أثرا سيئا، قال: وتكر أن يعاقب الوالي رعيته؟ اخرج إلى هؤلاء فأخبرهم، فخرج وأمر

٤٦ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

عبيد الله الرجل فخرج معه، فقال لهم شريح: ما هذه الرعة السيئة، الرجل حي وقد عاتبه سلطانه بضرب لم يبلغ نفسه، فانصرفوا ولا تحلّوا بأنفسكم ولا بصاحبكم. فانصرفوا^(١)

موارد الاعتبار:

١ - يظهر مدى خوف ابن زياد من روح الجماهير الثورية من أساليبه التي اتخذها في المكر والتضليل في كيفية الوصول إلى الكوفة، فقد دخلها بعد ان توقف في ظهر النجف مراعيًا النقاط التالية:

أ - الدخول ليلاً إلى الكوفة.

ب - تغيير الزيّ بزّي أهل الحجاز، ولبس العمامة السوداء و دخوله الكوفة متلثمًا.

ج - الالتزام بالسكوت دائماً.

د - الدخول من جهة البادية ليوهم على الناس انه الحسين الذي ينتظرونه؟

٢ - ويظهر ان ذلك كان بتخطيط مسبق مع عملائه وجواسيسه، وهم الذين أعلنوا: الله اكبر، ابن رسول الله) فتصايح الناس اذ كيف يخفى ذلك على المخلصين من شيعة الحسين أمر الحسين حين وصوله.

٣ - حسب الرواية الأخرى استصحب ابن زياد معه جماعة منهم شريك بن الحارث الحارثي، وكان هذا شديد التشيع وقد شهد صفين، وكان أبوه الحارث الهمداني من خواص أصحاب أمير المؤمنين، ولا يعني هذا الاستصحاب سوى محاولة تفريق كلمة الشيعة، فإنه يؤمّن هدفين، أولاً: قطع الصلة بين القيادة والقاعدة. والثانية: الدعاية في صفوف الشعب بأن في القيادة الذي يشرف عليها ابن زياد شخصيات شيعيّة. ولا يُعلم ما السبب دعى الذي شريكاً إلى الرضوخ الى هذا لأمر سوى الخوف.

٤ - ان ابن زياد سار بسرعة هائلة للوصول إلى الكوفة لخوفه الشديد من سقوطها في أيدي الثوّار، وكان - كما في رواية أخرى للطبري - استصحب معه خمسمائة شخص

سقطوا في الطريق وكان أول من سقط أو تساقط: شريك ابن الحارث، وآخرهم مولاه مهران، وابن زياد لا يلتفت إلى من سقط إلى أن انحدر راجلاً وحده.

٥- انطلقت أساليب ابن زياد على الناس حتى وصل إلى القصر، وأنداك أزال اللثام عن وجهه معرّفاً بشخصيته، ومن الغريب ان الناس لم يكشفوا عن شخصيته من خلال تصرفاته وأسلوبه في الوصول إلى القصر، مما يكشف عن تخطيط مسبق وقوة دعاية ابن زياد وشبكاته الإعلامية لتضليل الرأي العام.

خطة الاغتيال

رواية الطبري:

وذكر هشام عن أبي مخنف عن المعلى بن كليب عن أبي الوداك قال: نزل شريك بن الاعور على هاني ابن عروة المرادي، وكان شريك شيعياً وقد شهد صفين مع عمار، وسمع مسلم بن عقيل بمجيئ عبيد الله ومقاتله التي قالها وما أخذ به العرفاء والناس فخرج من دار المختار وقد علم به حتى انتهى إلى دار هاني بن عروة المرادي فدخل بابه وأرسل إليه أن اخرج، فخرج إليه هاني فكره هاني مكانه حين رآه، فقال له مسلم: أتيتك لتجبرني وتضيفني، فقال: رحمك الله لقد كلفتنني شططا، ولولا دخولك داري وثقتك لاحببت ولسألتك أن تخرج عني، غير أنه يأخذني من ذلك ذمام، وليس مردود مثلي على مثلك عن جهل، أدخل، فأواه. وأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هاني بن عروة، ودعا ابن زياد مولى يقال له: معقل فقال له: خذ ثلاثة آلاف درهم ثم اطلب مسلم بن عقيل واطلب لنا أصحابه ثم أعطهم هذه الثلاثة آلاف، فقل لهم: استعينوا بها على حرب عدوكم وأعلمهم أنك منهم، فانك لو قد أعطيتها إياهم اطمأنوا إليك ووثقوا بك ولم يكتموك شيئا من أخبارهم، ثم اغد عليهم ورح، ففعل ذلك. فجاء حتى أتى إلى مسلم بن عوسجة الاسدي من بني سعد بن ثعلبة في المسجد الاعظم وهو يصلي وسمع الناس يقولون: إن هذا يبيع للحسين، فجاء فجلس حتى فرغ من صلاته ثم قال: يا عبد الله إني امرؤ من أهل الشام مولى لذي الكلاع، أنعم الله عليّ بحب أهل هذا البيت وحب من أحبهم، فهذه ثلاثة آلاف

درهم أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله، وكنت أريد لقاءه فلم أجد أحداً يدلني عليه ولا يعرف مكانه، فاني لجالس آنفاً في المسجد إذ سمعت نفاً من المسلمين يقولون: هذا رجل له علم بأهل هذا البيت، وإنني أتيتك لتقبض هذا المال وتدخلني على صاحبك فأبأيعه، وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقاءه، فقال: احمد الله على لقاءك إياي، فقد سرّني ذلك لتنال ما تحب ولينصر الله بك أهل بيت نبيه، ولقد ساءني معرفتك إياي بهذا الامر من قبل أن ينمي مخافة هذا الطاغية وسطوته، فأخذ بيعته قبل أن يبرح وأخذ عليه المواثيق المغلظة ليناصحنّ وليكتمنّ، فأعطاه من ذلك ما رضي به، ثم قال له: اختلف إليّ أيّاماً في منزلي فأنا طالب لك الاذن على صاحبك فأخذ يختلف مع الناس، فطلب له الاذن، فمرض هاني بن عروة فجاء عبيد الله عائداً له، فقال له عمارة بن عبيد السلولي: انما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية، فقد أمكنك الله منه فاقتله، قال هاني: ما أحبّ أن يقتل في داري، فخرج.^(١)

موارد الاعتبار:

١- في نفس الوقت استخدم اسلوب التجسس على المعارضة، وخاصة الذين لم تؤثر فيهم التهديدات والتطميع، من الذين حافظوا على سلامة مسلم بن عقيل، بالرغم من الجوّ الإرهابي السائد.

٢- استخدم ابن زياد رجلاً غريباً عن البلد باسم معقل - ولعله اسم مستعار - للقيام بدور التجسس، واستخدم المال ليوصلها إلى أصحاب مسلم، وأظهر نفسه أنه من أهل حمص وكان يقول: (إتستعينوا بها على حرب عدوكم)، باعتباره ممن استصبر من أهل الشام.

٣- وفي الصباح كان أول ما قام به ابن زياد هو إعلان الحكم العسكري في خطبته وأوامره للشرطة بقوله: (اكتبوا إليّ الغرباء ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم

من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق...).

رفض الاغتيال

رواية الطبري:

فما مكث إلا جمعة حتى مرض شريك بن الأعور، وكان كريما على ابن زياد وعلى غيره من الامراء، وكان شديد التشيع، فأرسل إليه عبيدالله إني رائح اليك العشية، فقال لمسلم: ان هذا الفاجر عائدي العشية، فإذا جلس فاخرج إليه فاقتله، ثم أقعد في القصر ليس أحد يحول بينك وبينه، فان برئت من وجعي هذا أيامي هذه سرت إلى البصرة وكفيتك أمرها، فلما كان من العشي أقبل عبيدالله لعيادة شريك، فقام مسلم بن عقيل ليدخل وقال له: شريك لا يفوتك إذا جلس، فقام هاني بن عروة إليه فقال: اني لا أحب أن يقتل في داري، كأنه استتبع ذلك، فجاء عبيدالله بن زياد فدخل فجلس، فسأل شريكا عن وجعه وقال: ما الذي تجد ومتى أشكيت؟ فلما طال سؤاله إياه ورأى أن الآخر لا يخرج، خشي أن يفوته فأخذ يقول: ما تنظرون بسلامي أن تحيوها، أسقنيها وإن كانت فيها نفسي، فقال ذلك مرتين أو ثلاثا، فقال عبيدالله، ولا يفتن: ما شأنه، أترونه يهجر؟ فقال، له هاني: نعم، أصلحك الله ما زال هذا ديدنه قبيل عماية الصبح حتى ساعته هذه، ثم إنه قام فانصرف، فخرج مسلم فقال له شريك: ما منعك من قتله؟ فقال: خصلتان، أما إحداهما فكراهة هاني ان يقتل في داره، وأما الاخرى فحديث حدثه الناس عن النبي : «إن الايمان قيد الفتك، ولا يفتك مؤمن» فقال هاني أما والله لو قتلته لقتلت فاسقا فاجرا كافرا غادرا، ولكن كرهت أن يقتل في داري: ولبت شريك بن الاعور بعد ذلك ثلاثا ثم مات، فخرج ابن زياد فصلّى عليه وبلغ عبيدالله بعد ما قتل مسلما وهانئا أن ذلك الذي كنت سمعت من شريك في مرضه إنما كان يحرض مسلما ويأمره بالخروج إليك ليقتلك، فقال عبيدالله: والله لا أصلي على جنازة رجل من أهل العراق أبدا، والله لولا أن قبر زياد فيهم لنبشت شريكا.

ثم أن معقلا مولى ابن زياد الذي دسّه بالمال إلى ابن عقيل وأصحابه اختلف إلى مسلم

بن عوسجة أياما ليدخله على ابن عقيل، فأقبل به حتى أدخله عليه بعد موت شريك بن الاعور، فأخبره خبره كله، فأخذ ابن عقيل بيعته وأمر أبا ثمامة الصائدي فقبض ماله الذي جاء به، وهو الذي كان يقبض أموالهم وما يعين به بعضهم بعضا يشتري لهم السلاح وكان به بصيرا وكان من فرسان العرب ووجوه الشيعة، وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم فهو أول داخل وآخر خارج، يسمع أخبارهم ويعلم أسرارهم، ثم ينطلق بها حتى يقرّها في أذن ابن زياد. قال: وكان هاني يغدو ويروح إلى عبيدالله، فلما نزل به مسلم انقطع من الاختلاف وتمارض فجعل لا يخرج فقال ابن زياد لجلسائه: مالي لا أرى هانئا؟ فقالوا: هو شاك. فقال: لو علمت بمرضه لعدته. (١)

موارد الاعتبار:

١- بما ان كل فعل ينتج ردّ فعل مساوي له فإن أصحاب مسلم اتخذوا التكتل السريع تجاه حركة ابن زياد وأول بادره قاموا بها ان نقلوا مسلم سرا من دار المختار إلى دار هاني بن عروة لإعفاء الأثر؛ باعتبار ان هاني شخصية بارزة لا يمكن التعدي عليها.

٢- ان شريك المذحجي الذي اصطحبه معه ابن زياد من البصرة كان قد نزل على هاني، وقد أشار على مسلم باغتيال ابن زياد، وأجاب مسلم بالرفض مستنداً إلى الحديث النبوي: «بأن الإيمان قيد الفتك» معلنا عن التزامه بمبدأ الإسلام بأن الغاية لا تبرر الوسطة، وأيضاً: أن رفض مسلم للإغتيال يعبر عن مبدأ إنساني، هو إحترام حق الضيافة؛ خصوصاً وأن صاحب الدار - وهو هاني - كره أن يتحقق القتل في داره -.

والأسئلة التي تبقى بدون أجوبة كثيرة لا نتعرض هنا لذكرها.

٣- إن مسألة الإغتيال كانت عملية لا أثر لها مع تظافر القوى المعادية، وأيضاً: فإن الحرب يجب أن يعلن من قبل القيادة، والمفروض أنه لا قيادة حرة في مثل هذه الظروف، مع أن الإغتيال وسيلة كانت تظهر حركة مسلم بن عقيل بصورة عصابات اغتيال، و

حينئذ لا تخدم القضية، فيكون تحريفاً لأهداف الحسين وحركته الإصلاحية.

٤- إن الذين اقترحوا الإغتيال كان بإمكانهم أن يقوموا به بأنفسهم أو يأمرؤا به شخصاً آخر غير مسلم؛ فإن اقتراحهم ذلك على مسلم يوحى بأنهم كانوا يعتبرون أنفسهم أنهم هم القادة، وأنهم لم يؤمنوا بمسلم بن عقيل كقائد للحركة، وعليه لا يكون الإغتيال إلا تحقيقاً لأغراضهم الشخصية دون أهداف حركة الحسين.

موقف هاني بن عروة

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: فحدثني المجالد بن سعيد قال: دعا عبيدالله محمد بن الاشعث وأسماء بن خارجة، قال أبو مخنف: حدثني الحسن بن عقبة المرادي أنه بعث معهما عمرو بن الحجاج الزبيدي.

قال أبو مخنف: وحدثني نمير بن وعلة عن أبي الوداك قال: كانت روعة أخت عمرو بن الحجاج تحت هاني بن عروة، وهي أم يحيى بن هاني فقال لهم: ما يمنع هاني بن عروة من اتياننا، قالوا: ما ندري، أصلحك الله، وإنه ليتشكي قال: قد بلغني أنه قد برأ وهو يجلس على باب داره، فآلقوه فمروه ألا يدع ما عليه في ذلك من الحق، فاني لا أحب أن يفسد عندي مثله من أشرف العرب. فأتوه حتى وقفوا عليه عشية وهو جالس على بابه، فقالوا: ما يمنعك من لقاء الامير، فانه قد ذكرك، وقد قال: لو أعلم انه شاك لعدته. فقال لهم: الشكوى يمنعني، فقالوا له: يبلغه أنك تجلس كل عشية على باب دارك وقد استبطأك، والابطاء والجفاء لا يحتمله السلطان، أقسمنا عليك لما ركبت معنا، فدعا بثيابه فلبسها ثم دعا ببغلة فركبها حتى إذا دنا من القصر كأن نفسه أحست ببعض الذي كان، فقال لحسان بن أسماء بن خارجة: يا ابن أخي اني والله لهذا الرجل لخائف، فما ترى؟ قال: أي عم والله ما أتخوف عليك شيئاً، ولم تجعل على نفسك سبيلاً وأنت برىء؟ وزعموا أن أسماء لم يعلم في أي شيء بعث إليه عبيدالله، فأما محمد فقد علم به، فدخل القوم على ابن زياد ودخل معهم، فلما طلع قال عبيدالله: أتنك بحائن رجلاه، وقد عرس عبيدالله إذ ذاك بأم

نافع ابنة عمارة بن عقبة، فلما دنا من ابن زياد وعنده شريح القاضي التفت نحوه فقال:

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وقد كان له أول ما قدم مكرما ملطفا، فقال له هاني: وما ذاك أيها الأمير؟ قال: إيه يا هاني بن عروة، ما هذه الأمور التي تربص في دورك لأمر المؤمنين وعامة المسلمين، جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك، وظننت أن ذلك يخفى عليّ لك. قال: ما فعلت وما مسلم عندي. قال: بلى قد فعلت. قال: ما فعلت. قال: بلى. فلما كثر ذلك بينهما وأبى هاني إلّا مجاحدته ومناكرته دعا ابن زياد معقلا - ذلك العين - فجاء وقف بين يديه، فقال: أتعرف هذا؟ قال: نعم، وعلم هاني عند ذلك أنه كان عينا عليهم وأنه قد أتاها بأخبارهم، فسقط في خلده ساعة، ثم إن نفسه راجعته فقال له: اسمع مني وصدق مقالتي فوالله لا أكذبك والله الذي لا إله غيره ما دعوته إلى منزلي، ولا علمت بشيء من أمره حتى رأيته جالسا على بابي، فسألني النزول عليّ فاستحييت من ردّه ودخلني من ذلك ذمام. فأدخلته داري وضفته وآويته، وقد كان من أمره الذي بلغك؛ فان شئت أعطيت الآن موثقا مغلظا وما تظمنن إليه إلّا أبغيك سوءً وإن شئت أعطيتك رهينة تكون في يدك حتى آتيك وأنطلق إليه فأمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الارض فأخرج من ذمامه وجواره. فقال: لا والله لا تفارقني أبدا حتى تأتيني به، فقال: لا والله لا أجيئك به أبداً، أنا أجيئك بضيقي تقتله؟ قال: والله لتأتيني به. قال: والله لا آتيك به، فلما كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهلي وليس بالكوفة شامي ولا بصري غيره، فقال: أصلح الله الأمير خلّني وإياه حتى أكلّمه لما رأى لجاجته وتأنيبه على ابن زياد أن يدفع إليه مسلما، فقال لهاني: قم إلى هاهنا حتى أكلّمك، فقام فخلا به ناحية من ابن زياد وهما منه على ذلك قريب حيث يراهما، إذا رفعاً أصواتهما سمع ما يقولان، وإذا خفضا خفي عليه ما يقولان، فقال له مسلم: يا هاني إني أنشدك الله أن تقتل نفسك وتدخل البلاء على قومك وعشيرتك، فوالله إني لأنفس بك عن القتل، وهو يرى أن عشيرته ستحرّك في شأنه، إن هذا الرجل ابن عم القوم وليسوا قاتليه ولا ضائريه، فادفعه إليه فإنه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة إنما تدفعه إلى السلطان. قال:

بلى والله أن عليّ في ذلك للخزي والعار، أنا أدفع جاري وضيّفي وأنا حي صحيح أسمع وأرى، شديد الساعد كثير الأعوان، والله لو لم أكن إلا واحدا ليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه. فأخذ يناشده وهو يقول: والله لا أدفعه إليه أبدا. فسمع ابن زياد ذلك، فقال: أدنوه منّي، فأدنوه منه فقال: والله لتأتيني به أو لأضربنّ عنقك، قال: إذا تكثرت البارقة حول دارك، فقال: والهفا عليك، أبا البارقة تخوّفني، وهو يظن أن عشيرته سيمنعونه، فقال ابن زياد: أدنوه مني، فأدني فاستعرض وجهه بالقضيب، فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخدّه حتى كسر أنفه وسيل الدماء على ثيابه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب، وضرب هاني بيده إلى قائم سيف شرطيّ من تلك الرجال وجا الرجل ومنع، فقال عبيدالله: أحروري سائر اليوم، أحللت بنفسك، قد حلّ لنا قتلك. خذوه فآلقوه في بيت من بيوت الدار وأغلّقوا عليه بابه واجعلوا عليه حرسا ففعل ذلك به، فقام إليه أسماء بن خارجة فقال: أرسل غدر سائر اليوم، أمرتنا أن نجئك بالرجل حتى إذا جئناك به وأدخلناه عليك هشمت وجهه وسيّلت دمه على لحيته وزعمت أنك تقتله؟ فقال له عبيد الله: وإنك لها هنا فأمر به فلهز وتعتع به ثم ترك فحبس.

وأما محمد بن الأشعث فقال: قد رضينا بما رأى الأمير، لنا كان أم علينا، إنما الأمير مؤدّب.

وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانئا قد قتل، فأقبل في مذبح حتى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم ثم نادى: أنا عمرو بن الحجاج، هذه فرسان مذبح ووجوهها، لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة، وقد بلغهم أن صاحبهم يقتل، فأعظموا ذلك. فقبل لعبيد الله: هذه مذبح بالباب، فقال لشريح القاضي: ادخل على صاحبهم فانظر إليه ثم اخرج فأعلمهم أنه حي لم يقتل، وأنك قد رأيته، فدخل إليه شريح فنظر إليه.

قال أبو مخنف: فحدثني الصقعب بن زهير عن عبد الرحمن بن شريح قال: سمعته يحدث إسماعيل بن طلحة قال: دخلت على هاني فلما رأيته قال: يا الله يا للمسلمين، أهلكت عشيرتي، فأين أهل الدين، وأين أهل المصر تفاقدوا! يخلّوني، وعدّوهم وابن عدّوهم! والدماء تسيل على لحيته، إذ سمع الرجة على باب القصر، وخرجت وأتبعني،

فقال: يا شريح إني لأظنها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين، إن دخل عليّ عشرة نفر انقذوني قال: فخرجت إليهم ومعهم حميد بن بكر الاحمري أرسله معي ابن زياد - وكان من شرطه ممن يقوم على رأسه - وأيم الله لولا مكانه معي لكنت أبلغت أصحابه ما أمرني به، فلما خرجت إليهم قلت: إن الأمير لما بلغه مكانكم ومقاتلكم في صاحبكم أمرني بالدخول إليه، فأتيته فنظرت إليه، فأمرني أن ألقاكم وأن أعلمكم أنه حيّ، وأن الذي بلغكم من قتله كان باطلاه فقال عمرو وأصحابه: فأما إذ لم يقتل فالحمد لله، ثم انصرفوا.

قال أبو مخنف: حدثني الحجاج بن عليّ عن محمد بن بشير الهمداني قال: لما ضرب عبيد الله هائنا وحبسّه خشي أن يشب الناس به فخرج فصعد المنبر ومعه أشرف الناس وشرطه وحشمه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم، ولا تختلفوا ولا تفرقوا فتهلكوا وتذلوا وتقتلوا وتجفوا وتحرموا، إن أخاك من صدّك، وقد أعذر من أنذر. قال: ثم ذهب لينزل فما نزل عن المنبر حتى دخلت النظارة المسجد من قبل التمارين يشتدون ويقولون: قد جاء ابن عقيل، قد جاء ابن عقيل، فدخل عبيد الله القصر مسرعا وأغلق أبوابه.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - استهدف ابن زياد القضاء على أكبر العناصر المساندة لمسلم بن عقيل، وهو هاني بن عروة المرادي، حيث أن القضاء عليه يسبب الرعب في نفوس العامة، حيث أنه قال صاحب العشيرة والعدة.

٣ - ومن جانب آخر فقد كان هاني بن عروة احتاط للموقف، فانقطع عن حضور مجلس ابن زياد بحجة المرض، فأخذ ابن زياد يخطط للالتقاء به من ناحية عائلية، فدعى عمّه عمرو بن حجاج الزبيدي وهو أبو زوجته - حيث كانت بنته رويحة زوجة هاني - ويظهر أن دوره كان دور المغفل، وسأله ابن زياد: ما يمنع هاني أن يأتينا، وكان من

المدعويين محمد بن الأشعث ابن أخيه الذي كان يتربص للزعامة على العشيرة بعد هاني، وهو الذي اقنع هاني بالحضور.

٣- في حين اللقاء اتهم ابن زياد هانياً واستشهد على اتهامه بالعين والجاسوس «معقل» وكانت نقاط الاتهام ثلاث:

أ- جئت بمسلم بن عقيل.

ب- فأدخلته دارك.

ج- وجمعت له السلاح والرجال.

ونفي هاني من جانبه تهمتين واعترف بالثالثة:

١- ما دعوته إلى منزلي، رأيته جالساً على بابي.

٢- سألني النزول عليّ فاستحييت من رده.

٣- دخلني من ذلك ذمام فأدخلته داري وضيّفته وآويته.

وقد برر هاني هذه التهمة الثالثة استناداً على عادة عربية شائعة، فاقترح بما يخرج به عن هذا الذمام، ولكن ابن زياد لم يهتم بهذه العادة العربية، وكما يهتم بالاقتراح وكان بإمكانه أخذ مسلم بعد أن يخرج من الذمام، مما يظهر أن مقصده الرئيسي كان القضاء على رموز القيادة المتعاطفة مع حركة الحسين والتمثلة بهاني.

٤- أن هاني كان يعتمد على عشيرته وقومه، وعلل موقفه الراض لتسليم مسلم بالأعراف العربية بقوله: «أن أدفع جاري وضيّفي وأنا حيّ، صحيح أسمع وأرى، شديد الساعد، كثير الأعوان» ثم ذكر السبب العقائدي بقوله: «والله لو لم أكن إلا واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه إلا أن أموت دونه»، واتهم ابن زياد أخيراً بالتهمة العظمى بقوله الحروري ثم قال: «أحللت نفسك، قد حلّ لنا قتلوك».

٥- أن السلطة المتمثلة بإبن زياد كانت قد أعدت للوقعة بهذا الرمز المعارض بضربه من الداخل والخارج معاً، فكان الوسيلة للضربة من الداخل محمد بن الأشعث الذي قد علم بخطط ابن زياد - كما في رواية الطبري - فلم يكن مغفلاً، بل قد يكون ممن أطمع برئاسة العشيرة بعد هاني واستدرج بهاني إلى ابن زياد، وبعد أن ضرب ابن زياد هاني قال

الأشعث هذا: «قد رضينا بما رأى الأمير لنا كان علينا إنما الأمير مؤدّب» مما يكشف عن طاعة عمياء للسلطة. ومن الخارج استخدم ابن زياد شريح القاضي لتنفيذ دعاية السلطة وتثبيت عزائم العشيرة والأعوان ليتفرقوا عنه بخطة «فَرَق تسد»، وبعد أن شاهد شريح القاضي هاني والدماء تسيل على لحيته، وبعد أن طلب هاني منه أن أدخل عليّ عشرة نفر ينقذوني، خرج شريح القاضي مع شرطة ابن زياد يخبر العشيرة بأن هاني حيّ، وهو في محادثة ومفاوضة مع ابن زياد. وكانت النهاية واضحة لهاني، حيث رأى نفسه متورطاً في خيوط المؤامرة التي اكتشفها مؤخراً والتي انتهت بقتله.

موقف مسلم بن عقيل

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن حازم، قال: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لانظر إلى ما صار أمر هاني؛ قال: فلما ضُرب وحُبس ركبت فرسي وكنت أول أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر، وإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين: يا عثرتاه! يا ثكلاه! فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابه وقد ملأ منهم الدور حوله وقد بايعه ثمانية عشر ألفاً وفي الدور أربعة آلاف رجل، فقال لي: ناد «يا منصور أمت» فناديت: «يا منصور أمت» وتنادى أهل الكوفة، فاجتمعوا إليه، فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي على ربع كندة وربيعة، وقال: سر أمامي في الخيل، ثم عقد لمسلم بن عوسجة الاسدي على ربع مذحج وأسد، وقال: انزل في الرجال فأنت عليهم، وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان، وعقد لعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة، ثم أقبل نحو القصر، فلما بلغ ابن زياد إقباله تحرّز في القصر وغلّق الابواب.

قال أبو مخنف: وحدثني يونس بن أبي اسحاق عن عباس الجدلي قال: خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصر إلّا ونحن ثلثمائة قال: وأقبل مسلم يسير في الناس من مراد حتى أحاط بالقصر، ثم ان الناس تداعوا إلينا واجتمعوا، فوالله ما لبثنا إلّا قليلاً حتى

امتلا المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يثوبون حتى المساء فضاقت ببعيد الله ذرعه، وكان كُبر أمره أن يتمسك بباب القصر وليس معه إلا ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون رجلاً من أشرف الناس وأهل بيته ومواليه، وأقبل أشرف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار الروميين، وجعل من بالقصر مع ابن زياد يشرفون عليهم فينظرون إليهم فيتقون أن يرموهم بالحجارة وأن يشتموهم وهم لا يفترون على عبيد الله وعلى أبيه، ودعا عبيد الله كثير بن شهاب بن الحصين الحارثي فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيسير بالكوفة ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب ويحدّهم عقوبة السلطان. وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضر موت فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس. وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي، وشبث بن ربعي التميمي، وحجّار ابن أبجر العجلي، وشمر بن ذي الجوشن العامري، وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة عدد من معه من الناس، وخرج كثير بن شهاب يخذل الناس عن ابن عقيل.

قال أبو مخنف: فحدثني ابن جناب الكلبي أن كثيراً ألفى رجلاً من كلب يقال له: عبد الأعلى بن يزيد قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل في بني فتيان، فأخذه حتى أدخله على ابن زياد فأخبره خبره، فقال لابن زياد: إنما أردتك، قال: وكنت وعدتني ذلك من نفسك، فأمر به فحبس. وخرج محمد بن الأشعث حتى وقف عند دور بني عمارة، وجاءه عمارة بن صلخب الأزدي وهو يريد ابن عقيل عليه سلاحه، فأخذه فبعث به إلى ابن زياد فحبسه. فبعث ابن عقيل إلى محمد بن الأشعث من المسجد عبد الرحمن بن شريح الشامي فلما رأي محمد بن الأشعث كثرة من أتاه أخذ يتنحّى ويتأخّر، وأرسل الققعقاع بن شور الذهلي إلى محمد الأشعث قد حلّت على ابن عقيل من العرار فتأخّر عن موقفه، فأقبل حتى دخل على ابن زياد من قبل دار الروميين، فلما اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهاب ومحمد والقعقاع فيمن أطاعهم من قومهم، فقال له كثير - وكانوا مناصحين لابن زياد -: أصلح الله الأمير، معك في القصر ناس كثير من أشرف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبى عبيد الله. وعقد لشبث بن ربعي لواء فأخرجه، وأقام

الناس مع ابن عقيل يكبرون ويثوبون حتى المساء، وأمرهم شديد: فبعث عبيدالله إلى الاشراف فجمعهم إليه ثم قال: أشرفوا على الناس فمّنوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة، وأعلموهم فصول الجنود من الشّام إليهم.

قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد عن عبد الله بن حازم الكبرى من الازد من بني كبير قال: أشرف علينا الاشراف، فتكلّم كثير بن شهاب أول الناس حتى كادت الشمس أن تجب، فقال: أيها الناس، إحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر، ولا تعرّضوا أنفسكم للقتل، فإن هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الله الامير عهدا لئن أتممت على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ذريتكم العطاء، ويفرق مقاتلتكم في مغازي أهل الشّام على غير طمع، وأن يأخذ البرئ بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتى لا يبقی له فيكم بقية من أهل المعصية إلّا أذاقها وبال ما جرّت أيديها. وتكلّم الاشراف بنحو من كلام هذا، فلما سمع مقاتلتهم الناس أخذوا يتفرّقون، وأخذوا ينصرفون.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - كان ابن زياد قد أعدّ جماعة لإلقاء القبض على كل من لم يتفق معه من الرؤساء، وبذلك حقق هدفين: أولاً: الفصل بينهم وبين القاعدة، حيث تكون القاعدة بلا مرشد، فيكون حائراً جاهلاً باتخاذ المواقف المناسبة، وبالتالي يكون من السهل القضاء على القاعدة الحائرة الجاهلة بالدعايات المضللة.

٢ - الإحتفاظ بهؤلاء الرؤساء كرهائن فيما لو وقع أحد أصحابه في الفخ، وكان من هؤلاء: عبد الأعلى الكلبي الذي خرج لنصرة مسلم، فأمر ابن زياد بقتله في الجبانة.

٣ - إن مسلم بن عقيل أخذ موقف الحرب بعدما أعلن ابن زياد الحرب بقتل هاني بن عروة، استناداً إلى الثوابت الإسلامية «فاعتدوا بمثل ما اعتدى عليكم»^(٢)، ولم يصدر من

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٧٥ - ٢٧٧.

٢ البقرة: ١٩٤.

مسلم ولا أحدٍ من أصحابه أية مبادرة للحرب قبل ذلك، فأمر بالنداء في أصحابه، واتخذوا شعار: (يا منصور أمت). وكان عدد الأصحاب ١٨ ألف مبايعين وأربعة آلاف في الدور، أي مسلحين. وخطط الجيش على أساس حارات القبائل لكندة وربيعه - لمذحج وأسد - وجعل لتميم وهمدان - المدينة. ولم يكن من ابن زياد إلا أن (يحترز في القصر وغلق الأبواب).

٤ - ان سياسة ابن زياد كانت على ثلاثة طرق:

أ - منوّا أهل الطاعة بالزيادة والكرامة.

ب - خوّفوا أهل المعصية بالحرمان والعقوبة.

ج - أعلموهم وصول الجند من الشام إليها.

د - وخصّ محمد بن الأشعث برفع راية الأمان.

وقد أثرت هذه السياسة في تخذيل الناس وتفريقهم عن مسلم بن عقيل، حيث تفرّقت الجموع بترتيب تنازلي من أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى خمسين شخصاً (٣٠) شرطة، بالإضافة إلى عشرين من الأشراف وأهل بيته، إلى ثلاثين صلوا في المسجد معه، وإلى عشرة عند خروجه من باب المسجد، ولما خرج من باب المسجد لم يكن معه إنسان.

مع طوعة

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: فحدثني المجالد بن سعيد: أن المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك. ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غدا يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشر، انصرف. فيذهب به، فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون حتى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً في المسجد حتى صُلّيت المغرب، فما صلّى مع ابن عقيل إلا ثلاثون نفساً. فلما رأى أنه قد أمسى وليس معه إلا أولئك نفر خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، فلما بلغ الابواب ومعه منهم عشرة، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان، والتفت

فإذا هو لا يحسّ أحداً يدلّه على الطريق ولا يدلّه على منزل ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ. فمضى على وجهه يتلذّد في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب، حتى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمشى حتى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة، أم ولد كانت للاشعث بن قيس، فأعتقها، فتزوّجها أسيد الحضرمي، فولدت له بلالا، وكان بلال قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظره. فسلم عليها ابن عقيل فردّت عليه، فقال لها: يا أمة الله اسقيني ماءً، فدخلت فسقته فجلس، وأدخلت الاناء ثم خرجت فقالت: يا عبد الله، ألم تشرب؟ قال: بلى، قالت: فاذهب إلى أهلك. فسكت، ثم عادت فقالت مثل ذلك فسكت، ثم قالت له: في لله، سبحان الله يا عبد الله، فمر إلى أهلك عافاك الله؛ فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أحلّه لك. فقام فقال: يا أمة الله مالى في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك إلى أجر ومعروف ولعلّي مكافئك به بعد اليوم؟ فقالت: يا عبد الله وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل، كذّبي هؤلاء القوم وغروني. قالت: أنت مسلم؟ قال: نعم. قالت: ادخل، فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه، وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعشّ ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه، فقال: والله إنه ليريني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه إنّ لك لشأناً، قالت: يا بني الله عن هذا، قال لها: والله لتخبرني، قالت: أقبل على شأنك ولا تسألني عن شيء، فألحّ عليها فقالت: يا بني لا تحدثنّ أحداً من الناس بما أخبرك به، وأخذت عليه الايمان، فحلف لها، فأخبرته، فاضطجع وسكت. وزعموا أنه قد كان شريداً من الناس، وقال بعضهم: كان يشرب مع أصحاب له، ولما طال على ابن زياد وأخذ لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً كما كان يسمعه قبل ذلك، قال: لأصحابه أشرفوا فانظروا هل ترون منهم أحداً؟ فأشرفوا فلم يروا أحداً، قال: فانظروا لعلهم تحت الظلال قد كمنوا لكم، ففرعوا بحاجب المسجد، وجعلوا يخفضون شعل النار في أيديهم، ثم ينظرون هل في الظلال أحد وكانت أحياناً تضيئ لهم وأحياناً لا تضيئ لهم كما يريدون، فدلوّ القناديل وأنصاف الطنان تشدّ بالحبال ثم تجعل فيها النيران ثم تدلى حتى تنتهي إلى الارض، ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها وأوسطها حتى فعلوا ذلك بالظلة التي فيها المنبر،

فلما لم يروا شيئاً أعلموا ابن زياد، ففتح باب السدة التي في المسجد ثم خرج فصعد المنبر وخرج أصحابه معه فأمرهم فجلسوا حوله قبيل العتمة، وأمر عمرو بن نافع فنادى، إلا برئت الذمة من رجل من الشرطة والعرفاء أو المناكب أو المقاتلة صلى العتمة إلا في المسجد، فلم يكن له إلا ساعة حتى امتلأ المسجد من الناس، ثم أمر مناديه فأقام الصلاة، فقال الحصين بن تميم: إن شئت صليت بالناس أو يصلي بهم غيرك ودخلت أنت فصليت في القصر، فإني لا آمن أن يغتالك بعض أعدائك، فقال: مرحسي فليقوموا ورائي كما كانوا يقفون ودُّر فيهم؛ فإني لست بداخل إذا فصلّى بالناس، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن ابن عقيل السفية الجاهل قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق فبرئت ذمة الله من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله ديتة، اتقوا الله عباد الله وألزموا طاعتكم وبيعنكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً، يا حصين ابن تميم ثكلتك أمك إن صاح باب سكة من سكك الكوفة أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة فابعث مرابدة على أفواه السكك، وأصبح غدا واستبرى الدور، وجسّ خلالها حتى تأتيني بهذا الرجل. وكان الحصين على شرطه وهو من بني تميم.

ثم نزل ابن زياد فدخل وقد عقد لعمر بن حريث راية وأمره على الناس، فلما أصبح جلس مجلسه وأذن للناس فدخلوا عليه، وأقبل محمد بن الاشعث فقال: مرحبا بمن لا يستغش ولا يتهم، ثم أقعده إلى جنبه وأصبح ابن تلك العجوز وهو بلال بن أسيد الذي آوت أمه ابن عقيل فغدا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فأخبره بمكان ابن عقيل عند أمه، قال: فأقبل عبد الرحمن حتى أتى أباه وهو عند ابن زياد فسارّه، فقال له ابن زياد: ما قال لك؟ قال: أخبرني أن ابن عقيل في دار من دونا، فنخس بالقضيب في جنبه ثم قال: قم فأتني به الساعة.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - ان سلطة ابن زياد، بالرغم من علمه بتأثير الدعايات المضللة، كانت على خوف من المقاومة، واتخذت لذلك الخطوات التالية:

أ - التحرز الشديد، قال ابن زياد: (لعلهم تحت الظلال قد كمنوا لكم، وجعلوا يحفظون شعل النار في أيديهم، ثم ينظرون هل في الظلال أحد؟).

ب - الحراسة المشددة: قال ابن زياد: (مر حربي فليقوموا ورائي، كما كانوا يقفون).

ج - الإعلان العام بمطاردة مسلم، قال ابن زياد: (فبرئت ذمة الله من رجل وجدناه في داره).

د - الرصد: (ابعث مراصد على أفواه السكك، واصبح غدا، واستبرئ الدور، وجسّ خلالها حتى تأتيني بهذا الرجل).

٢ - أن بلال ابن طوعة العجوز غدا إلى عبد الرحمن بن الأشعث وأخبره بوجود مسلم في داره، وحيث أن الأشعث قال لابن زياد: «ان ابن عقيل في دار من دورنا»، يظهر أن بلال كان كندياً، وربما امه كذلك كانت من كندة، وقد أثرت الدعايات والتهديدات في هذا الولد دون أمه العجوز للأسباب التالية:

١ - خبرة الأم وغرور الشباب.

٢ - كان شريداً من الناس.

٣ - كان يشرب مع أصحاب له.

٤ - إعتماذ الأم على الولد ويمينه.

٣ - ان ابن زياد أمر مع ابن الأشعث الكندي (ستين أو سبعين رجلاً كلهم من قيس) والمأمور هو الأشعث الكندي الذي قام بدور التجسس على عمّه هاني بن عروة والرجال المؤتمرين بأمره لم يكونوا من كندة، بل كلهم كان من قيس، وفي هذا الاختيار دلالة واضحة، كما في الرواية (لأنه قد علم أن كل قوم يكرهون أن يصادف فيهم مثل ابن عقيل) فإن هؤلاء الأقوام على الأغلب كان فيهم من قد بايع ابن عقيل بالأمس وقد تأثر بالدعايات والتهديدات اليوم.

محاربة مسلم

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: فحدثني قدامة بن سعيد بن زائدة بن قدامة الثقفي، أن ابن الأشعث حين قام ليأتيه بآبن عقيل بعث إلى عمرو بن حريث وهو في المسجد خليفته على الناس: أن أبعث مع ابن الأشعث ستين أو سبعين رجلاً كلهم من قيس، وإنما كره أن يبعث معه قومه لأنه قد علم أن كل قوم يكرهون أن يصادف فيهم مثل ابن عقيل، فبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمي في ستين أو سبعين من قيس، حتى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل، فلما سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف أنه قد أتى، فخرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار، ثم عادوا إليه فشدّ عليهم كذلك، فاختلف هو وبكير بن حرمان الأحمر ضربتين، فضرب بكبير فم مسلم فقطع شفته العليا، وأشرع السيف في السلفى، ونصّلت لها ثنيته فضربه مسلم ضربة في رأسه منكراً وثني بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جوفه، فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق ظهر البيت فأخذوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في أطنان القصب، ثم يقلبونها عليه من فوق البيت فلما رأى ذلك خرج عليهم مصلتا بسيفه في السكة، فقاتلهم، فأقبل عليه محمد بن الأشعث فقال: يا فتى لك الأمان، لا تقتل نفسك، فأقبل يقاتلهم وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلا حراً	وإن رأيت الموت شيئاً نكراً
كل امرئ يوماً ملاق شراً	ويخلط البارد سخناً مرّاً
ردّ شعاع الشمس فاستقرّاً	أخاف أن أكذب أو أغرّاً ^(١)

موارد الاعتبار:

١ - صلى مسلم صلاة المغرب في المسجد ومعه ثلاثون نفر، ولما وصل إلى باب

٦٤ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

المسجد لم يبقى معه إلا عشرة، ولما خرج من الباب لم يبق معه إنسان، وطبيعي أن يكون هذا من تأثير مخطط مدروس للتفريق بين القيادة والقاعدة، وحيث أن مسلم لم يكن من أهل الكوفة، فمن الطبيعي أن يسير على وجهه لعدم معرفته بالطرق حتى وقف على باب دار طوعة التي كانت تنتظر مجيء ابنها بلال.

٢- استسقى مسلم الماء من طوعة فسقته وكانت تتوقع أن يذهب، ولكن لما عرفته آوته وأكرمته، وبالرغم من محافظتها على الكتمان عرف ابنها بلال بذلك وأخبر سلطة ابن زياد.

٣- ان مسلم لما أحس بوقع حوافر الخيل وعلم أن الشرطة تقصده، خرج من دار طوعة لئلا لا تصاب طوعة، وخرج بسيفه إليهم وحيداً محارباً ستين أو سبعين من الشرطة، ولم يستسلم حتى هزموا مراراً وأرضخوه بالحجارة والنار من السطوح.

مع ابن الأشعث

رواية الطبري:

فقال له محمد بن الاشعث: إنك لا تكذب ولا تخدع ولا تغرّ، إنّ القوم بنو عمّك، وليسوا بقاتليك ولا ضاربك، وقد أثخن بالحجارة وعجز عن القتال، وانبهر فأسند ظهره إلى جنب تلك الدار، فدنا محمد بن الاشعث فقال: لك الامان، فقال: آمن أنا؟ قال: نعم، وقال القوم: أنت آمن، غير عمرو بن عبيدالله بن العباس السلمي فانه قال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل وتنحى.

وقال ابن عقيل: أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم. وأتي ببلغة فحمل عليها واجتمعوا حوله وانتزعوا سيفه من عنقه، فكأنه عند ذلك آيس من نفسه فدمعت عيناه ثم قال: «هذا أول الغدر» قال محمد بن الاشعث: أرجو ألا يكون عليك بأس، قال: ما هو إلا الرجاء، أين أمانكم؟ إنا لله وإنا إليه راجعون، وبكى فقال له عمرو بن عبيدالله بن عباس: إن من يطلب مثل الذي تطلب، إذا نزل به مثل الذي نزل بك، لم يبك. قال: إني والله ما لنفسي أبكي، ولا لها من القتل أرثي وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً، ولكن أبكي

لا هلي المقبلين إليّ، أبكي لحسين وآل حسين. ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال: يا عبد الله، إني أراك والله ستعجز عن أمانني، فهل عندك خير، تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني يبلغ حسينا؛ فإني لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم مقبلاً أو هو خارج غداً هو وأهل بيته، وإن ما ترى من جزعي لذلك، فيقول: إن ابن عقيل بعثني اليك وهو في أيدي القوم أسير لا يرى أن تمشي حتى تقتل، وهو يقول: ارجع بأهل بيتك ولا يغرك أهل الكوفة؛ فانهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني، وليس لمكذوب رأي. فقال ابن الأشعث: والله لا فعلن ولا علمن ابن زياد أنني قد أمنتك.

قال أبو مخنف: فحدثني جعفر بن حذيفة الطائي وقد عرف سعيد بن شيبان الحديث، قال: دعا محمد بن الأشعث إياس بن العثل الطائي من بني مالك بن عمرو بن ثمامة، وكان شاعراً وكان لمحمد زوّاراً، فقال له: ألق حسينا فأبلغه هذا الكتاب، وكتب فيه الذي أمره ابن عقيل، وقال له: هذا زادك وجهازك ومتعة لعيالك، فقال: من أين لي براحلة فإنّ راحلتي قد أنضيتها؟ قال: هذه راحلة فاركبها برحلتها، ثم خرج فاستقبله بزبالة لأربع ليال، فأخبره الخبر، وبلغه الرسالة، فقال له حسين: كل ما حِمَّ نازل، وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا. وقد كان مسلم ابن عقيل حيث تحوّل إلى دار هاني بن عروة وبإيعه ثمانية عشر ألفاً قدم كتاباً إلى حسين مع عابس بن أبي شبيب الشاكري: أما بعد، فإنّ الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الاقبال حين يأتيك كتابي؛ فإن الناس كلّهم معك، ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى، والسلام.

وأقبل محمد بن الأشعث بابن عقيل إلى باب القصر فاستأذن فأذن له، فأخبر عبيد الله خبر ابن عقيل وضرب بكبير إياه فقال: بعداً له فأخبره محمد بن الأشعث بما كان منه وما كان من أمانه إياه، فقال: عبيد الله ما أنت والامان، كأنا أرسلناك تؤمنه؟ إنما أرسلناك تأتينا به، فسكت. وانتهى ابن عقيل إلى باب القصر وهو عطشان وعلى باب القصر ناس جلوس ينتظرون الإذن منهم: عمارة بن عقبة بن أبي معيط، وعمر بن حريث، ومسلم بن

عمرو وكثير بن شهاب^(١)

موارد الاعتبار:

- ١ - ولما أعيأ مسلم واتفأ على حائط قابله رئيس الجيش - محمد بن الأشعث - مكرراً له الأمان، حتى قبل ذلك، وهو يقول: (واي أمانٍ للغدرة الفجرة)
- ٢ - لم يرغب عن مسلم أخبار من ساهم في تسليم هاني ومن قام بدور التجسس ولو احتمالاً، وهو الآن يجد نفسه الوحيد المحاط بالسنتين أو السبعين محارب بالسيوف والحجارة والنار، وإذاً يجد نفسه مواجهاً لهذا الوسيط الذي يكرر له الأمان، فقام مسلم بموقف يكشف للتاريخ حقيقة الموقف المعادي وزيف دعاويه.
- ٣ - إن ابن الأشعث هو الذي قام بدور تسليم عمه لسلطة ابن زياد اعتماداً على العادة العربية بالأمان، وهو الآن يقدم نفس الأمان لمسلم بن عقيل المثلث بالحرب، والمحارب بالسيوف والحجارة والنار، ولما انتزعوا سيفه قال مسلم: (هذا أول الغدر).
- ٤ - خاطب مسلم من كان يعرض عليه الأمان مستغلاً الفرصة بقوله: (يا عبدالله إني أراك - والله - ستعجز عن أمني، فهل عندك خير) وطلب منه - من دون أن يسميه باسمه - ما لا يمكن أن يطلبه من شخص آخر، وهو يقول: (ان تبعث من عندك رجلاً على لساني ان يبلغ حسينا فاني لا أراه إلا وقد خرج اليوم أو هو خارج غداً، ويقول له: ان بن عقيل بعثني إليك، وهو أسير في أيدي القوم لا يرى أنه يمسي حتى يقتل... ان أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني، وليس لمكذوب رأي).
- ٥ - استجاب ابن الأشعث وقال: (والله لأفعلن، ولأعلمن ابن زياد أنني قد أمنتك). مما يظهر مدى تظاهر ابن الأشعث في المحافظة على سلامة مسلم وتأمين مطالبه، مما اقنع أو اقتنع مسلم بعود ابن الأشعث، حيث لم يكن امامه خيار آخر سوى ذلك.
- ٦ - لقد أبدى مسلم قمة الوعي في صلته بقائده الحسين، واستغل هذه الفرصة الوحيدة

في أداء دور الرسالة غير عابيء بالأمان الذي اعتبر خلع سلاحه منه أوّل الغدر، حتى يتمكن من إيصال خبر موقفه في الأسر ومصيره إلى القتل إلى قائده الحسين، وهو عالم بأن ابن الأشعث لا يقوم بدورٍ لا يخدم مصلحة السلطة، ولكن كان الطريق الوحيد لأداء واجبه في الرسالة التي حملها قائده الحسين، وكان مسلم ينظر إلى مسألة الأمان نظرة استخفاف بالنسبة إلى هذه الرسالة.

مقتل مسلم بن عقيل

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: فحدثني قدامة بن سعد أن مسلم بن عقيل حين انتهى إلى باب القصر فإذا قلّة باردة موضوعة على الباب، فقال ابن عقيل: اسقوني من هذا الماء، فقال له مسلم بن عمرو: أتراها، ما أبردها؟ لا والله لا تذوق منها قطرة أبدا حتى تذوق الحميم في نار جهنم. قال له ابن عقيل: ويحك، من أنت؟ قال: أنا ابن من عرف الحق إذا أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفت، أنا مسلم بن عمرو الباهلي. فقال ابن عقيل: لأُمك الثكل، ما أجفاك وما أفظك وأقسى قلبك وأغلظك، أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني: ثم جلس متساندا إلى حائط.

قال أبو مخنف: فحدثني قدامة بن سعد أن عمرو بن حريث بعث غلاما له يدعي سليمان فجاءه بماء في قلّة فسقاه، قال أبو مخنف: وحدثني سعيد بن مدرك بن عمار أن عمارا: بن عقبة بعث غلاما له يدعى قيسا فجاءه بقلّة عليها مندبل ومعه قدح، فصبّ فيه ماء ثم سقاه، فأخذ كلما شرب امتلا القدح دماً فلما ملأ القدح المرة الثالثة ذهب ليشرب فسقطت ثنيته فيه، فقال: الحمد لله، لو كان لي من الرزق المقسوم شربته.

وأدخل مسلم على ابن زياد، فلم يسلم عليه بالإمرة، فقال له الحرسي: ألا تسلم على الامير؟! فقال له: ان كان يريد قتلى فما سلامي عليه؟ وإن كان لا يريد قتلي فلعمري ليكثرن سلامي عليه، فقال له ابن زياد: لعمرى لتقتلن، قال: كذلك. قال: نعم. قال: فدعني أوص إلى بعض قومي، فنظر إلى جلساء عبيد الله وفيهم عمر بن سعد فقال: يا عمر، إن

يبيني وبينك قرابة ولي اليك حاجة وقد يجب لي عليك نجح حاجتي وهو سرّ. فأبى أن يمكنه من ذكرها. فقال له عبيد الله: لا تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك، فقام معه فجلس حيث ينظر إليه ابن زياد فقال له: إن عليّ بالكوفة دينا استدنته منذ قدمت الكوفة، سبعمائة درهم، فاقضها عني، وانظر جثتي فاستوهبها من ابن زياد فوارها، وابتع إلى حسين من يردّه فإنني قد كتبت إليه أعلمه أن الناس معه، ولا أراه إلا مقبلا. فقال عمر لابن زياد: أتدري ما قال لي، إنه ذكر كذا وكذا. قال له ابن زياد: إنه لا يخونك الامين ولكن قد يؤتمن الخائن، أما مالك فهو لك ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت، وأما حسين فانه إن لم يردنا لم نرده وإن أردنا لم نكف عنه، وأما جثته فانا لن نشفعك فيها إنه ليس بأهل منّا لذلك، قد جاهدنا وخالفنا، وجهد على هلاكنا. وزعموا أنه قال: أما جثته فانا لا نبالي إذا قتلناه ما صنع بها.

ثم إن ابن زياد قال: إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع، وكلمتهم واحدة لتشتتهم وتفرّق كلمتهم وتحمل بعضهم على بعض؟ قال: كلا، لست أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب. قال: وما أنت وذاك يا فاسق؟ أو لم تكن تعمل بذاك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟ قال: أنا أشرب الخمر؟ والله إن الله ليعلم أنك غير صادق وإنك قلت بغير علم، وإني لست كما ذكرت، وإن أحقّ بشرب الخمر مني وأولى بها من يبلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرّم الله قتلها، ويقتل النفس بغير النفس، ويسفك الدم الحرام، ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئا.

فقال له ابن زياد: يا فاسق إن نفسك تمنيك ما حال الله دونه ولم يرك أهله. قال: فمن أهله يا ابن زياد؟ قال: أمير المؤمنين يزيد. فقال: الحمد لله على كلّ حال، رضينا بالله حكما بيننا وبينكم. قال: كأنك تظنّ أن لكم في الامر شيئا؟ قال: والله ما هو بالظن ولكنه اليقين. قال: قتلني الله إن لم أقتلك قتله لم يقتلها أحد في الاسلام. قال: أما إنك أحق من أحدث في الاسلام ما لم يكن فيه، أما إنك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة وخبت السيرة

ولؤم الغلبة، ولا أحد من الناس أحق بها منك. وأقبل ابن سمية يشتمه ويشتم حسينا وعلياً وعقيلاً. وأخذ مسلم لا يكلمه، وزعم أهل العلم أن عبيدالله أمر له بماء فسقي بخزفة ثم قال له: إنه لم يمنعنا أن نسقيك فيها إلا كراهة أن تحرم بالشرب فيها ثم تقتلك ولذلك سقيناك في هذا، ثم قال: اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه ثم اتبعوا جسده رأسه. فقال: يا ابن الاشعث، أما والله لولا أنك آمنتني ما استسلمت، قم بسيفك دوني فقد أخفرت ذمتك. ثم قال: يا ابن زياد، أما والله لو كانت بيني وبينك قرابة ما قتلتني. ثم قال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف وعاتقه، فدعي، فقال: اصعد فكن أنت الذي تضرب عنقه، فصعد به وهو يكبر ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ورسله وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وأذلّونا. واشرف به على موضع الجزارين اليوم فضربت عنقه وأتبع جسده رأسه.

قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير عن عوف بن أبي جحيفة قال: نزل الاحمري بكير بن حمران الذي قتل مسلماً فقال له ابن زياد قتلته؟ قال: نعم. قال: فما كان يقول وأنتم تصعدون به؟ قال: كان يكبر ويسبح ويستغفر، فلما أدنيت له لاقته قال: اللهم احكم بيننا وبين قوم كذبونا وغرّونا وخذلونا وقتلونا فقلت له: ادن مني، الحمد لله الذي اقادني منك، فضربته ضربة لم تغن شيئاً، فقال: أما ترى في خدش تخدشني وفاء من دمك أيها العبد، فقال ابن زياد: وفخراً عند الموت؟ قال: ثم ضربته الثانية فقتلته.

موارد الاعتبار:

١- أراد ابن زياد قبل أن يقضي على مسلم توجيه إتهامات لصبغ عمله بصبغة قبلية، مقبولة كما أراد مسلم في نفس الوقت أن يبين حقيقة الموقف للحاضرين وللتاريخ وذلك من خلال المحادثة التالية:

أمر ابن زياد بإدخال مسلم بن عقيل عليه فدخل مسلم ولم يسلم على أحد.

الحرسى: ألا تسلم على الأمير؟

مسلم: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه؟

٧٠..... موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

ابن زياد: لعمرى لتقتالنّ، إيه ابن عقيل أتيت الناس وهم جمع، وكلمتهم واحدة لتشتتهم وتفرّق كلمتهم و تحمل بعضهم على بعض؟
مسلم: كلا، لست لذلك أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم اعمال كسرى و قيصر.

ابن زياد: وما أنت وذلك يا فاسق، ألم تكن نعمل بذاك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟

مسلم: أنا أشرب الخمر؟! أما والله وإن الله ليعلم أنك غير صادق، وأنت قلت بغير علم، وإني لست كما ذكرت وإن أحق بشرب الخمر مني، وأولى بها من يبلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرّم الله قتلها ويقتل النفس بغير النفس وسيفك الدم الحرام، ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً.

ابن زياد: يا فاسق أن نفسك تمنّيك ما حال الله دونه ولم يرك أهلاً.

مسلم: فمن أهله يا ابن زياد؟

ابن زياد: أمير المؤمنين يزيد.

مسلم: الحمد لله على كل حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم.

ابن زياد: كأنك تظنّ ان لكم في الأمر شيئاً؟

مسلم: والله ما هو الظن ولكنه اليقين:

ابن زياد: قتلني الله ان لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام.

مسلم: أما أنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، أما أنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبت السريرة ولؤم الغلبة، ولا أحد من الناس أحق بها منك.

ثم أقبل ابن زياد يشتمه ويشتم علياً والحسن والحسين وعقيلاً، وأخذ مسلم لا يكلمه.

ابن زياد: أصدعوا به فوق القصر فاضربوا عنقه، ثم اتبعوا جسده رأسه.

مسلم: أما والله لو كان بيني وبينك قرابة ما قتلتنني.

ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف؟ فدعي بكر بن حمران فقال له

ابن زياد: أصعد فكن أنت الذي تضرب عنقه. فصعد به وهو يكبر ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ورسله وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وأذلّونا.

قال القاتل: فضربته ضربة لم تغني شيئاً.

وقال مسلم للقاتل: أما ترى في خدش تخذليه وفاءً من دمك أيها العبد.

قال ابن زياد: وفخراً عند الموت!؟.

وقال العبد: ثم ضربته الثانية فقتلته.

٢ - تكشف مواقف ابن زياد أنه أراد أن يثبت حكمه بالإعدام على مسلم بما يستحق

ذلك لأسباب وتهم موجهة إليه، منها:

أ - تشتيت الأمر.

ب - تفريق الكلمة.

ج - حمل الناس بعضهم على بعض.

د - شرب الخمر.

وأضاف بعد اتهاماته شتم علي والحسن والحسين وعقيل ليجعلها حرباً قبلية، وذلك يكشف عن فشل ابن زياد في التأثير على شخصية مسلم وصموده في المقاومة، بالرغم من وحدته وغريته، حتى أعلن ابن زياد أنه سيقنتله قتله لم يقتلها أحد في الإسلام، مستخفاً بكلّ القوانين الشرعية في القتل المرعية في الإسلام من الاتهام بشرب الخمر الذي لو ثبت لما اقتضى القتل، والاتهام بتفريق الكلمة التي فنّدها مسلم بأنها استجابة لدعوة الجماهير المسلمة، كما تكشف المحاورة عن وضوح الرؤية عند مسلم وصلابته في المقاومة والتي جعلت ابن زياد يصدر قولته الأخيرة (أفخراً عند الموت؟) حيث أنه كان موقفاً غير عادي.

٣ - مواقف مسلم تكشف على التأكيد بالتمسك بالشواهد الإسلامية.

أ - عدم السلام على الأمير، أي رفض الإمارة له في أشد الظروف.

ب - كشف حقيقة الموقف وبيان الذي سفك دماء المسلمين وأظهار المنكر ودفن المعروف.

ج - الرؤية الواضحة حيث قال: (وما هو الظن، ولكنه اليقين).

د - نفي الاتهام بتفريق الكلمة بقوله: (تأمرتم على الناس بغير رضئ منهم، وعملت فيهم بأعمال كسرى وقيصر).

هـ - دفع اتّهام شرب الخمر بقوله: (إن أحقّ بشرب الخمر مني وأولى بها من يبلغ في دماء المسلمين ولغاً).

وبذلك كشف حقيقة الموقف وزاد الإشارة إلى أن ابن زياد مطعون في نسبه بقوله: (لو كان بيني وبينك قرابة ما قتلتنني)، وبذلك أثبت أن حركة مسلم كانت حركة إصلاحية مدعومة بالرأي العام من المسلمين من الديانة التي عارضتها القلة الحاكمة بغير رضا منهم.

٤ - فنّد مسلم الاتّهامات التي وجهها ابن زياد إليه، بقوله:

أ - (لكنكم أجهرتم المنكر).

ب - (أهل المصر إدّعوا أنّ أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم).

ج - (عمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعوا إلى حكم الكتاب).

فالتهم الموجهة إليه كلها باطلة، لأن تاريخ دعوة أهل الكوفة تؤكد على النقاط التي ذكرها مسلم المدعومة تاريخياً، فبما أن المنكر قد ظهر فانه وجب الأمر بالمعروف وبما أن سفك الدماء قد تحقق فانه وجب العدل، وبما أن أعمال كسرى وقيصر قد تجددت فانه وجبت الدعوة إلى كتاب الله، وهذه كلها تكمن في رسالة الحسين، فهي رسالة جدّ الحسين، ودعا إليها سفير الحسين مسلم بن عقيل وطبقها في كل مرحلة من مراحل حياته حتى الشهادة.

٥ - إنّ الوصية الأخيرة لمسلم تكشف عن تمسّكه بأهداف الحركة الإسلامية وتطبيقها في هذه اللحظة الأخيرة من حياته، وقد أوصى أيضاً لعنصر جديد وهو عمر بن سعد، وأمنتع عمر من قبولها في البداية حتى أمره ابن زياد بالقبول، وربما ليستكشف أمراً جديداً، ووصية مسلم كانت واضحة وتتلخص في نقاط ثلاث:

أ - (ان عليّ بالكوفة ديناً سبعمائة درهم، فبع سيفي ودرعي واقض ذلك عني).

ب - وإن قُتلت فاستوهب جثتي من ابن زياد فوارها.

ج - وابعث إلى الحسين من يرده فإني قد كتبت إليه أعلمه ان الناس معه، ولا أراه إلا مقبلاً.

ولا يذكر التاريخ موقف ابن سعد من هذه الوصية التي تكشف مدى حرص مسلم على تطبيق الإسلام في الحياة وبعد الممات من أداء أمانات الناس، وتطبيق الحكم الشرعي في الدفن، والولاء للقيادة والإمامة.

مقتل هاني بن عروة

رواية الطبري:

قال: وقام محمد بن الاشعث إلى عبيدالله بن زياد فكلّمه في هاني بن عروة وقال: إنك قد عرفت منزلة هاني بن عروة في المصر وبيته في العشيرة، وقد علم قومه أي وصاحبي سقناه إليك، فأنشذك الله لما وهبته لي فإني أكره عداوة قومه، هم أعزّ أهل المصر، وعدد أهل اليمن. قال: فوعده أن يفعل، فلما كان من أمر مسلم ابن عقيل ما كان بدا له فيه وأبى أن يفني له بما قال. قال: فأمر بهاني بن عروة حين قتل مسلم بن عقيل فقال: أخرجوه إلى السوق فاضربوا عنقه، قال: فأخرج بهاني حتى انتهى إلى مكان من السوق كان يباع فيه الغنم وهو مكتوف، فجعل يقول: وامذججاه ولا مذحج لي اليوم، وامذججاه وأين متي مذحج، فلما رأى ان أحدا لا ينصره جذب يده فنزعها من الكتاف ثم قال: أما من عصا أو سكين أو حجر أو عظم يجاحش به رجل عن نفسه؟، قال: ووثبوا إليه فشدّوه وثاقا، ثم قيل له: امدد عنقك. فقال: ما أنا بها مجدٍ سخي، وما أنا بمعينكم على نفسي.

قال: فضربه مولى لعبيد الله بن زياد تركي يقال له: رشيد بالسيف فلم يصنع سيفه شيئا، فقال هاني: إلى الله المعاد، اللهم إلى رحمتك ورضوانك. ثم ضربه أخرى فقتله.

قال: فبصر به عبد الرحمن بن الحصين المرادي بخازر وهو مع عبيدالله بن زياد، فقال الناس: هذا قاتل هاني بن عروة، فقال ابن الحصين: قتلني الله إن لم أقتله أو أقتل دونه،

فحمل عليه بالرمح فطعنه فقتله^(١).

موارد الاعتبار:

١- كشف محمد بن الأشعث عن دوره في التجسس على عمه هاني بن عروة، حيث ذهب إلى ابن زياد وذكر له ثلاث نقاط:

أ. قد عرفت منزلة هاني بن عروة في المصر ورتبته في العشيرة.
ب. أنشدك الله لما وهبته لي، فاني أكره عداوة قومه، ثم علل كراهة العداوة بأمرين: ١- بعزة القوم (أعز أهل المصر). و ٢- بكثرتهم (عدد أهل اليمن)، وقد غفل عن أن ابن زياد اراد ان يجعله مربوطاً بعجلة الحكم، وذلك بتلطيخ سمعته وتقويت شعبيته، فكيف يهبه ذلك.

٢- ابن زياد وعد ابن الأشعث أن يفعل، أي يهب هاني - كما هو الحال في وعد كل حاكم لتحقيق المصلحة الوقتية - فاغتر ابن الأشعث بهذا الوعد وضنه صادقا، ولكن ابن زياد بعدما انتهت مصلحته من دور ابن الأشعث حيث قبض على مسلم، ولم يكن بحاجة إلى رهينة مثل هاني، أعرض عن وعده وضرب به عرض الحائط.

٣- ان ابن زياد قتل مسلم بن عقيل في قصر الإمارة، ورمى بجسده خارج القصر، وربما تحسباً من أن يفلت من أيديهم، ولكنه لم يفعل كذلك في قتل هاني بن عروة، بل تجراً وقال: «فأخرجوه إلى مكان السوق، وكان يباع فيه الغنم»، فيكون في مرأى العامة من الناس؛ تحقيراً لهاني وزيادة في الإرعاب.

٤- ان هاني أبدى شجاعة في المقاومة، حيث أنه لما رأى ان الاستعانة بمذبح عشيرته القوية (وامذحجاه) لم يلبّ، اما خوفاً أو لعدم تواجدهم، قال: «اما من عصي أو سكين أو حجر؟» ولم يتيسر له شيئاً من ذلك، وامتنع أن يمد عنقه بالرغم من الأوامر العسكرية، فقال: «ما أنا بها ممدّ، وما أنا معينكم على نفسي» مما يكشف عن مقاومة صلبة

حتى آخر لحظة من حياته، وكان آخر كلمة قالها: «اللهم إلى رحمتك ورضوانك».

٥- أن الذي قتل هاني كان (مولى تركي يقال له: رشيد) ضربه ضربتين، وذلك يكشف أن الحاكم لم يكن يتق بالعرب من العسكر، فاستخدم موالي أجنب للقيام بهذه الأعمال؛ لجهلهم بشخصية المتهمين وأهدافهم الإصلاحية، وربما كان مموهاً عليهم بأنهم مجرمين يستحقون القتل.

تصفية المعارضة

رواية الطبري:

ثم إن عبيدالله بن زياد لما قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، دعا بعبد الاعلى الكلبي الذي كان أخذه كثير بن شهاب في بني فتيان فأتي به، فقال له: أخبرني بأمرك. فقال: أصلحك الله خرجت لانظر ما يصنع الناس فأخذني كثير بن شهاب، فقال له: فعليك وعليك من الايمان المغلظة، إن كان أخرجك إلا ما زعمت. فأبى أن يحلف. فقال عبيدالله: انطلقوا بهذا إلى جبانة السبع فاضربوا عنقه بها، قال: فانطلق به فضربت عنقه، قال: وأخرج عمارة بن صلخب الازدي وكان ممن يريد أن يأتي مسلم بن عقيل بالنصرة لينصره فأتي به أيضا عبيدالله، فقال له: ممن أنت؟ قال: من الازد، قال: انطلقوا به إلى قومه فضربت عنقه فيهم. فقال عبد الله بن الزبير الاسدي في قتلة مسلم بن عقيل وهاني بن عروة المرادي، ويقال: قاله الفرزدق:

إلى هاني في السوق وابن عقيل	إن كنت لا تدريين ما الموت فانظري
وأخريهوي من طمار قتيل	إلى بطل قد هشم السيف وجهه
أحاديث من يسري بكل سيل	أصابهما أمر الأمير فأصبحا
ونضح دم قد سال كل مسيل	ترى جسداً قد غير الموت لونه
وأقطع من ذي شفرتين صقيل	فتى هو أحيى من فتاة حيية
وقد طلبته مذحج يذحول	أيركب أسماء الهماليج آمنا
على رقة من سائل ومسول	تطيف حواليه مراد وكلهم

فإن أنتم لم تثاروا بأخيكم فكونوا بغايا أرضيت بقليل^(١)

موارد الاعتبار:

١ - قضى ابن زياد على زعيم المعارضة مسلم بن عقيل، ومناصره الرئيسي هاني بن عروة، وبعد ذلك توجه إلى تصفية المعارضة الذين يخشى منهم أي تحرك في المستقبل، وابتدأ بمن حبسهم رهينة، من الذين تحركوا لنصرة مسلم بن عقيل، وهما: عبد الأعلى الكلبي وعمار الأزد.

٢ - أمر ابن زياد أن يصلب الكلبي في جبانة السبع، وربما خوفاً من أتباعه حيث لم يظهر لهم أي مساندة علنية لمسلم بن عقيل، ولكنه أمر بقتل الأزد في الأزد، مما يظهر أنه أراد إشاعة الرعب فيهم وذلك يكشف بوضوح أن سياسة الإرهاب كانت هي السياسة الحاكمة، وإن كلاً من الكلبي والأزد لم يكن لهما رؤية إسلامية واضحة لإتخاذ القرار الحاسم المطلوب في مثل هذه الظروف.

٣ - أن الأبيات التي أنشدها عبدالله الأسدي أو الفرزدق تكشف عن أن الكثرة العددية وحدها لا تكفي في فصل المواقف الحاسمة، فإن كلاً من مسلم الداعية الإسلامي كان له الكثرة من الأتباع، وأن هاني كان له الكثرة في العشيرة، ولكن هذه الكثرة لم تتمتع بالرؤية الواضحة لتتحمل مسؤولياتها في المواقف الحرجة، فإن النجاح للكثرة إنما يتحقق فيما إذا اتصفت بالوعي للماضي في الحال والاستقبال، لكل من العدو والصديق، ولكل أهدافهما وخططهما، وهذا ما كان مفقوداً في الأتباع والعشيرة.

٤ - أن المختار الثقفي وعبدالله بن الحارث (كانا خرجا مع مسلم) وللمختار راية خضراء ولعبدالله راية حمراء، ويظهر أنهما كانا على حيطة وحذر من فشل حركة مسلم، فلم يعلنوا الولاء التام بعد الفشل، وكانت حجة المختار أنه أراد الدفاع عن عمر بن حريث فكانت حجة قبلية توافق سياسة ابن زياد المبتنية على الروح القبلية، وربما لذلك اكتفى

ابن زياد بحبسهما.

٥ - يظهر من قول شبت بن ربعي: (انتظروا بهم الليل) انه لم تكن للسلطة أي هدف سوى القضاء على رموز المعارضة، وكان همّهم تطبيق سياسة «فرّق تسد» وذلك بقتل الرموز او حبسهم لكي يتفرق الناس في شأنهم ويختلفوا في أمرهم، وقد نجحوا في ذلك.

خطّة مدروسة

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: عن أبي جناب يحيى بن أبي حية الكلبي قال: ثم إن عبيد الله بن زياد لما قتل مسلماً وهائناً بعث برؤوسهما مع هاني بن أبي حية الوادعي والزبير بن الأرواح التميمي إلى يزيد بن معاوية، وأمر كاتبه عمرو بن نافع أن يكتب إلى يزيد بن معاوية بما كان من مسلم وهاني، فكتب إليه كتاباً أطال فيه، وكان أول من أطال في الكتب، فلما نظر فيه عبيد الله بن زياد كرهه وقال: ما هذا التطويل وهذه الفضول؟ أكتب. أما بعد، فالحمد لله الذي أخذ لا أمير المؤمنين بحقه وكفاه مؤنة عدوه، أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هاني بن عروة المرادي وإني جعلت عليهما العيون ودست إليهما الرجال وكدت هما حتى استخرجتهما وأمكن الله منهما، فقدمتهما فضرب أعناقهما وقد بعثت إليك برؤوسهما مع هاني بن أبي حية الهمداني والزبير بن الأرواح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليسألهما أمير المؤمنين عما أحبّ من أمر، فإن عندهما علماً وصدقا وفهما وورعاً، والسلام.

فكتب إليه يزيد: أما بعد، فإنك لم تعد أن كنت كما أحب، عملت عمل الحازم وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، فقد أغنيت وكفيت وصدقت ظني بك ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك فسألتهما وناجيتهما فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت، فاستوص بهما خيراً، وإنه قد بلغني أن الحسين بن عليّ قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس على الظن وخذ على التهمة غير الا تقتل إلا من قاتلك، واكتب إلى في كل ما يحدث من الخبر، والسلام عليك ورحمة الله.

قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير عن عون بن أبي جحيفة قال: كان مخرج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال مضين من ذي الحجة سنة ستين ويقال: يوم الاربعاء لسبع مضين سنة ستين من يوم عرفة بعد مخرج الحسين من مكة مقبلاً إلى الكوفة بيوم، قال: وكان مخرج الحسين من المدينة إلى مكة يوم الاحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان، فأقام بمكة شعبان وشهر رمضان وشوال وذا القعدة، ثم خرج منها لثمان مضين من ذي الحجة يوم الثلاثاء يوم التروية في اليوم الذي خرج فيه مسلم بن عقيل.

وذكر هارون بن مسلم عن علي بن صالح عن عيسى بن يزيد: أن المختار بن أبي عبيد وعبد الله بن الحارث بن نوفل كانا خرجا مع مسلم، خرج المختار براية خضراء وخرج عبد الله براية حمراء وعليه ثياب حمراء وجاء المختار برايته فركزها على باب عمرو بن حريث، وقال: إنما خرجت لأمع عمراً، وأن ابن الاشعث والقعقاع بن شور وشبث بن ربعي قاتلوا مسلماً وأصحابه عشية سار مسلم إلى قصر ابن زياد قتلاً شديداً، وأن شبثاً جعل يقول: انتظروا بهم الليل يتفرقوا. فقال له القعقاع: إنك قد سددت على الناس وجه مصيرهم فافرج لهم ينسربوا. وأن عبيد الله أمر أن يطلب المختار وعبد الله بن الحارث وجعل فيهما جعلاً فأتي بهما فحبسا.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - كتاب ابن زياد إلى يزيد يكشف عن خطة مدروسة من جانبه، حيث يظهر فيه

الحقائق التالية:

أ - إن مسلم بن عقيل كان قد لجأ إلى دار هاني.

ب - جعلت عليهما العيون.

ج - ودست إليهما الرجال.

د - وكدتها حتى استخرجتهما فضربت أعناقهما.

فالتركيز بالدرجة الاولى كان على هاتين الشخصيتين: مسلم بن عقيل باعتباره سفير الحسين، وهاني بن عروة باعتباره نصيراً للحسين، واما العيون فلم نعرف منهم إلا معقل والدسيس، كذلك لم يظهر منهم إلا محمد بن الأشعث، وطبيعة الموقف تقتضي أكثر من ذلك عدداً.

وأما ادوار الهمداني والتميمي فهي غير معروفة، لكنها كانت مشابهة، حيث وصفهما ابن زياد بقوله: «فان عندهما علماً وصدقاً وفهماً وورعاً». ومهما كانت استثنائية فهي كانت في مصلحة ابن زياد.

٢ - إن كتاب يزيد يكشف عن توافق تام ورضى كامل بالمواقف والخطط، وأهمها:
أ - انك لم تعنك ان كنت كما أحب عملت.

ب - عملت عمل الحازم.

ج - صدقت.

د - دعوت رسوليك وسألتهما وناجيتهما... فاستوص بهما خيراً.

وهذه النقاط تكشف بوضوح عن تشجيع يزيد لابن زياد لما قام به، والنقطة الأخيرة تكشف عن التوافق التام في الخطط المستقبلية وآثارها في المجتمع، واطلاق يد ابن زياد في استئصال المتعاطفين معها.

٣ - السياسة الموحدة بين يزيد وابن زياد بواسطة الرسولين الذين استوصى بهما

خيراً، تظهر من نقاط ذكرها يزيد في رسالته الجوابية، وهي:

أ - قد بلغني أن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق.

ب - فضع المناظر والمسالح.

ج - احبس على الظن.

د - خذ على التهمة.

هـ - غير أن لا تقتل إلا من قاتلك.

و - أكتب إلي في كل ما يحدث من الخبر، والسلام.

٨٠..... موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

وأهم هذه النقاط هي الثلاثة الأخيرة، فإنّ الرابع (الأخذ على التهمة) لم تكن لها سابقة في الكتاب والسنة، في حين ان الخامس هو من صميم الكتاب والسنة، وهاتان النقطتان لا تجتمعان في آن واحد، بل يناقض كل منهما الآخر، فأن الأخذ على التهمة قد يستلزم القتال للدفاع عن النفس، فكيف التوفيق؟ وهذا التناقض يكشف عن ان الرسالة كانت ضوئاً أخضراً لمخطط مسبق حملهما الرسولان شفهاً، كما أن النقطة السادسة والأخيرة تكشف عن تحمل يزيد المسؤولية في كل ما؛ حدث إذ أنه أعطى الصلاحية التامة لابن زياد ثم طلب منه إعلامه بكل ما يحدث.

نصائح المعارضة

رواية الطبري:

وفي هذه السنة كان خروج الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً إلى الكوفة

ذكر الخبر عن مسيره إليها وما كان من أمره في مسيره ذلك.

قال هشام عن أبي مخنف: حدثني الصقعب بن زهير عن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي قال: لما قدمت كتب أهل العراق إلى الحسين وتهيئاً للمسير إلى العراق أتيت به فدخلت عليه وهو بمكة، فحمدت الله وأثنت عليه ثم قلت: أما بعد، فإنني أتيتك يا ابن عم لحاجة أريد ذكرها لك نصيحة، فإن كنت ترى أنك تستنصحنني وإلا كففت عما أريد أن أقول، فقال: قل، فوالله ما أظنك بسيئ الرأي ولا هو للقبيح من الامر والفعل. قال: قلت له: إنه قد بلغني أنك تريد المسير إلى العراق، وإني مشفق عليك من مسيرك، إنك تأتي بلدًا فيه عماله وأمرأؤه ومعهم بيوت الاموال وإنما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار، ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه. فقال الحسين: جزاك الله خيراً يا ابن عم، فقد والله علمت أنك مشيت بنصح، وتكلمت بعقل، ومهما يقض من أمر يكن، أخذت برأيك أو تركته، فأنت عندي أحمد مشير وأنصح ناصح قال: فانصرف من عنده فدخلت على الحارث بن خالد بن العاص بن هشام، فسألني: هل لقيت حسيناً؟ فقلت له: نعم. قال: فما قال لك وما قلت له؟ قال: فقلت له: قلت كذا

وكذا وقال كذا وكذا فقال: نصحته وربّ المروة الشهباء، أما وربّ البنيّة إن الرأي لما رأيته، قبله أو تركه، ثم قال:

ربّ مستنصح يغشّ ويردي وظنين بالغيب يلفي نصيحا

قال أبو مخنف: وحدثني الحارث بن كعب الوالبي عن عتبة بن سمعان: أن حسيناً لما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه عبد الله بن عباس فقال: يا ابن عم، إنك قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبين لي ما أنت صانع؟ قال: إني قد أجمعت المسير في أحد يوميّ هذين إن شاء الله تعالى، فقال له ابن عباس: فإني أعيذك بالله من ذلك، أخبرني رحمك الله أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم، فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعماله تجبي بلادهم فإنهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك وأن يستنفروا اليك فيكونوا أشد الناس عليك. فقال له حسين: وإني أستخير الله وأنظر ما يكون.

قال: فخرج ابن عباس من عنده وأتاه ابن الزبير فحدثه ساعة ثم قال: ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكفنا عنهم ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الامر دونهم، خبرني ما تريد أن تصنع؟ فقال الحسين: والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة ولقد كتب إليّ شيعتي بها وأشرف أهلها، وأستخير الله. فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها. مثل شيعتك ما عدلت بها قال: ثم إنه خشي أن يتهمه فقال: أما إنك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الامر ههنا ما خولف عليك إن شاء الله، ثم قام فخرج من عنده. فقال الحسين: ها إن هذا ليس شيء يؤتاه من الدنيا أحب إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق، وقد علم أنه ليس له من الامر معي شيء وإن الناس لم يعدلوه بي، فودّ أني خرجت منها لتخلو له.

قال: فلما كان من العشي أو من الغد أتى الحسين عبد الله بن العباس فقال: يا ابن عم، إني أتصبر ولا أصبر، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستتصال، إن أهل العراق قوم غدر، فلا تقرّبهم، أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم ثم أقدم عليهم، فإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى

اليمن، فإن بها حصونا وشعبا، وهي أرض عريضة طويلة ولايبك بها شيعة، وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب إلى الناس وترسل وتبث دعائك فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية. فقال له الحسين: يا ابن عم، إني والله لأعلم أنك ناصح مشفق، ولكنني قد أزمعت وأجمعت على المسير، فقال له ابن عباس فإن كنت سائرا فلا تسر بنسائك وصبيتك، فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونسأؤه وولده ينظرون إليه. ثم قال ابن عباس: لقد أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إياه والحجاز والخروج منها، وهو يوم لا ينظر إليه أحد معك، والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع عليّ وعليك الناس أطعنتي لفعلت ذلك، قال: ثم خرج ابن عباس من عنده فمرّ بعبد الله بن الزبير فقال: قرّت عينك يا ابن الزبير، ثم قال:

يا لك من قنبرة بمعمر
خلالك الجو فيضي واصفري
* ونقري ما شئت أن تنقري
هذا حسين يخرج إلى العراق وعليك بالحجاز.^(١)

موارد الاعتبار:

١- ان اهتمام قادة المعارضة على اختلاف مبادئهم وغاياتهم بنصيحة الحسين ومنعه عن الخروج تكشف بالدرجة الأولى عن حقيقة مواقف أنفسهم أولاً وبالذات، وكان موقف الحسين الإنصات إلى هذه النصائح بدقة وهدوء لمعرفة وجهات نظر المعارضين ثم تحليلها، و الجواب عنها حسب ما يفهمه المعارضون معلناً بموقفه الراض لتلك النصائح بأسلوب ينبئ عن إيمان شخصي وحركة مبدئية تفرضها العقيدة عليه.

٢- إن نصيحة عمر المخزومي تكشف عن وعي لحركة الحسين وأدب تجاه شخصية القائد، وقد ذكر الحسين العلل لسماح نصحه بقوله: (فو الله ما أظنك سيء الرأي) حيث لم يعهد منه هذا الجواب لغيره من الناصحين، ولقد لخص نصيحته بقوله: (إنما الناس عبيد

لهذا الدرهم والدينار، ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعد نصره) ولم تكن هذه النصيحة خافية عن الحسين الذي عرف ماضي الناس وخاصة في الكوفة في عهد أبيه وأخيه، ولخلوص هذه النصيحة الصادقة لم يرفضها الحسين رفضاً قاطعاً، بل علّق عليها بقوله: (أخذت برأيك أو تركته، فأنت عندي أحمد مشير وانصح ناصح) من دون أي إشعار بقبولها أو رفضها بالنفي أو الإثبات.

٣- إن نصيحة عبدالله بن عباس تكشف عن نصيحة سياسي محكّك تبنتي على المصالح الشخصية السياسية بقوله: (أتسير إلى قوم قد قتلوا أمرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم، فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم)، وفيه تجاهل عن شخصية الحسين الروحية التي تسير على خطى وأهداف مبدئية، فأجابه الحسين بما يؤكد ذلك بقوله: (إني استخير الله وانظر ما يكون) وفي نفس الوقت أعلن عن قراره بالمسير على نحو الإجمال بقوله: (إني قد أجمعت المسير في أحد يومي) من دون تحديد اليوم بالضبط تحسب للامور المفاحنة التي قد تصده.

٤- نصيحة عبدالله بن الزبير تكشف عن شخصية منافسة بقوله: (نحن أبناء المهاجرون وولادة هذا الأمر دونهم) وقد أجابه الإمام بقوله: «حدث نفسي باتيان الكوفة... وأستخير الله» ويكون هذا الجواب عملياً مؤكداً على عدة نقاط:

أ- أنه لا يقصد التنافس من الموقع السياسي الطبقي الذي يدعوا إليه ابن الزبير.
ب- أن من خياراته الذهاب إلى الكوفة لوجود الشيعة فيها، وهم الذين يعتبرون القاعدة، وليس ذلك هو الخيار الوحيد له.

ج- أن الأمر أولاً وأخيراً يعود إلى الله بقوله: (أستخير الله) وإنه ليس للحسين أي قرار شخصي نهائي إلا بعد رضى الله.

د- إن كلام ابن الزبير: (أما لو كان لي بها [الكوفة] مثل شيعتك ما عدلت بها... أما أنك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ها هنا ما خولف عليك). وهذه النصيحة تكشف عن النقاط التالية:

١- ترغيب الحسين بالخروج إلى الكوفة لأن له فيها قاعدة وأتباع.

٢- إذا قرر الحسين الإقامة في الحجاز فلن يعارضه ابن الزبير، وذلك يعني أن ابن الزبير كان يدعى انه هو الحاكم على هذه المنطقة والمتكلم باسمها.

٣- أن ابن الزبير لم يطلب طلباً باتاً قاطعاً من الحسين في نزول مكة وتولي أمرها، ولو كان صادقاً لفعل ولم يخف على الحسين مواقفه في الماضي، فكانت هذه النقاط كلها تلازم رفض الحكم للحسين للإقامة في مكة إذ لو كان كذلك لسلم مفاتيح الحرم إليه مباشرةً من دون أي تعليق، والحسين لمعرفته بتاريخ هذا الرجل لم يعلق على نصيحته بكلمة تؤيد هذه النصيحة، بل أعلن العكس حيث قال: (إن هذا ليس شيء يؤتاه من الدنيا أحب إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق) وأيدها ابن عباس السياسي المحنك مخاطباً ابن الزبير: «خلى لك الجو».

٥- إن الحسين القائد لم يغلق باب النصيحة في وجه من جاء بها؛ عملاً بالمبدأ الإسلامي (الدين النصيحة) وسمع من قادة المعارضة وغيرهم على حدّ سواء، وكان أكثرهم اصراراً بدافع عائلي هو عبدالله بن العباس، حيث اقترح خيارات ثلاث:

١- اكتب إليهم [أهل الكوفة] فيكفّوا عدوهم ثم أقدم عليهم.

٢- سر إلى اليمن ولأبيك بها شيعة وأنت عن الناس في عزلة.

٣- فإن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك.

وهذه الخيارات لم تكن خافية عن الحسين وهي برمتها مرفوضة مبدئياً: أما الأول: لأن الحسين لم يرد تسلّم الحكم للحكم، بل لتطبيق الإسلام، ومن المبادئ الإسلامية محاربة الظلم.

وأما الثاني: فإن الذهاب إلى اليمن من دون طلب أهلها، فرض عليهم ما لم يطلبوه، وهو نقض لأساس مبدئي في الحكم، ثم أن المفروض أن الحسين لم يرد العزلة، بل طورد وهو في بيته.

وأما الثالث: فالحسين لو ترك النساء والصبيان فعند من يتركهن؟، وتحت رحمة من؟ وأي ضمان لعدم الاعتداء عليهن من الأعداء؟، وهل يصح أن يترك الحسين النساء والأطفال ليذهب وحده في مثل الظرف الحرج.

ويستخلص من جميع ذلك: أن هذه النصائح أظهرت مواقف الناصحين ونواياهم أكثر من أن تكون نصائح عادية، ثم انه لم يكن شيء منها خافياً عن الحسين، الذي كان قد اتخذ قراره المبدئي للنصر أو الشهادة.

الفصل الثالث

مسير مكة - كربلاء

٨ / ذى الحجة / ٦٠ هـ

خروج الحسين من مكة

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: قال أبو جناب يحيى بن أبي حية عن عدي بن حرملة الأسدي عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشعل الأسديين، قالوا: خرجنا حاجين من الكوفة حتى قدمنا مكة، فدخلنا يوم التروية فإذا نحن بالحسين وعبد الله بن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحجر والباب، قالوا، فتقربنا منهما فسمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسين: إن شئت أن تقيم أقيم فوليت هذا الأمر فأزرنك وساعدناك ونصحنا لك وبايعناك، فقال له الحسين: إن أبي حدثني أن بها كبشا يستحل حرمتها، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش. فقال له ابن الزبير: فأقم إن شئت وتوليني أنا الأمر فتطاع ولا تعصى، فقال: وما أريد هذا أيضا. قالوا: ثم إنهما أخفيا كلامهما دوننا فما زالا يتناجيان حتى سمعنا دعاء الناس راححين متوجهين إلى منى عند الظهر، قالوا: فطاف الحسين بالبيت وبين الصفا والمروة وقص من شعره وحل من عمرته ثم توجه نحو الكوفة، وتوجهنا نحو الناس إلى منى

قال أبو مخنف: عن أبي سعيد عقيص عن بعض أصحابه قال: سمعت الحسين بن علي وهو بمكة وهو واقف مع عبد الله بن الزبير فقال له ابن الزبير: إلي يا ابن فاطمة، فأصغى إليه فسارّه، قال: ثم التفت إلينا الحسين فقال: أتدرون ما يقول ابن الزبير؟ فقلنا: لا ندري جعلنا الله فداك، فقال: قال: أقم في هذا المسجد أجمع لك الناس، ثم قال الحسين: والله لأن أقتل خارجا منها بشير أحب إلي من أن أقتل داخلا منها بشير، وإيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم، والله ليعتدن علي كما اعتدت اليهود في السبت.

قال أبو مخنف: حدثني الحارث بن كعب الوالبي عن عقبة بن سمعان قال: لما خرج الحسين من مكة اعترضه رسل عمرو بن سعيد بن العاص، عليهم يحيى بن سعيد فقالوا له: انصرف أين تذهب! فأبى عليهم ومضى وتدافع الفريقان فاضطربوا بالسياط، ثم إن

٩٠..... موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

الحسين وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً قوياً، ومضى الحسين عليه السلام على وجهه فنادوه: يا حسين ألا تتقي الله! تخرج من الجماعة وتفرق بين هذه الأمة؟ فتأول حسين قول الله عز وجل: ﴿لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بري مما تعملون﴾^(١)

موارد الاعتبار:

١ - اختار الحسين وقت الخروج: يوم التروية ٨ / ذي الحجة، وهو يوم تجتمع المسلمين لأداء فريضة الحج، وذلك عند ارتفاع الضحى، وحسب التوقيت المحلي لمكة، يكون حوالي الساعة الحادية عشر صباحاً، حيث يكون الخروج على مرأى ومسمع من للجماهير ومن حيث المكان: خرج من بين الحجر والباب في أقدس بقعة من بقاع الأرض في المسجد الحرام، واختار ذلك على أنه الوسيلة الوحيدة لإيصال صوته إلى الأمة الإسلامية أجمع.

٢ - في محاولة أخيرة من ابن الزبير لإحتواء حركة الحسين وصبغها بصبغة سياسية رفض الحسين ذلك بعدة مواقف:

أ - قال ابن الزبير: (إن شئت أن تقيم فأقيم فوليت هذا الأمر)، ولم يرد الحسين على هذا بل أكد على حرمة مكة، ولزوم تجنب القتال فيها كواجب إسلامي مبدئي.

ب - قال ابن الزبير: (إن شئت ولني أنا الأمر فتطاع) فأجاب الحسين: (ما أريد هذا) لمعرفة بماضى الرجل وتاريخه ومواقفه في الماضي، التي تكشف عن مواقف متشابهة له في المستقبل.

ج - أن موقف ابن الزبير أظهرت نواياه في خطابه للحسين بقوله: (يا بن فاطمة) ولم يجبه الحسين عملاً بقوله تعالى: (واعرض عن الجاهلين)^(٢) حيث أن أسلوب الخطاب يكشف عن عقلية قبلية، لا عن مبدأ بإحياء سنة رسول الله

د - أن ابن الزبير سارَّ الحسين بشيء والحسين أصغى إليه، ولكن بعد ذلك أعلن بقوله: (أتدرون ما يقول ابن الزبير) كي لا يتخذ ذلك وسيلة لمصلحة سياسية وقتية.

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٨٨ - ٢٨٩ والآية من سورة يونس: ٤١.

(٢) الاعراف: ١٩٩.

هـ- أن ابن الزبير اقترح في سرّه للحسين (الإقامة في هذا المسجد أجمع لك الناس) والحسين لم يلبّ الدعوة؛ فان عدم التلبية تكشف عن عدم الرضوح لسياسة ابن الزبير؛ إذ لو كان صادقاً في ذلك لتبع الحسين عملياً.

٣- إنّ الحسين شرح للعامة دوافع الخروج معلناً إياها في نقاط:
أ- (لأن أقتل خارجاً منها [مكة] بشبر أحب إليّ...) مؤكداً على قدسية الحرم الشريف كمبدأ إسلامي.

ب- (وأيم الله لو كنت في حجر هامة من هذه الأهوام لاستخرجوني) مؤكداً على أن يزيد - باعتباره الرئيس الحاكم - يجد في شخص الحسين ووجوده على قيد الحياة خطراً على حكمه، وأنه يحاول بكل جهده القضاء عليه بأية وسيلة.

٤- حاول رسل الحكم منع الحسين من الخروج واستخدمت الوسائل التالية:

أ- منع الحركة (أعترضه الرسل).

ب- الأمر العسكري (انصرف).

ج- الاستجواب (أين تذهب؟).

د- المضاربة بالأسلحة (تدافع الفرق فاضطربوا بالسياط).

هـ- الدعاية المضادة، وذلك بعد أن فشلت الوسائل المتقدمة (نادوا يا حسين ألا تتقي، الله تخرج عن الجماعة وتفرّق بين هذه الأمة).

٥- أن الحسين أفضّل كل تلك الوسائل بمواصلة مسيرته بعزم وثبات (فأبى عليهم ومضى) وهو يتلو الآية الكريمة: ﴿لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾^(١).

فإن هذه الآية الكريمة تكشف عن الثوابت الإسلامية في حركة الحسين، والتي تناقض الثوابت الملوكية في حكم يزيد، فلم تؤثر في هذه الحركة الدعايات، بل واصل الحسين مسيره.

(١)

التنعيم

قال ياقوت الحموي (ت = ٦٢٦ هـ) في «معجم البلدان»: «... التنعيم - بالفتح ثم السكون، وكسر العين المهملة، وباء ساكنة، وميم - موضع بمكة في الحل، وهو بين مكة وسرف، على فرسخين من مكة، وقيل: على أربعة، وسمي بذلك لان جبلا عن يمينه يقال له: نعيم، وآخر عن شماله يقال له: ناعم، والوادي نعمان، وبالتنعيم مساجد حول مسجد عائشة وسقايها على طريق المدينة، منه يحرم المكيون بالعمرة...»^(١)

رواية الطبري:

قال: ثم إن الحسين أقبل حتى مرّ بالتنعيم فلقي بها عيرا قد أقبل بها من اليمن، بعث بها بحير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية - وكان عامله على اليمن - وعلى العير الورس والحل ينطلق بها إلى يزيد، فأخذها الحسين فانطلق بها، ثم قال لأصحاب الأبل: لا أكرهكم، من أحب أن يمضي معنا إلى العراق أوفينا كراءه وأحسنّا صحبتته، ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض. قال: فمن فارقه منهم حوسب فأوفي حقه، ومن مضى منهم معه أعطاه كراءه وكساه.^(٢)

موارد الاعتبار:

- ١ - لقد بدأ الحسين في العمل في تطبيق العدالة الإسلامية بمقتضى الإمامة بالنسبة إلى الغير من عامل اليمن؛ لأنه مال المسلمين، ويجب تنفيذ حكم الله فيها بمنطق إسلامي.
- ٢ - إن أصحاب الأبل كانوا موظفين للدولة، فلم يتعرض الإمام لهم بسوء؛ لأنهم دخلوا الوظيفة لمصلحة شخصية، ولذلك خيرهم بأن يكون لهم الحرية الشخصية، فقال الحسين لهم: (لا أكرهكم، من أحب أن يمضي معنا إلى العراق أوفينا كراءه وأحسنّا صحبتته) جاعلاً لهم القرار، لأن حركة الحسين كانت حركة عقائدية.

(١) معجم البلدان؛ لياقوت الحموي ٢: ٤٩.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٩٠.

٣- إن الموظفين إنما قاموا بخدمتهم بحكم وظيفتهم، فهم بإعتبار الوظيفة قاموا بعمل محترم شرعاً، فلا بد لهم من التعويض شرعاً، فقال الإمام لهم: (من أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض).

٤- أثبت الإمام بهذه المبادرة عدة نقاط:

أولاً: العزيمة على ادامة المسير من دون هواده.

ثانياً: تطبيق العدالة في مال المسلمين.

ثالثاً: حرية الخيار بين الموظفين.

رابعاً: تعويض الأعمال بالعدل.

خامساً: الأكرام لمن استقام مع الحركة.

(٢)

الصفاح

قال ياقوت الحموي (ت = ٦٢٦ هـ) في «معجم البلدان»: «... صفاح - بالكسر و آخره حاء مهملة، و الصفح: الجنب، والجمع الصفاح، والصفاح: السيوف العراض، والصفاح: موضع بين حنين وأنصاب الحرم على يسرة الداخل إلى مكة من مُشاش، وهناك لقي الفرزدق الحسين بن علي، رضي الله عنه، لما عزم على قصد العراق، قال: لقيت الحسين بأرض الصفاح عليه اليلامق والدرق...»^(١).

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: عن أبي جناب عن عدي بن حرملة عن عبد الله بن سليم والمذري قالاً: أقبلنا حتى انتهينا إلى الصفاح، فلقينا الفرزدق بن غالب الشاعر فواقف حسينا، فقال له: أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحب، فقال له الحسين: يَبْنَ: لنا نبأ الناس خلفك، فقال له الفرزدق: من الخبير سألت، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء. فقال له الحسين: صدقت، لله الامر والله يفعل ما يشاء، وكل يوم ربنا في شأن، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يعتد من كان الحق نبيته والتقوى سريره، ثم حرّك الحسين راحلته فقال: السلام عليك، ثم افترقا.

قال هشام: عن عوانة بن الحكم عن لبطة بن الفرزدق ابن غالب عن أبيه قال: حججت بأمي فأنا أسوق بعيرها حين دخلت الحرم في أيام الحج وذلك في سنة ستين إذ لقيت الحسين بن عليّ خارجاً من مكة معه أسيفه وتراسه، فقلت: لمن هذا القطار، فقلت: للحسين بن عليّ، فأتيته فقلت: بأبي وأمي يا ابن رسول الله ما أعجلك عن الحج؟ فقال: لو لم أعجل لأخذت. قال: ثم سألتني ممن أنت؟ فقلت له: امرؤ من العراق، قال: فوالله ما فتّشني عن أكثر من ذلك واكتفى بها مني، فقال: أخبرني عن الناس خلفك؟ قال: فقلت له:

القلوب معك والسيوف مع بني أمية، والقضاء بيد الله. قال: فقال لي: صدقت، قال: فسألته عن أشياء فأخبرني بها من نذور ومناسك، قال: وإذا هو ثقیل اللسان من برسام أصابه بالعراق. قال: ثم مضيت فإذا بفسطاط مضروب في الحرم وهيئته حسنة، فأتيته فإذا هو لعبد الله بن عمرو بن العاص، فسألني فأخبرته بقاء الحسين بن عليّ، فقال لي: ويلك فهلا اتبعته فوالله ليملكن ولا يجوز السلاح فيه ولا في أصحابه، قال: فهممت والله أن ألحق به ووقع في قلبي مقالته، ثم ذكرت الانبياء وقتلهم فصدّني لك عن اللحاق بهم، فقدمت على أهلي بعسفان، قال: فوالله إني لعندهم إذ أقبلت غير قد امتارت من الكوفة فلما سمعت بهم خرجت في آثارهم حتى إذا أسمعتهم الصوت وعجلت عن إتيانهم صرخت بهم: ألا ما فعل الحسين بن عليّ؟ قال: فردوا عليّ الا قد قتل. قال: فانصرفت وأنا ألن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: وكان أهل ذلك الزمان يقولون ذلك الامر وينتظرونه في كل يوم وليلة، قال: وكان عبد الله بن عمرو يقول: لا تبلغ الشجرة ولا النخلة ولا الصغير حتى يظهر هذا الامر، قال: فقلت له: فما يمنعك أن تبیع الوهط؟ قال: فقال لي: لعنة الله على فلان - يعني معاوية - وعليك، قال: فقلت: لا، بل عليك لعنة الله، قال: فزادني من اللعن ولم يكن عنده من حشمه أحد فألقي منهم شرا، قال: فخرجت وهو لا يعرفني: والوهط: حائط لعبد الله بن عمرو بالطائف، قال: وكان معاوية قد ساوم به عبد الله بن عمرو وأعطاه به ما لا كثيرا فأبى أن يبيعه بشيء^(١).

موارد الاعتبار:

١ - إن لقاء الحسين والفردق لقاء جمعهم الطريق، حيث كان الفردق عازماً مع أمه والفردق كأغلب الشعراء في عصره كانوا يمثلون دور الصحافة في عصرنا ومبادرته بالقول للحسين: (أعطاك الله سالك وأملك فيما تحب) تكشف عن انه كان يرى حركة الحسين حركة خاسرة.

٩٦ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

٢- إن الحسين لم يطلب من الفرزدق الالتحاق بالحركة مع أنه طلب من آخرين ذلك، وربما لمبادرته المذكورة أو لدوره في القيام بخدمة أمه، ولكن الإمام استغل هذا اللقاء ليطلع منه على الرأي العام الحاكم في الكوفة، فأجاب الفرزدق: قلوب الناس معكم وسيوفهم مع بني أمية.

٣- الحسين لم يكذب الفرزدق ولم يعقب على كلامه لأنه نابع من التفكير المادي الغالب على المجتمع، ولكن الحسين أكد على إحدى ثوابت حركته، وهي قوله النبي عن الإيمان بالقضاء الإلهي.

٤- إن الحسين أجاب عن سؤال الفرزدق عن سبب استعجاله بالخروج بقوله: (لو لم أعجل لأخذت)، وهذه لأول مرة يعلنها الإمام للفرزدق دون غيره، ولم يعقب الفرزدق على ذلك بشيء، مما يكشف عن علمهما معاً بخطط حكومة يزيد للقضاء على الإمام بأية طريقة ممكنة، ولو كان الإمام كشف هذا لغير الفرزدق ممن لم يكن له علم لكان يحاول إقناع الإمام.

٥- أن الفرزدق سأل الحسين عن مسائل دينية بحثة كالنذور؛ لعلمه أن هذه آخر فرصة يمكنه الانتفاع من شخصية الإمام.

(٣)

ذات عرق

قال ياقوت الحموي (ت = ٦٢٦ هـ) في «معجم البلدان»: «... العرق - بكسر أوله - وذات عرق: مهل أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة، وقيل: عرق جبل بطريق مكة ومنه ذات عرق، وقال الاصمعي: ما ارتفع من بطن الرمة فهو نجد إلى ثنانيا ذات عرق، وعرق: هو الجبل المشرف على ذات عرق...»^(١)

رواية الطبري:

قال: وأقبل الحسين مغدًا لا يلوي على شيء حتى نزل ذات عرق
قال أبو مخنف: حدثني الحارث بن كعب الوالبي عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال: لما خرجنا من مكة كتب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب إلى الحسين بن علي مع ابنه عون ومحمد: أما بعد، فإني أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي، فإني مشفق عليك من الوجه الذي توجه له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، إن هلك اليوم طفئ نور الأرض، فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير، فإني في أثر الكتاب، والسلام.

قال: وقام عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد بن العاص فكلّمه وقال: اكتب إلى الحسين كتابًا تجعل له فيه الأمان وتمنيّه فيه البر والصلة، وتوثق له في كتابك، وتسأله الرجوع، لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع. فقال: عمرو بن سعيد: اكتب ما شئت وأتني به حتى أختمه. فكتب عبد الله بن جعفر الكتاب ثم أتى به عمرو بن سعيد فقال له: اختمه وابعث به مع أخيك يحيى بن سعيد، فانه أحرى أن تطمئن نفسه إليه ويعلم أنه الجد منك، ففعل، وكان عمرو بن سعيد عامل يزيد بن معاوية على مكة. قال: فلحقه يحيى وعبد الله بن جعفر ثم انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب فقالا: أقرأناه الكتاب وجهدنا به وكان مما اعتذر به إلينا أن قال: إني رأيت رؤيا فيها رسول الله وأمرت فيها بأمر أنا ماض له،

(١) معجم البلدان؛ لياقوت الحموي ٤: ١٠٧.

علي كان أولى فقال له: فما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدثت أحدا بها وما أنا محدث بها حتى ألقى ربي، قال: وكان كتاب عمرو بن سعيد إلى الحسين بن عليّ: بسم الله الرحمن الرحيم، من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن عليّ. أما بعد، فاني أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك، وأن يهديك لما يرشدك، بلغني أنك قد توجّهت إلى العراق وإني أعيدك بالله من الشقاق؛ فإني أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد فأقبل إليّ معهم؛ فإن لك عندي الأمان والصلة والبرّ وحسن الجوار لك، الله عليّ بذلك شهيد وكفيل ومراع ووكيل، والسلام عليك.

قال: وكتب إليه الحسين: أما بعد، فانه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجل وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين^(١) وقد دعوت إلى الأمان والبرّ والصلة، فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة، فان كنت نويت بالكتاب صلتني وبرّي فجزيت خيرا في الدنيا والآخرة، والسلام.^(٢)

موارد الاعتبار:

١ - تعتبر مبادرة عبدالله بن جعفر بن أبي طالب هي آخر محاولة لصد الحسين عن الاستمرار في عزمه، ولكنها جاءت متأخرة جداً، وربما كان ذلك بطلب من عامل مكة، ولكن لماذا لم تحصل هذه المبادرة حال كون الإمام في مكة؟ في ذلك الفترة الطويلة؟ وهذا مما تكشف عن أنها كانت محاولة أموية بوجوه علوية.

٢ - من هذا النصّ يظهر فشل الوسائل التي تقدمت من التهديد والإعتراض حتى الدعايات المضادة، فأنها فشلت في صد حركة الحسين فحاولت السلطة تجربة سعي الوسطاء من الأقرباء.

٣ - حمل كتاب والي مكة تهديداً وتطميعاً شخصياً في نقاط:

(١) اقتباس من سورة فصلت: ٣٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٩١ - ٢٩٢.

أ - التهديد الشخصي (هلاكك).

ب - التهديد العائلي (استئصال أهل بيتك).

ج - التخوف على رمز الإسلام (ان هلكت اليوم طفأ نور الأرض).
وأما التطميع:

أ - المصلحة الشخصية (الأمان).

ب - البر.

ج - الصلة.

د - حسن الجوار.

وكلها مصالح مادية، كما هي واضحة، بعيدة عن ثوابت حركة الحسين، فإن شيئاً من موارد التهديد والتطميع لم تكن غائبة عن فكر الإمام منذ حركته حتى وصول هذا الكتاب، فالكتاب يكشف عن فشل كل الوسائل التي استخدمتها الدولة.

٤ - الإمام لم يقرأ الكتاب، بل أقرأه يحيى عامل مكة والإمام، وبالرغم من ذلك واصل الامام الحسين المسيرة، ويكشف ذلك عن رؤية واضحة وطنبي عنه قوله: «أمرت فيها بأمر أنا ماضٍ» وذلك رداً على موارد التهديد والتطميع، واجمالها بأنه:

أ - لم يشاقق الله ورسوله لإجتماع صفات ثلاثة فيه هي الدعوة إلى الله والعمل الصالح والإسلام.

ب - أن أمان والي مكة لا قيمة له لأنه لا يخاف الله.

ج - أن الصلة والبر لا يفتقران إلى وعد أو كتابة، فأنهما من الأعمال الصالحة، ومن أراد الثواب والتقرب إلى الله أتى بهما من دون حاجة إلى وعد أو كتابة.

د - إذا كانت النية إلى الصلة والبر، فالله يجزي على ذلك في الدنيا والآخرة، وبذلك كد الامام الحسين على وضوح الرؤية في مسيرته.

(٤)

الحاجر

قال ياقوت الحموي (ت = ٦٢٦ هـ) في «معجم البلدان»: «... الحاجر - بالجيم، والراء - وفي لغة العرب: ما يمسك الماء من شفة الوادي، وكذلك الحاجور، وهو فاعول: وهو موضع قبل معدن النقرة...»^(١)

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني يونس بن أبي إسحاق السبيعي، قال: ولما بلغ عبيد الله إقبال الحسين بن مكة إلى الكوفة بعث الحصين بن نمير صاحب شرطه حتى نزل القادسية ونظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان، وما بين القادسية إلى القطقانة وإلى لعلج. وقال الناس: هذا الحسين يريد العراق.

قال أبو مخنف: وحدثني محمد بن قيس: أن الحسين أقبل حتى إذا بلغ الحاجر من بطن الرمة بعث قيس بن مسهر الصيداوي إلى أهل الكوفة، وكتب معه إليهم: بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن عليٍّ إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم؛ فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنع وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا أمركم وجدّوا؛ فإني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكان مسلم بن عقيل قد كان كتب إلى الحسين قبل أن يقتل لسبع وعشرين ليلة: أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله، إن جمع أهل الكوفة معك، فأقبل حين تقرأ كتابي، والسلام عليك.

قال: فأقبل الحسين بالصبيان والنساء معه لا يلوي على شيء، وأقبل قيس بن مسهر

الصيداوي إلى الكوفة بكتاب الحسين حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى عبيد الله بن زياد، فقال له عبيد الله اصعد إلى القصر فسبّ الكذاب ابن الكذاب، فصعد ثم قال: أيها الناس إن هذا الحسين بن عليّ خير خلق الله، ابن فاطمة بنت رسول الله، وأنا رسوله إليكم، وقد فارقتك بالحاجر فأجيئوه. ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه واستغفر لعليّ بن أبي طالب.

قال: فأمر به عبيد الله ابن زياد أن يرمى به من فوق القصر، فرمي به فتقطّع فمات. ثم أقبل الحسين سيراً إلى الكوفة فأنتهى إلى ماء من مياه العرب، فإذا عليه عبد الله بن مطيع العدوي وهو نازل ههنا، فلما رأى الحسين قام إليه فقال: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ما أقدمك؟ واحتمله فأنزله، فقال له الحسين: كان من موت معاوية ما قد بلغك فكتب إليّ أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم، فقال له عبد الله بن مطيع: أذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الاسلام أن تنتهك، أشدك الله في حرمة رسول الله ، أشدك الله في حرمة العرب، فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقْتُلُوكَ، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً، والله إنها لحرمة الاسلام تنتهك وحرمة قريش وحرمة العرب، فلا تفعل، ولا تأت الكوفة ولا تعرض لبني أمية. قال: فأبى إلا أن يمضي^(١).

موارد الاعتبار:

١ - ان كتاب مسلم: فأقبل حين تقرأ كتابي، والسلام. يكشف عن قناعة تامة من جانب مسلم.

٢ - ان الحسين لم يستعجل ولم يلب الطلب فوراً حين قرأ الكتاب، بل أرسل رسالة جوابية مع قيس بن مسهر الصيداوي زيادة في التريث؛ لإستطلاع الحال، وان لا يكون كتاب مسلم معبراً عن رأيه الشخصي فقط.

٣ - وجه الحسين الرسالة الجوابية إلى (أخواني من المؤمنين والمسلمين) ولم يوجهها

إلى مسلم بن عقيل بالذات، وقد شرح فيها ما تَضَمَّنَه كتاب مسلم ومسيرته وتاريخ المسيرة، وأكد عليهم بأمر ثلاثة:

أولاً: الأمر بالكتمان (اكتموا أمركم).

ثانياً: الجد في الدعوة (جدّوا).

ثالثاً: الإخبار بالقدوم (فأني قادم عليكم).

٤ - إن حبس ابن زياد للصيداوي - رسول الحسين - وأمره بالدعاية المضادة جعل الصيداوي يفكر في استخدامها بذكاء، فقد استجاب للطلب، ولما اجتمع الناس أدى رسالته الحقيقية كما أراد الحسين عالماً بالنتيجة.

٥ - إن العدوي - الذي جمعه الماء مع الحسين - أبدى تخوّفه الشديد من حركة الحسين معللاً ذلك بدوافع حرمة الإسلام وحرمة قريش وحرمة العرب، وأبى الحسين أن يجيبه عن ذلك؛ لأنها دوافع غير عقائدية، ثم مَنْ هو أعرف بحرمة الإسلام من الحسين ابن رسول الله بنبي الإسلام.

(٥)

زرد

قال ياقوت الحموي (ت = ٦٢٦ هـ) في «معجم البلدان»: «... زرد: يجوز أن يكون من قولهم: جمل زرد، أي بلوع، والزرد: البلع، ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه التي تمطرها السحائب؛ لأنها رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة...»^(١)

رواية الطبري:

قال: فأقبل الحسين حتى إذا كان بالماء فوق زرد، قال أبو مخنف: فحدثني السدي عن رجل من بني فزارة قال: لما كان زمن الحجاج بن يوسف كنا في دار الحارث بن أبي ربيعة التي في التمارين التي أقطعت بعد زهير بن القين من بني عمرو ابن يشكر من بجيلة، وكان أهل الشام لا يدخلونها، فكنا محتبين فيها، قال: فقلت للفزاري: حدثني عنكم حين أقبلتم مع الحسين بن عليّ، قال: كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سار الحسين تخلف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدّم زهير، حتى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بداً من أن ننازله فيه، فنزل الحسين في جانب، ونزلنا في جانب فبينما نحن جلوس نتغدى من طعام لنا إذا أقبل رسول الحسين حتى سلم ثم دخل فقال: يا زهير بن القين إن أبا عبد الله الحسين بن عليّ بعثني إليك لتأتيه، قال: فطرح كل إنسان ما في يده حتى كأننا على رؤوسنا الطير.

قال أبو مخنف: فحدثتني دلهم بنت عمرو - امرأة زهير بن القين - قالت: فقلت له: أبيعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه، سبحان الله لو أتيته فسمعت من كلامه ثم انصرفت. قالت: فأتاه زهير بن القين فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه، قالت: فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدم وحمل إلى الحسين، ثم قال لامرأته: أنت طالق، إلحقي بأهلك، فاني لا أحب أن يصيبك من سببي إلا خير. ثم قال لاصحابه: من أحبّ منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد إنني سأحدثكم حديثاً غزونا بلنجر، ففتح الله علينا وأصبنا غنائم، فقال لنا

(١) معجم البلدان؛ لياقوت الحموي ٣: ١٣٩.

سلمان الباهلي: أفرحتكم بما فتح الله عليكم وأصبتكم من المغانم؟ فقلنا: نعم. فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمد فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معهم بما أصبتكم من الغنائم، فأما أنا فإني أستودعكم الله. قال: ثم والله ما زال في أول القوم حتى قتل.

قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب الكلبي عن عدي بن حرملة الاسدي عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الاسديين قالا: لما قضينا حجبنا لم يكن لنا همّة إلاّ اللحاق بالحسين في الطريق، لننظر ما يكون من أمره وشأنه، فأقبلنا ترقل بنا ناقتان مسرعين حتّى لحقناه بزود، فلما دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين قالا: فوقف الحسين كأنه يريد ثم تركه ومضى ومضينا نحوه، فقال أحدنا لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا فلنسأله، فإن كان عنده خبر الكوفة علمناه فمضينا حتى انتهينا إليه، فقلنا: السلام عليك. قال: وعليكم السلام ورحمة الله ثم قلنا فمن الرجل؟ قال: أسدي، فقلنا: فنحن أسديان، فمن أنت؟ قال: أنا بكير بن المشبة فانتسبنا له، ثم قلنا: أخبرنا عن الناس وراءك؟ قال: نعم، لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، فرأيتهما يجزّان بأرجلهما في السوق^(١).

موارد الاعتبار:

- ١- إن موقف زهير بن القين قبل اللقاء مع الحسين، كان يعبر عن الموقف العام، فكان زهير يحاول ان يتعامل مع الامام محاولة من يريد السلامة.
- ٢- ان الحسين كان يدعو إلى حركته كل من يجد فيه الخير باعتبارهم جزءاً من الشعب المسلم المسؤول عن مصير نفسه، فأقبل رسول الحسين إلى زهير، ولعظمة الموقف (طرح كل إنسان ما في يده).
- ٣- كان موقف امرأة زهير موقفاً حصيفاً، فإن رسول شخصية كالحسين لا يمكن أن يُرد بدون جواب قائلة: (أبيعك إليك ابن رسول الله ثم لا تأتبه؟!).

٤ - موقف زهير بعد اللقاء كان موقف من وجد في نفسه روح المسؤولية الإسلامية، وأخذ قرارات حاسمة.

أولاً: ان زهير طلق زوجته خشية أن تصطلي بالمصائب، وهذا قرار عائلي شخصي.
ثانياً: ان زهير خير أصحابه بين أن يتبعوه اولاً، وهذا قرار إسلامي بإعطاء الحرية الكاملة للتابعين.

ثالثاً: إنه حدث بما حدث به سلمان الباهلي في آل محمد، بقوله: (فكونوا أشد فرحاً بقتالكم منهم). ولعل ذلك كان حديثاً مشابهاً لما سمعه من الحسين، وكان ذلك سبب ذكره لحديث الباهلي، ومهما كان، فإن حديث الباهلي يكشف عن سبق الأسباب لحركة الحسين.

٥ - تطوُّع الأسديين في الإلتحاق بحركة الحسين، ومشاهدة عدول المسافرين من أهل الكوفة عن الطريق، ورغبة الحسين في استعلام الحال يكشف عن التلاحم الشعبي لمساندة حركة الحسين بالتطوُّع في متابعة الأخبار لصالحه.

(٦)

الثعلبية

قال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) في «معجم البلدان»: «... الثعلبية: منسوب، بفتح أوله: من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق وقبل الخزيمية، وهي ثلثا الطريق، وأسفل منها ماء يقال له: الضويجة، على ميل منها مشرف، ثم تمضي فتقع في برك يقال لها: برك حمد السبيل، ثم تقع في رمل متصل بالخرزيمية، وإنما سميت بثلعة بن عمرو بن مزيقياء بن عامر ماء السماء لما تفرقت أزد مأرب لحق ثعلبة بهذا الموضع فأقام به فسمي به...»^(١)

رواية الطبري:

قالا [اي عبدالله بن سليم والمذري بن المشمّل الأسديين]: فأقبلنا حتى لحقنا بالحسين فسايرناه حتى نزل الثعلبية ممسيًا، فجئناه حين نزل فسلمنا عليه، فرد علينا فقلنا له: يرحمك الله إن عندنا خبرا فإن شئت حدثنا علانية وإن شئت سرا، قال: فنظر إلى أصحابه وقال: ما دون هؤلاء سر، فقلنا له: رأيت الراكب الذي استقبلك عشاء أمس؟ قال: نعم، وقد أردت مسألته. فقلنا: قد استبرأنا لك خبره وكفيناك مسألته، وهو ابن امرئ من أسد منّا، ذو رأي وصدق وفضل وعقل، إنه حدثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، وحتى رآهما يجزّان في السوق بأرجلهما. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمة الله عليهما، فردّد ذلك مرارا. فقلنا: نشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلّا أنصرفت من مكانك هذا، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوف أن تكون عليك. قال: فوثب عند ذلك بنو عقيل بن أبي طالب.

قال أبو مخنف: حدثني عمر بن خالد عن زيد بن عليّ بن حسين وعن داود بن عليّ بن عبد الله بن عباس أن بني عقيل قالوا: لا والله، لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخونا.

قال أبو مخنف: عن أبي جناب الكلبي عن عدي بن حرملة عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين قالا: فنظر إلينا الحسين فقال: لا خير في العيش بعد هؤلاء، قالا: فعلمنا أنه قد عزم له رأي على المسير، قالا: فقلنا: خار الله لك، قالا: فقال: رحمكما الله، قالا: فقال له بعض أصحابه: إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع. قال: الأسديان ثم انتظر حتى إذا كان السحر قال لفتياناه وغلماناه: أكثروا من الماء، فاستقوا وأكثروا، ثم ارتحلوا وساروا حتى انتهوا إلى زبالة^(١)

موارد الاعتبار:

١ - كان موقف الحسين تجاه المتطوعين الجدد موقفاً حذراً حيث رفض الخلوة بهما (فنظر إلى أصحابه) ولم تكن هناك حاجة إلى النظر إليهم وهو يعرفهم حق المعرفة ثم قال: (ما دون هؤلاء سر)، تأكيداً على وضوح الرؤية لدى الجميع.

٢ - بالرغم من أن الأسديين أبدى استقصاء الأخبار لمصلحة الحسين، فإن الحسين لم يكذب الخبر بمقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، بل قال: (إنا لله وإنا إليه راجعون) مراراً، وليس في ذلك تصديق أو تكذيب صريح.

٣ - ان اقتراح الأسديين: (نناشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا أنصرفت) قد يكون تابعاً من الولاء الشخصي من دون استيعاب لأهداف الحركة، وقد يكون نابعاً من دور غامض قاما به لمعرفة خطط الحسين، وتكن لم يعلن الإمام عن عزمه صريحاً لهما.

٤ - مقالة بني عقيل: (لا والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا) مقالة نابعة من روح قبليّة، وهي بعيدة عن أهداف الحسين وأصحابه، مما يظهر أنها مقالة للتشكيك في الخبر، وإن الحسين أكد بقوله: (لا خير في العيش بعد هؤلاء) على وحدة المسير والمصير.

(٧)

زبالة

قال ياقوت الحموي (ت = ٦٢٦ هـ) في «معجم البلدان»: «... زبالة: بضم أوله: منزل معروف بطريق مكة من الكوفة، وهى قرية عامرة، بها أسواق، بين واقصة والثعلبية، وقال أبو عبيد السكوني: زبالة بعد القاع من الكوفة وقبل الشقوق، فيها حصن وجامع لبني غاضرة من بني أسد...»^(١)

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني أبو على الانصاري عن بكر بن مصعب المزني قال: كان الحسين لا يمر بأهل ماء إلا اتبعوه حتى انتهى إلى زبالة سقط إليه مقتل أخيه من الرضاعة، مقتل عبد الله بن يقطر، وكان سرحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يدري أنه قد أصيب، فتلقاه خيل الحصين بن نمير بالقادسية، فسرّح به إلى عبيد الله بن زياد فقال: اصعد فوق القصر فالعن الكذاب ابن الكذاب ثم انزل حتى أرى فيك رأيي، قال: فصعد، فلما أشرف على الناس قال: أيها الناس إني رسول الحسين ابن فاطمة ابن بنت رسول الله لتتصروه وتوازروه على ابن مرجانة ابن سمية الدعي، فأمر به عبيد الله فألقي من فوق القصر إلى الأرض فكسرت عظامه وبقي به رمق، فأتاه رجل يقال له: عبد الملك ابن عمير اللخمي فذبحه، فلما عيب ذلك عليه قال: إنما أردت أن أريحه.

قال هشام: حدثنا أبو بكر بن عياش عن أخبره قال: والله ما هو عبد الملك بن عمير الذي قام إليه فذبحه، ولكنه قام إليه رجل جعد طوال يشبه عبد الملك بن عمير قال: فأتي ذلك الخبر حصينا، وهو بزبالة فأخرج للناس كتابا فقرأ عليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فانه قد أتانا خبر فظيع، قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فليصرف ليس عليه منا ذمام.

قال: فتفرق الناس عنه تفرقا، فأخذوا يميننا وشمالا حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة، وإنما فعل ذلك لأنه ظن أنما اتبعه الاعراب لانهم ظنوا أنه يأتي بلدا قد استقامت له طاعة أهله فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون علام يقدمون، وقد علم أنهم إذا بين لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموت معه.^(١)

موارد الاعتبار:

١- أرسل الحسين أخاه من الرضاعة عبدالله بن يقطر حاملاً رسالة إلى مسلم بن عقيل في الكوفة، وكان قد أرسل من قبل الصيداوي رسولا، وكثرة الرسل تدل على التأكد من واقع الحال.

٢- كان رسول الحسين واعياً لسياسة ابن زياد، ولما أمره بأن يصعد المنبر ويلعن الكذاب بن الكذاب فانه قبل العرض وصعد المنبر وعبر عن رسالة الحسين وحقيقة الموقف لعلمه بأنه في أسر الظالمين وهم يتابعون مصالحهم.

٣- أن ابن زياد استخدم في الصيداوي منتهي القسوة متحدياً للأعراف القبلية، (فألقي من فوق القصر فكسرت عظامه) ثم ذبحه اللخمي معتذراً بقوله: (أردت أن أريحه).

٤- ان الحسين تأكد من مقتل مسلم وهاني وعبدالله، حينما وصله الكتاب بذلك، فأعلن إعلاناً عاماً على أصحابه بقراءة الكتاب عليهم، والإمام لم يذكر المرسل وبالإسم لعله لعلمه بماضيه وماضى أبيه والحذر من دوره ودور الرسول الذي كان يلعب دور المراقب والعين على مسيرة الإمام.

٥- يظهر أن الطبري لم يورد نص كتاب الأشعث، بل أورد تعليق الإمام عليه بقوله: (قد أتانا خبر فظيع) وطبيعي أن يستلزم هذا قراراً قيادياً حاسماً، فأعلن الإمام عن موقفه لأصحابه وأعداءه على حدٍ سواء، وهو قرار المقاومة حتى النصر أو الشهادة.

٦- أعطى الإمام الحرية الكاملة لأصحابه بقوله: (من أحب منكم الإنصاف

فليُنصَرَف، ليس عليه منا ذمام) وطبيعي أن يكون لكل من طريقي المقاومة والمسالمة أصحاب، وبقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة وغيرهم من الذين اختاروا المقاومة، وهم على علم بالحركة وأهدافها، فكره عليه السلام أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون ما يقدمون عليه وأن تكون لهم رؤية واضحة بالمسير والمصير.

(٨)

بطن عقبة

قال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) في «معجم البلدان»: «... البطن: الغامض من الارض، وجمعه بطنان مثل عبد وعبدان: وهو موضع له ذكر في حديث الهجرة أنه سلك منه إلى مدلجة تعهن...»^(١)

وقال ياقوت أيضاً: «... والعقبة: منزل في طريق مكة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة، وهو ماء لبني عكرمة من بكر ابن وائل...»^(٢)

رواية الطبري:

قال: فلما كان من السحر أمر فتيانه فاستقوا الماء وأكثروا، ثم سار حتى مرّ بطن العقبة فنزل بها.

قال أبو مخنف: فحدثني لوزان أحد بني عكرمة أن أحد عمومته سأل الحسين عليه السلام أين تريد؟ فحدثه، فقال له: إني أنشدك الله لما انصرفت، فوالله لا تقدم إلا على الأُسنة وحدّ السيف، فإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطؤا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فأما على هذه الحال التي تذكرها فإني لا أرى لك أن تفعل، قال: فقال له: يا عبد الله إنه ليس يخفى عليّ، الرأي ما رأيت، ولكن الله لا يغلب على أمره، ثم ارتحل منها.^(٣)

و قال الطبري: ونزع يزيد بن معاوية في هذه السنة الوليد بن عتبة عن مكة وولاهها عمرو بن سعيد بن العاص وذلك في شهر رمضان منها فحج بالناس عمرو بن سعيد في هذه السنة، حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمّن ذكره عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر - وكان عامله على مكة والمدينة في هذه السنة بعد ما عزل الوليد بن عتبة عمرو بن سعيد، وعلى الكوفة والبصرة وأعمالها: عبيد الله بن زياد، وعلى قضاء الكوفة: شريح بن

(١) معجم البلدان؛ لياقوت الحموي ١: ٤٤٨.

(٢) معجم البلدان؛ لياقوت الحموي ٤: ١٣٤.

(٣) تاريخ الطبري: ٣٠١.

الحارث، وعلى قضاء البصرة: هشام بن هبيرة.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - قرر الإمام النزول في العقبة ربما لأمرين:

أولاً: إنه ماء يفتقر إليه في الطريق.

ثانياً: أنه ماء لبني عكرمة ونزوله عليها يمكنه من نقل رسالته الإصلاحية إلى أصحابها وهم بنوا عكرمة بن بكر بن وائل، فنزل بطن عقبة، أي وسطها.

٢ - تكررت المحادثات والنصائح من بني عكرمة كما سبق لأصحاب المعارضة، مما يكشف عن محاولة معادية لاجراء التعقيم الذي حصل على المجتمع حول مسيرة الحسين بالذات.

٣ - كان الإمام يجيب على النصائح بقدر ما تستوعبه عقولهم و تتحملة افكارهم ومدى بعدهم عن الواقع، مؤكداً على مسؤوليته، فقال الإمام: (يا عبدالله انه ليس يخفى عليّ، الرأي ما رأيته، ولكن الله لا يُغلب على أمره) مؤكداً على رؤية واضحة مناسبة لعظم المسؤولية.

٤ - ان يزيد بن معاوية قام بتعديلات في إدارته مستخدماً من هم أشد ولاءً، له والمسؤولون الجدد هم: عمرو بن سعيد بن العاص في مكة، وعبيدالله بن زياد في الكوفة والبصرة، وغيرهما ممن يقتضي دراسة حياتهم وأدوارهم دراسة مستقلة.

(٩)

شراف

قال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) في «معجم البلدان»: «... شراف: بفتح أوله، وآخره فاء، وثانيه مخفف: فعال من الشرف، وهو العلو، قال نصر: ماء بنجد، له ذكر كثير، فيه آثار الصحابة ابن مسعود وغيره...»^(١)

رواية الطبري:

قال: ثم دخلت سنة إحدى وستين ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث فمن ذلك مقتل الحسين رضوان الله عليه، قتل فيها في المحرم لعشر خلون منه، كذلك حدثني أحمد بن ثابت، قال: حدثني محدث عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر وكذلك قال: الواقدي وهشام بن الكلبي، وقد ذكرنا ابتداء أمر الحسين في مسيره نحو العراق وما كان منه في سنة ستين، ونذكر الآن ما كان من أمره في سنة إحدى وستين وكيف كان مقتله.

حدثت عن هشام عن أبي مخنف قال: حدثني أبو جناب عن عدي بن حرملة عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشعل الاسديين، قالوا: أقبل الحسين عليه السلام حتى نزل شراف، فلما كان في السحر أمر فتياه فاستقوا من الماء فأكثروا، ثم ساروا منها فرسموا صدر يومهم حتى انتصف النهار، ثم إن رجلاً قال: الله أكبر: فقال الحسين: الله أكبر، ما كبرت؟ قال: رأيت النخل، فقال له الاسديان: إن هذا المكان ما رأينا به نخلة قط، قالوا: فقال لنا الحسين: فما تريانه رأي؟ قلنا نراه رأي هوادي الخيل فقال: وأنا والله أرى ذلك.^(٢)

موارد الاعتبار:

١ - نزل الحسين شراف وبحكم التسمية يظهر أنه كان موضعاً عالياً مرتفعاً يشرف على النواحي المحيطة به، ويمكن الاستطلاع منه للمسافرين، وقد بات الحسين في

(١) معجم البلدان: لياقوت الحموي ٣: ٣٣١.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٠١ - ٣٠٢.

شراف الليل، وقرر السفر في وقت السحر مما يظهر استعداداه لسفر بعيد، وقد يكون سفره عند السحري لا تنكشف مسيرته للمراقبين الذين يخلدون إلى النوم في مثل هذا الوقت.

٢ - وفي مبدأ السير في شراف كان أول / محرم / إحدى وستين هـ بعد صلاة الصبح مباشرة أي قبل شروق الشمس، وهو حسب توقيت مكة في هذا التاريخ هو حوالي السابعة والربع صباحاً.

٣ - وبحكم علو شراف وارتفاع الموضع، تمكن أصحاب الحسين أن يترصدوا حركات العدو في أولى مراحلها، فعند منتصف النهار أي حوالي الواحدة وأثنى عشرة دقيقة شاهد أحد منهم ما ظنه النخيل فكبر، ولا بد أن يكون هذا الرجل من أهل المدينة المنورة الذين لم يكن لديهم معرفة بخطط المنطقة.

٤ - قام الحسين بأدب الاسلام في الشورى، فسأل الأسديين؛ لأنهما أعرف بالمنطقة وأولى بأبداء الرأي.

٥ - ووافق الحسين على أن مابدا لهم ليس النخيل بل (هو الخيل) أي مقدمها، وقال الحسين: (والله أرى ذلك) مما يكشف عن علم مسبق بالأمر مما لم يكشفه حتى استبان الحال لغيره أيضاً، وذلك. زيادة في التثبيت.

٦ - أستعدّ الحسين للمواجهة من جهة واحدة، واختار ملجأ لذلك، وهذا ما أكد به بقوله: (أما لنا ملجأ نلجأ إليه؟!)

(١٠)

ذو حسم

قال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) في «معجم البلدان»: «... حسم: بالضم ثم الفتح، مثل جرد وصرد، كأنه معدول عن حاسم، وهو المانع، ويروى: حسم، بضمين: وهو اسم موضع...»^(١)

رواية الطبري:

فقال الحسين [وهو يخاطب الاسديين]: أما لنا ملجأ نلجأ إليه نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد؟ فقلنا له: بلى، هذا ذو حسم إلى جنبك، تميل إليه عن يسارك، فإن سبقت القوم إليه فهو كما تريد، قال: فأخذ إليه ذات اليسار، قال: وملنا معه فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي الخيل، فتنبأها وعدلنا، فلما رأونا وقد عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا؛ كأنّ أسنّتهم اليعاسيب وكأنّ راياتهم أجنحة الطير، قال: فاستبقنا إلى ذي حسم فسبقناهم إليه، فنزل الحسين فأمر بأبنيته فضربت وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي اليربوعي حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين في حرّ الظهيرة والحسين وأصحابه معتمون متقلدو أسيافهم، فقال الحسين لفتيانہ: اسقوا القوم واروهم من الماء ورشّفوا الخيل ترشيفا. فقام فتیانہ فرشفوا الخيل ترشيفا، فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتى أروهم وأقبلوا يملئون القصاع والانتوار والطساس من الماء ثم يدنونها من الفرس فإذا عب فيه ثلاثا أو أربعا أو خمسا عزلت عنه وسقوا آخر حتى سقوا الخيل كلّها.

قال هشام: حدثني لقيط عن عليّ بن الطعان المحاربي. كنت مع الحر بن يزيد فجئت في آخر من جاء من أصحابه فلما رأى الحسين ما بي وبفرسي من العطش قال: أنخ الراوية - والراوية عندي السقاء - ثم قال: ابن أخي أنخ الجمل، فأنخته فقال: اشرب، فجعلت كلما شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين: اخنث السقاء، أي اعطفه. قال: فجعلت لا

أدري كيف أفعل، قال: فقام الحسين فخنثه، فشربت وسقيت فرسي.^(١)

موارد الاعتبار:

- ١- كان اقتراح الأسديين ذو حسم اختياراً كملجأ، والتسمية من حاسم، بمعنى المانع، وهذا يكشف عن أن الموقع كان محصناً نسبياً. وأخذ الإمام بالرأي.
- ٢- لاحق جيش العدو الحسين وأصحابه بسرعة، ولما رأوا عدول الحسين عن الطريق عدلوا إليهم أيضاً، وهذا مما يكشف عن ترصد دقيق لتحركات الحسين وموقعه وجهة مسيره.
- ٣- إن عدد جيش العدو كان ألف فارس بقيادة الحر بن يزيد اليربوعي التميمي، والجيش كان مجهزاً بالأسلحة المستخدمة في ذلك العصر وأهمها الأسنة التي كانت كثيرة (كاليعاسيب) أي النخل من حيث الكثرة وكذلك الرايات المنشورة المعدة للسرعة (كأجنحة الطير) في وصولها الى الأهداف بالسرعة.
- ٤- ان موقف الحسين تجاه جيش العدو كان موقفاً عملياً في تطبيق العدالة الإسلامية حتى بالنسبة إلى العدو حيث وصلوا في وقت الظهيرة، فأمر الحسين بإسقاء القوم وإروائهم الماء ورشف الخيل كلها، وشارك شخصياً في ذلك.

مواجهة الجيش

رواية الطبري:

قال: وكان مجيء الحر بن يزيد ومسيره إلى الحسين من القادسية، وذلك أن عبيد الله بن زياد لما بلغه إقبال الحسين بعث الحصين بن نمير التميمي - وكان على شرطه - فأمره أن ينزل القادسية، وأن يضع المسالح فينظم ما بين القطقطانة إلى خفان، وقدم الحر بن يزيد بين يديه في هذه الالف من القادسية، فيستقبل حسينا قال: فلم يزل موافقا حسينا

حتى حضرت الصلاة صلاة الظهر، فأمر الحسين الحجاج بن مسروق الجعفي أن يؤذن، فأذن، فلما حضرت الاقامة خرج الحسين في إزار ورداء ونعلين، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنها معذرة إلى الله عز وجل وإليكم، إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم أن أقدم علينا فإنه ليس لنا إمام لعل الله يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتمكم، فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم، قال: فسكتوا عنه وقالوا للمؤذن: أقم، فأقام الصلاة، فقال الحسين عليه السلام للحر: أتريد أن تصلي بأصحابك؟ قال: لا، بل تصلي أنت ونصلي بصلاتك، قال: فصلّي بهم الحسين. ثم إنه دخل واجتمع إليه أصحابه وانصرف الحر إلى مكانه الذي كان به فدخل خيمة قد ضربت له، فاجتمع إليه جماعة من أصحابه وعاد أصحابه إلى صفّهم الذي كانوا فيه فأعادوه، ثم أخذ كل رجل منهم بعنان دابته وجلس في ظلها، فلما كان وقت العصر أمر الحسين أن ينتهيوا للرحيل ثم إنه خرج فأمر مناديه فنادى بالعصر وأقام، فاستقدم الحسين فصلّى بالقوم، ثم سلم. وانصرف إلى القوم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله ونحن أهل البيت أولى بولايته هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، وإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتني كتبكم وقدمت به عليّ رسلكم انصرفت عنكم، فقال له الحر بن يزيد: إنا والله ما ندري ما هذه الكتب التي تذكر، فقال الحسين: يا عقبة بن سمعان، أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إليّ، فأخرج خرجين مملوءين صحفا، فنشرها بين أيديهم، فقال الحر: فإننا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك وقد أمرنا إذا نحن لقيناك إلّا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد، فقال له الحسين الموت أدنى إليك من ذلك، ثم قال لأصحابه: قوموا فاركبوا، فركبوا وانتظروا حتى ركب نساؤهم، فقال لأصحابه: انصرفوا بنا، فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف، فقال الحسين للحر: ثكلتك أمك، ما تريد؟ قال أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمّه بالثكل، أن أقوله كائنا من

كان، ولكن والله مالي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما يقدر عليه، فقال له الحسين: فما تريد؟ قال الحر: أريد والله أن أنطلق بك إلى عبيد الله بن زياد، قال له الحسين: إذن والله لا أتبعك، فقال له الحر: إذن والله لا أدعك، فتراداً القول ثلاث مرات، ولما كثر الكلام بينهما قال له الحر: إني لم أوامر بقتالك، وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة، فإذا أبيت فخذ طريقاً لا تدخلك الكوفة ولا تردك إلى المدينة، لتكون بيني وبينك نصفاً حتى أكتب إلى ابن زياد، وتكتب أنت إلى يزيد بن معاوية إن أردت أن تكتب إليه، أو إلى عبيد الله بن زياد إن شئت، ففعل الله إلى ذاك أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلي بشيء من أمرك، قال: فخذ ههنا، فتياسر عن طريق العذيب والقادسية وبينه وبين العذيب ثمانية وثلاثون ميلاً، ثم إن الحسين سار في أصحابه والحر يسايره.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - كشفت المواجهة عن دور الحسين باعتباره القائد الإسلامي الذي يرى جيش العدو جيشاً مضللاً يفتقر إلى توعية إسلامية، وكذلك عن دور الحر باعتباره قائد جيش العدو المأمور بمهمة عسكرية يجب عليه تنفيذها، فقام كل منهما في هذه المواجهة الأولى بدوره القيادي بالقول والعمل.

٢ - لما حان وقت صلاة الظهر أمر الحسين بالآذان استعداداً لأداء الواجب الديني، ولما حضرت الإقامة خرج الحسين في حالة عادية وهيئة عادية (في أزار ورداء ونعلين) من دون أية مؤشرات لارادة الحرب أو الاستعداد للمواجهة، وذلك على النقيض تماماً من موقف جيش العدو الذي لم يبادر إلى شيء من ذلك.

٣ - إن الحسين - وعلى خلاف العادة في الصلوات اليومية - خطب خطبة أولى في كربلاء لتوعية الجيش وشرح فيها مسيرته التي انتهت إلى ذلك الموضع، وكان جيش العدو على استعداد كامل وهم ينصتون لكل كلمة يقولها الحسين وحاول الامام في

خطبته ان يفوّت عليهم أي مبرر للهجوم، وخطبة الحسين تضمنت المواد الصريحة الواضحة التالية:

- أ - أيها الناس إنها معذرة إلى الله وإليكم.
 - ب - إني لم آتيكم حتى أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم.
 - ج - ان مضمون الرسل (ليس لنا إمام، ولعل . يجمعنا بك الله على الهدى).
 - د - فإن كنتم على ذلك فقد جئتمكم.
 - هـ - وان تعطوني ما اطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصركم.
 - و - وان لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت.
- وهذه المواد لم تكن خافية على أحد، ممّن كانوا قاده جيش العدو الى هذه المنطقة وإنما أعلنها الحسين لتوجيه العامة من الجيش، وقد زاد الحسين المادة الخامسة تأكيداً على أمرين:
- الأول: عدم الرغبة الشخصية في الحكم، بل العمل بالواجب.
 - الثاني: عدم الثقة بالجانب الآخر إلا بضمانات جديدة.
- ٤ - إنّ جيش العدو لم يملك أي جواب إلاّ السكوت، وأراد من بيده الأمر أن يقطع كلام الحسين قالوا: للمؤذن: (أقم) ويبقى السؤال لماذا استجاب هذا المؤذن للطلب ولم يستأذن الحسين، حيث يكشف أن المقيم كان من الجيش الاموي لا من اصحاب الحسين (ع).
 - ٥ - ان الحسين أبدى موقفه الرافض للجيش بقوله: (أتريد أن تصلّي بأصحابك) حيث أن الأمر بالإقامة جاء من قبل الجيش، ولكن الحرّ أبى إلاّ أن يصلي بهم الحسين، ولعله إستمالة للحسين وتمهيداً لموقف المفاوضة.
 - ٦ - وحينما صلى الحسين العصر خطب خطبة ثانية مؤكداً مواقفه في الخطبة الأولى، فقال قائد الجيش الحر: (والله ما ندري ما هذه الكتب التي تذكر) وبما أن الحسين كان متوقفاً لهذا النوع من التضليل الذي عمّ المجتمع الإسلامي آنذاك طلب من عقبة بن سمعان - أحد أصحابه - إخراج الخرجين اللذين فيهما كتبهم.

١٢٠ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

٧- والحر كقائد عسكري مأمور قال: (إنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أمرنا إذا نحن نلقاك أن لا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد) مؤكداً بأنه يؤدّي دوره المأمور به فقط.

٨- وكان من الطبيعي أن يرفض الحسين ذلك قائلاً: (الموت أدنى إليك من ذلك) ولما حال الجيش بينه وبين الانصراف أبدى الحر تفهماً للموقف الحرج الذي وقع فيه، وبعد محادثة ترددت ثلاث مرات انتهى إلى قرار شخصي فقال الحر: (إني لم آمر بقتالك وأني أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة، فإذا أبييت فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يرّذك إلى المدينة حتى اكتب إلى ابن زياد) وكان هذا اقتراحاً منصفاً لقائد جيش مأمور في موقعه.

٩- وخطب الحسين خطبة ثالثة وكانت هذه موجهة الى أصحاب الحسين خاصة، فقد قام بعض أصحابه وأيد موقف الإمام تأييداً مطلقاً وشرح الموقف بقوله: (قد نزل من الأمر ما قد ترون)، وأعلن أنه شخصياً (لا يرى الموت إلا شهادة) مستعرضاً الأسباب التالية:

أ- أن الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها.

ب- لم يبق منها إلا صباية.

ج- إن الحق لا يعمل به.

د- إن الباطل لا ينتاهي عنه.

هـ- يرغب المؤمن في لقاء الله.

وبذلك حدّد الحسين الخيارات لمن يشعر بالمسؤولية.

١٠- إن ردّ الفعل من أصحاب الحسين كان متشابهاً، وقد عرفها جيش العدو، كما عرف أن الحسين ليس وحيداً في موقفه، فقال زهير بن القين البجلي مخاطباً أصحاب الحسين: (تتكلمون أم أتكلم؟ قالوا: لا، بل تتكلم) ولذلك كان متكلماً عن موقف أصحاب الحسين وكلمة زهير القصيرة كانت صريحة وواضحة ونابعة عن ثبات في الرأي وأصالة في العقيدة وتلاحم مع الحسين حتى الشهادة. واستشهد الحسين بأبيات الأنصاري الذي ذهب لنصرة رسول الله معيداً إلى الأذهان أن حركة الحسين هي حركة جدّه رسول

الله وأن أصحابه كأنصار الرسول . فهو عبرة من التاريخ الإسلامي كلما توفرت
الشروط، وأهمها نيّة الحق ومفارقة الهالكين والمواساة والجهاد.

(١١)

البيضة

قال ياقوت الحموي (ت = ٦٢٦ هـ) في «معجم البلدان»: «... بيضة: يفتح أوله ويكسر، ومنهم من يجعل المفتوح غير المكسور، كما نحكيه عنهم، وقد روي بالفتح. وقال أبو محمد الاعرابي الاسود: البيضة، بكسر الباء، ماء بين واقصة إلى العذيب، متصلة بالحزن لبني يربوع. وأيضا موضع بين العذيب وواقصة في أرض الحزن من ديار بني يربوع بن حنظلة...»^(١)

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: عن عقبة بن أبي العيزار إن الحسين خطب أصحابه وأصحاب الحر بالبيضة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إن رسول الله قال: من رأى سلطانا جائرا، مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله إن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غيري، وقد أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم ببيعتمكم انكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تمتمت على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت رسول الله، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم في أسوة. وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم ﴿من نكث فإنما ينكث على نفسه﴾^(٢) وسيغني الله عنكم، والسلام ورحمة الله وبركاته.

وقال عقبة بن أبي العيزار: قام حسين عليه السلام بذئ حسم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت

(١) معجم البلدان؛ لياقوت الحموي ١: ٥٣١.

(٢) الفتح: ١٠.

جدا فلم يبق منها إلا صباة كصباة الاناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ترون، ألا أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهي عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محققا؛ فاني لا أرى الموت إلا شهادة ولا الحياة مع الظالمين إلا برما، قال:

فقام زهير بن القين البجلي فقال لأصحابه: تكلمون أم أتكلم؟ قالوا: لا، بل تكلم، فحمد الله فأثنى عليه ثم قال: قد سمعنا - هداك الله يا ابن رسول الله - مقالتك، والله لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلصين، إلا أن فراقها في نصرك ومواساتك، لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها، قال: فدعا له الحسين ثم قال له خيرا.

وأقبل الحر يسايره وهو يقول له: يا حسين إني أذكرك الله في نفسك فاني أشهد لئن قاتلت لتقتلن، ولئن قوتلت لتهلكن، فيما أرى. فقال له الحسين: أقبال الموت تخوفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلونني! ما أدري ما أقول لك؟ ولكن أقول كما قال: أخو الاوس لابن عمه - ولقيه وهو يريد نصره رسول الله - فقال له: أين تذهب فانك مقتول؟ فقال:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
وآسي الرجال الصالحين بنفسه وفارق مشبورا يَغشَّ ويرغماً^(١)

موارد الاعتبار:

١ - خطب الحسين خطبته الرابعة مخاطباً أصحابه وأصحاب الحر معاً وتكشف هذه الخطبة عن مدى التضليل الذي ساد المجتمع الإسلامي آنذاك، وركز الحسين في خطبته هذه على توعية الجماهير المضللة أداءً لمسؤوليته الإسلامية.

٢ - تضمنت الخطبة بنوداً ومواد يظهر أنها كانت أجوبة للحر وإعلاناً عاماً لما دار بينهما، فقد قال الطبري في روايته: (لما كثر الكلام بينهما). ولم يشرح طبيعة الكلام، فأراد الحسين إعلانها في نقاطٍ أهمها:

١٢٤ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

أ - المسؤولية تجاه السلطان الجائر.

ب - حقيقة الحكم القائم وإدانتته بالجور لأسباب ذكر منها:

١ - لزمو طاعة الطغاة.

٢ - تركوا طاعة الرحمان.

٣ - أظهروا الفساد.

٤ - عطّلوا الحدود.

٥ - استأثروا بالفيء.

٦ - أحلّوا حرام الله.

٧ - حرّموا حلاله.

٣ - التعريف بشخصيته وبيان نسبه قائلاً: (أنا الحسين ابن علي بن فاطمة بنت رسول

الله) مما يظهر التعظيم والدعاية المضللة عن شخصية الحسين باعتباره قائد حركة إصلاحية.

٤ - أن حركته من المدينة لم تكن برغبة شخصية منه أو بمبادرة شخصية منه، بل كانت

بدعوة أهل الكوفة (أتتني كتبكم وقدم عليّ رسولكم).

٥ - الحرية بالخيار التام في مواصلة البيعة والتنبؤ بالمستقبل مذكراً بحوادث التاريخ.

(١٢)

عذيب الهجانات

قال ياقوت الحموي (ت = ٦٢٦ هـ) في «معجم البلدان»: «... العذيب: تصغير العذب، وهو الماء الطيب: وهو ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلا، وقيل: هو واد لبني تميم، وهو من منازل حاج الكوفة، وقيل: هو حد السواد...»^(١)

رواية الطبري:

قال: فلما سمع ذلك منه الحر تنحّى عنه وكان يسير بأصحابه في ناحية وحسين في ناحية أخرى، حتى انتهوا إلى عذيب الهجانات وكان بها هجائن النعمان ترعى هنالك، فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم يجنبون فرساً لنافع بن هلال يقال له: الكامل، ومعهم دليلهم الطرماح بن عدي على فرسه، وهو يقول:

يا ناقتي لا تدعري من زجري	وشمري قبل طلوع الفجر
بخير ركبان وخير سفر	حتى تحلى بكريم النجر
الماجد الحر رحيب الصدر	أتى به الله لخير أمر

ثُمَّ أَبْقَاهُ بَقَاءَ الدَّهْرِ

قال: فلما انتهوا إلى الحسين أشدوه هذه الابيات، فقال: أما والله اني لأرجو أن يكون خيرا ما أراد الله بنا قتلنا أم ظفرنا، قال: وأقبل إليهم الحر بن يزيد فقال: إن هؤلاء النفر الذين من أهل الكوفة ليسوا ممن أقبل معك وأنا حابسهم أو رادهم، فقال له الحسين: لأمنعهم ممّا أ منع منه نفسي، إنما هؤلاء أنصاري وأعواني، وقد كنت أعطيتني إلا تعرض لي بشئ حتى يأتيك كتاب من ابن زياد. فقال: أجل، لكن لم يأتوا معك. قال: هم أصحابي وهم بمنزلة من جاء معي فان تَمَّت على ما كان بيني وبينك وإلا ناجزتك، قال: فكف عنهم الحر قال: ثم قال لهم الحسين: أخبروني خبر الناس وراءكم؛ فقال له مجمع بن عبد

الله العائذي - وهو أحد نفر الاربعة الذين جاءوه - أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم، يستمال ودّهم، ويستخلص به نصيحتهم، فهم البّ واحد عليك. وأما سائر الناس بعد فإن أفندتهم تهوي إليك، وسيوفهم غدا مشهورة عليك. قال: أخبرني فهل لكم برسولي إليكم؟ قالوا: من هو؟ قال: قيس بن مسهرّ الصيداوي، فقالوا: نعم، أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى ابن زياد فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك، فصلّى عليك وعلى أبيك ولعن ابن زياد وأباه ودعا إلى نصرتك وأخبرهم بقدومك، فأمر به ابن زياد فألقى من طمار القصر. فترقرقت عينا حسين عليه السلام ولم يملك دمه، ثم قال: ﴿منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾^(١) اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نزلاً واجمع بيننا وبينهم في مستقرّ من رحمتك ورغائب مذخور ثوابك.^(٢)

قال أبو مخنف: حدثني جميل بن مرثد من بني معن، عن الطرماح بن عدي، أنه دنا من الحسين فقال له: والله إني لأنظر فما أرى معك أحدا، ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم، وقد رأيت قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس ما لم تر عينا في صعيد واحد جمعا أكثر منه، فسألت عنهم فقليل: اجتمعوا ليعرضوا ثم يسرحون إلى الحسين، فأنشدك الله ان قدرت على ألاّ تقدم عليهم شبرا إلاّ فعلت، فان أردت أن تنزل بلدا يمنعك الله به حتى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع فسر حتى أنزلك مناع جبلنا الذي يدعي أجّا، امتنعنا والله به من ملوك غسان وحمير، ومن النعمان بن المنذر، ومن الاسود والاحمر، والله إن دخل علينا ذل قط، فأسير معك حتى أنزلك القرية ثم نبعث إلى الرجال ممن بأجاً وسلمي من طيّئ، فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى يأتيك طيّئ رجالا وركبانا، ثم أقم فينا ما بدا لك، فإن هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيا فهم، والله لا يوصل إليك أبدا ومنهم عين تطرف، فقال له: جزاك الله وقومك خيرا، إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف، ولا ندري علام تنصرف بنا وبهم الامور في عاقبه.

قال أبو مخنف: فحدثني جميل بن مرثد قال: حدثني الطرماح بن عدي قال: فودعته وقلت له دفع الله عنك شر الجن والانس إني قد امترت لاهلي من الكوفة ميرة ومعني نفقة لهم فأتيهم فأضع ذلك فيهم ثم أقبل اليك إن شاء الله، فإن ألحقك فوالله لاكونن من أنصارك قال: فإن كنت فاعلا فعجل رحمتك الله، قال: فعلت أنه مستوحش إلى الرجال حتى يسألني التعجيل، قال: فلما بلغت أهلي وضعت عندهم ما يصلحهم وأوصيت فأخذ أهلي يقولون: إنك لتصنع مرّتك هذه شيئاً ما كنت تصنعه قبل اليوم، فأخبرتهم بما أريد وأقبلت في طريق بني ثعل حتى إذا دنوت من عذيب الهجانات استقبلني سماعة بن بدر فنعاها إليّ، فرجعت.^(١)

موارد الاعتبار:

- ١ - إنّ لحوق أربعة من أهالي الكوفة بموكب الحسين بالرغم من الرقابة العامة يكشف عن مدى تحدّي هؤلاء للسلطة القائمة.
- ٢ - لما أنشد الأربعة القادمون رجز الطرماح الدليل علّق الحسين بقوله: (إني لأرجوا أن يكون خيراً ما أراد الله بنا، قُتلنا أم ظَفَرنا) وهذه إحدى الثوابت في السيرة النبوية: (إحدى الحسينيين: النصر أو الشهادة) وكأنّ الحسين اعتبر القتل في سبيل الله خيراً تنبأ به المستقبل؛ لما يترتب على ذلك من وعي جماهيري.
- ٣ - كان موقف الحر كقائد عسكري في السماح لهؤلاء الأربعة بلقاء الحسين موقف المراقب لتصرفاتهم، ولمعرفة رد فعل الحسين أيضاً ومن ناحية أخرى، أراد جس النبض بقوله: (أنا حابسهم أو رادّهم) لجس نبض موقف الحسين.
- ٤ - موقف الحسين كان موقف القائد المحامي لأنصاره بقوله: (لأمنعهم مما أ منع منه نفسي) ولم يرضخ الحر لذلك إلّا بعد ما هددته الحسين بالقتال.
- ٥ - استعلم الحسين عن الحالة العامة في الكوفة والحالة الخاصة لأصحابه، ولما عرف

استشهاد أصحابه بان أثر ذلك في شخصيته ولم يملك دمه، واكد على وحدة المسير والمصير بقوله: (فمنهم من قضى نحبه).

٦- في كلام جمع بن عبدالله العائذي - أحد الأربعة الذين جاءوا الى الحسين - ما يكشف عن خطط مسبقة لمواقف أهل الكوفة، حيث قال ما مفاده: (إنّ اشراف الناس استمالهم ابن زياد بالرشورة، وإن سائر الناس أفئدتهم تهوى إليك وسيوفهم مشهورة عليك) ولا يخلوا مجتمع من هاتين الطائفتين.

٧- لقد أثار الموقف في شخصية الدليل الطرماح الطائي أيضاً فاقترح على الحسين ما رآه حلاً للمشكلة بالإنصراف إلى طي، وأجابه الحسين مؤكداً على ثابتة إسلامية من الالتزام بالوعد بقوله: (قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قولاً لسنا نقدر معه على الإنصراف).

٨- إن موقف الجعفي مع الحسين يكشف عن موقف من لا يريد تحمّل المسؤولية، والحسين من جانبه كان يريد أن يبيّن المسؤولية العامة الملقاة على عاتق كل فردٍ منهم، واكتفى بوعده ألا ينصر الظالمين.

(١٣)

قصر بني مقاتل

قال ياقوت الحموي (ت = ٦٢٦ هـ) في «معجم البلدان»: «... قصر مقاتل: قصر كان بين عين التمر والشام، وقال السكوني: هو قرب القطقطانة وسُلام ثم القريبات، وهو منسوب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس بن إبراهيم بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عصبية بن امرئ القيس بن زيد مائة بن تميم...»^(١)

وقال ياقوت الحموي أيضاً: «... القطقطانة: بالضم ثم السكون ثم قاف أخرى مضمومة، وطاء أخرى، وبعد الالف نون، وهاء، ورواه الازهري بالفتح، والقطقط: أصغر المطر، وتقطقطت الدلو في البئر إذا انحدرت: موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف، به كان سجن النعمان بن المنذر، وقال أبو عبيد الله السكوني: القطقطانة بالطف، بينها وبين الرهيمة مغرباً ثيف وعشرون ميلاً إذا خرجت من القادسية تريد الشام، ومنه إلى قصر مقاتل ثم القريبات ثم السماوة، ومن أراد. خرج من القطقطانة إلى عين التمر ثم ينحط حتى يقرب من الفيوم إلى هيت...»^(٢)

وقال ياقوت أيضاً: «... والطف: طفّ الفرات، أي الشاطئ، والطف: أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية، فيها كان مقتل الحسين بن علي، رضي الله عنه، وهي أرض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون ماء جارية، منها: الصيد والقطقطانة والرهيمة وعين جمل وذواتها، وهي عيون كانت للموكلين بالمسالح التي كانت وراء خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب وغيرهم...»^(٣)

رواية الطبري:

قال: ومضى الحسين عليه السلام حتى انتهى إلى قصر بني مقاتل فنزل به، فإذا هو بفسطاط مضروب.

(١) معجم البلدان؛ لياقوت الحموي ٤: ٣٦٤.

(٢) معجم البلدان؛ لياقوت الحموي ٤: ٣٧٤.

(٣) معجم البلدان؛ لياقوت الحموي ٤: ٣٦.

قال أبو مخنف: حدثني المجالد بن سعيد عن عامر الشعبي أن الحسين بن علي رضي الله عنه قال: لمن هذا الفسطاط؟ فقيل: لعبيد الله بن الحر الجعفي، قال: ادعوه لي، وبعث إليه، فلما أتاه الرسول قال: هذا الحسين بن علي يدعوك، فقال عبیدالله بن الحر: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله ما خرجت من الكوفة إلا كراهة أن يدخلها الحسين وأنا بها، والله ما أريد أن أراه ولا يراني، فأتاه الرسول فأخبره، فأخذ الحسين نعليه فانتعل، ثم قام فجاءه حتى دخل عليه، فسلم وجلس، ثم دعاه إلى الخروج معه، فأعاد إليه ابن الحر تلك المقالة، فقال: فالأ تنصرنا فاتق الله أن تكون ممن يقاتلنا، فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك، قال: أما هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله، ثم قام الحسين عليه السلام من عنده حتى دخل رحله.

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب عن عقبة بن سمعان قال: لما كان في آخر الليل أمر الحسين بالاستقاء من الماء، ثم أمرنا بالرحيل، ففعلنا، قال: فلما ارتحلنا من قصر بني مقاتل وسرنا ساعة، خفق الحسين برأسه خفقة ثم انتبه وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين، قال: ففعل ذلك مرتين أو ثلاثا، قال: فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين على فرس له فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين، يا أبت جعلت فداك مم حمدت الله واسترجعت؟ قال: يا بني إني خفقت برأسي خفقة فعن لي فارس على فرس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعت الينا، قال له: يا أبت لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحق؟ قال: بلى والذي إليه مرجع العباد، قال: يا أبت إذاً لا نبالي، نموت محقين؛ فقال له: جزاك الله من ولد خير ما جرى ولداً عن والده، قال: فلما أصبح نزل فصلى الغداة، ثم عجل الركوب فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرقهم، فيأتيه الحر بن يزيد فيردهم فيرده، فجعل إذا ردهم إلى الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه فارتفعوا.^(١)

موارد الاعتبار:

- ١- ان مسير الحسين من هذا الموضع يمتاز بوضوح أنه على غير مقصدٍ خاص، وأن جيش العدو كان يراقب ذلك بدقة متناهية.
- ٢- الحسين استرجع أكثر من مرة ثم حمد الله ولم ينبري أحد من أصحابه للسؤال عن ذلك حتى سأله ابنه الذي كان بعيداً عنه حيث (أقبل ابنه علي بن الحسين على فرس له وسأل عن السبب قائلاً: (يا أبتى جعلت فداك، مما حمدت الله واسترجعت؟).
- ٣- وكان جواب الحسين صريحاً حيث قال: (عنّ لي فارس على فرس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم)، فقال عليّ: (ألسنا على حق) فقال الحسين: (بلى والذي إليه مرجع العباد) فقال الابن: (يا أبتى إذن لا نبالي أن نموت محقّين) مما يكشف عن استعداد تام للمواجهة.
- ٤- استمرت المسيرة من دون مقصد واضح سوى الابتعاد عن الكوفة حيث أن الحر كان يحاول أن يردهم إلى الكوفة ردّاً شديداً (امتنعوا عليه) حيث ظهر بكل وضوح أن الهدف هو إلقاء القبض عليهم.

(١٤)

نينوى

قال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) في «معجم البلدان»: «... نينوى: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وفتح النون والواو، بوزن طيطوى: وهي قرية يونس بن مئى، عليه السلام، بالموصل، وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى، منها كربلاء التي قتل بها الحسين، رضي الله عنه...»^(١)

رواية الطبري:

قال: فلم يزلوا ينسايرون حتى انتهوا إلى نينوى، المكان الذي نزل به الحسين؛ قال: فإذا راكب على نجيب له وعليه السلاح متنكب قوساً مقبلاً من الكوفة، فوقفوا جميعاً ينتظرونه فلما انتهى إليهم سلم على الحر بن يزيد وأصحابه ولم يسلم على الحسين وأصحابه، فدفع إلى الحر كتاباً من عبيد الله بن زياد، فإذا فيه: أما بعد، فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله إلا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتييني بإنفاذك أمري، والسلام.

قال: فلما قرأ الكتاب قال لهم الحر: هذا كتاب الامير عبيد الله بن زياد يأمرني فيه أن أجمع بكم في المكان الذي يأتييني فيه كتابه، وهذا رسوله، وقد أمره أن لا يفارقني حتى أنفذ رأيه وأمره، فظفر إلى رسول عبيد الله يزيد بن زياد بن المهاصر أبو الشعثاء الكندي ثم النهدي فعنّ له، فقال: أمالك بن النسير البديّ قال: نعم - وكان أحد كندة فقال له يزيد بن زياد: ثكلتك أمك! ماذا جئت فيه؟ قال: وما جئت فيه! أطعت إمامي، ووفيت ببيعتي، فقال له أبو الشعثاء: عصيت ربك وأطعت إمامك في هلاك نفسك، كسبت العار والنار، قال: الله عز وجل: ﴿ وجعلنا منهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون ﴾^(٢) فهو إمامك قال: وأخذ الحر بن يزيد القوم بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قرية، فقالوا:

(١) معجم البلدان؛ لياقوت الحموي ٥: ٣٣٩.

٢- القصص: ٤١.

دعنا ننزل في هذه القرية يعنون نينوى، أو هذه القرية يعنون الغاضرية،^(١) أو هذه الاخرى يعنون شُفِيَّة،^(٢) فقال: لا والله ما أستطيع ذلك، هذا رجل قد بعث إليَّ عينا، فقال له زهير بن القين: يا ابن رسول الله إن قتال هؤلاء أهون من قتال من يأتينا من بعدهم، فلعمري ليأتينا من بعد ترى ما لا قبل لنا به فقال: له الحسين ما كنت لابدأهم بالقتال فقال: له زهير بن القين سر بنا إلى هذه القرية حتى تنزلها فانها حصينة وهي على شاطئ الفرات، فإن منعونا قاتلناهم فقتلهم أهون علينا من قتال من يجي من بعدهم، فقال له الحسين: وأية قرية هي؟ قال: هي العقر،^(٣) فقال الحسين: اللهم اني أعوذ بك من العقر، ثم نزل.^(٤)

موارد الاعتبار:

١ - ان كتاب ابن زياد إلى قائد الجيش الحر كان واضحاً وحاسماً، ويتضمن البنود التالية:

أ - جعجع بالحسين.

ب - لا تنزله إلا بالعراء.

ج - في غير حصن.

د - وعلى غير ماء.

وكان أحد البنود كافياً في اتخاذ القرار، ولكن تربيعها من القيادة العليا تكشف عن

(١) في «معجم البلدان»: «... الغاضرية: بعد الالف ضاد معجمة، منسوبة إلى غاضرة من بني أسد: وهي قرية من نواحي الكوفة قريبة من كربلاء...».

(٢) في «معجم البلدان»: «... شُفِيَّة: بفتح أوله، وكسر ثانيه، منسوبة إلى الشفا: وهي ركية معروفة على بحيرة الاحساء، وماء البحيرة زعاف، قال الازهري: وسمعت العرب تقول: كنا في حمراء القيط على ماء شفية، وهي ركية عذبة معروفة...».

(٣) في «معجم البلدان»: «... العقر: بفتح أوله، وسكون ثانيه... والعقر: عدة مواضع، منها: عقر بابل، قرب كربلاء من الكوفة، وقد روي أن الحسين، رضي الله عنه، لما انتهى إلى كربلاء وأحاطت به خيل عبيد الله بن زياد قال: ما اسم تلك القرية؟ وأشار إلى العقر، فقبل له: اسمها العقر، فقال: نعوذ بالله من العقر! فما اسم هذه الارض التي نحن فيها؟ قالوا: كربلاء، قال: أرض كرب وبلاء، وأراد الخروج منها فمنع حتى كان ما كان...».

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٨ - ٣٠٩.

١٣٤ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

علمها بصمود الحسين واستعدادها الكامل للقضاء عليه في ساحة مطوقة من دون إمداد خارجي.

٢ - لقد كشف أحد أصحاب الحسين من عشيرة كندة عن شخصية رسول ابن زياد، وأنه مالك الكندي، والمحادثة بينهما تكشف عن إتهام مالك بدور الخيانة.

٣ - ونتيجةً لوضوح الأهداف كان قرار المواجهة وإقتراح أحد اصحاب الحسين؛ لوضوح المصير فقد قال زهير مبرراً للمبادرة بالقتال بقوله: (ان قتال هؤلاء أهون من قتال من يأتي بعدهم) ولكن الحسين رفض ذلك رفضاً قاطعاً؛ استناداً على الثابتة الإسلامية بقوله: (ما كنت لأبدأهم بقتال).

(١٥)

صحراء كربلاء

قال ياقوت الحموي (ت = ٦٢٦ هـ) في «معجم البلدان»: «... كربلاء - بالمد - وهو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن علي، رضي الله عنه، في طرف البرية عند الكوفة. فأما اشتقاقه، فالكربلة رخاوة في القدمين، يقال: جاء يمشي مكربلا، فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رخوة فسميت بذلك...»^(١)

رواية الطبري:

وذلك يوم الخميس وهو اليوم الثاني من المحرم سنة احدى وستين، فلما كان من الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف قال: وكان سبب خروج ابن سعد إلى الحسين عليه السلام أن عبيد الله بن زياد بعثه على أربعة آلاف من أهل الكوفة يسير بهم إلى دستبي وكانت الديلم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها، فكتب إليه ابن زياد عهده على الري وأمره بالخروج فخرج معسكرا بالناس بحمام أعين، فلما كان من أمر الحسين ما كان وأقبل إلى الكوفة دعا ابن زياد عمر بن سعد فقال: سر إلى الحسين فإذا فرغنا مما بيننا وبينه سرت إلى عملك، فقال له عمر بن سعد: إن رأيت رحمك الله أن تعفيني فافعل، فقال له عبيد الله: نعم على أن ترد لنا عهدنا، قال: فلما قال له ذلك قال عمر بن سعد: أمهلني اليوم حتى أنظر، قال: فأنصرف عمر يستشير نصحاء فلم يكن يستشير أحدا إلا نهاه، قال: وجاء حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن أخته فقال: أنشدك الله يا خال أن تسير إلى الحسين فتأثم بربك وتقطع رحمك، فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلها لو كان لك، خير لك من أن تلقى الله بدم الحسين، فقال له عمر بن سعد: فاني أفعل إن شاء الله.

قال هشام: حدثني عوانة بن الحكم عن عمار بن عبد الله بن يسار الجهني عن أبيه قال: دخلت على عمر بن سعد وقد أمر بالمسير إلى الحسين فقال لي: إن الامير أمرني

بالمسير إلى الحسين فأبيت ذلك عليه، فقلت له: أصاب الله بك، أرشدك الله، أحل فلا تفعل ولا تسر إليه، قال: فخرجت من عنده فأتاني آت وقال: هذا عمر بن سعد يندب الناس إلى الحسين، قال: فأتيته فإذا هو جالس فلما رأيته أعرض بوجهه، فعرفت أنه قد عزم على المسير إليه، فخرجت من عنده، قال: فأقبل عمر بن سعد إلى ابن زياد فقال: أصلحك الله إنك وليتني هذا العمل وكتبت لي العهد وسمع به الناس فان رأيت أن تنفذ لي ذلك فافعل وابعث إلى الحسين في هذا الجيش من أشرف الكوفة من لست بأغنى ولا أجزأ عنك في الحرب منه، فسمى له أناساً، فقال له ابن زياد: لا تعلمني بأشرف أهل الكوفة ولست أستمرك فيمن أريد أن أبعث إن سرت بجندنا وإلا فابعث إلينا بعهدنا، فلما رآه قد لجّ قال: فإني سائر^(١)

موارد الاعتبار:

١ - بلغ مجموع عدد الجيش المعادي للحسين في الثاني من محرم إحدى وستين هـ خمسة آلاف جندي، وكان منهم أربعة آلاف بقيادة عمر بن سعد، بالإضافة إلى عدد الألف الذين كانوا بقيادة الحر؛ وهذا يكشف عن أن الخوف في جانب الحكم كان شديداً، فأن عدد أصحاب الحسين لم يكن يتجاوز المئة، فتكون النسبة خمسين إلى واحد، وهي نسبة غير متكافئة بينما الجيش المعادي كان في ازدياد باستمرار، وأصحاب الحسين على العكس، وهذا التفوق العددي يكشف عن الضعف النفسي في جانب سلطة ابن زياد.

٢ - أن خروج الحسين تزامن مع ثور الديلم في دستبي حيث خرجت الديلم وغلبت عليها، وهذا التزام سهل الدعايات للسلطة للتعتيم على حركة الحسين وتحريف أهدافها.

٣ - أن ابن زياد استمال عمر بن سعد المكلف بحرب الديلم، وكتب له سلطة الري وجعل هذا العهد وسيلة للضغط على عمر ليحارب الحسين.

٤- كان عمر بن سعد بين خيارين: سلطة الري التي يرغب فيها، وقتال الحسين الذي يتحاشاه. وقد وجد نفسه بحكم خبرته العسكرية في موقف حرج ظن انه يتمكن من تحويل المواجهة بما يكون في صالح الطرفين.

٥- كان ابن زياد على علم كامل بنقطة الضعف في شخصية عمر بن سعد ومحاولاته لتجنب المواجهة حينما اقترح: (أبعث إلى الحسين في هذا الجيش من أشرف الكوفة) أجابه ابن زياد: (لا تعلمني بأشرف أهل الكوفة ولست أستأمرك، فمن أريد أن أبعث إن سرت بجندنا؟، وإلا فابعث إلينا بعهدنا» مما يكشف ان الجند كانوا من المرتزقة ولم يكن فيهم من أشرف الكوفة أحد.

رسالة ابن سعد

رواية الطبري:

قال: فأقبل في أربعة آلاف حتى نزل بالحسين من الغد من يوم نزل الحسين نينوى، قال: فبعث عمر بن سعد إلى الحسين عزرة بن قيس الأحمسي فقال: ائته فسله ما الذي جاء به وماذا يريد؟ وكان عزرة ممن كتب إلى الحسين فاستحيا منه أن يأتيه قال: فعرض ذلك على الرؤساء الذين كاتبوه فكلهم أبي وكرهه، قال: وقام إليه كثير به عبد الله الشعبي وكان فارسا شجاعا ليس يرد وجهه شيء فقال: أنا أذهب إليه والله لئن شئت لافتكن به، فقال له عمر بن سعد: ما أريد أن يفتك به ولكن ائته فسله ما الذي جاء به؟ قال: فأقبل إليه، فلما رآه أبو ثمامة الصائدي قال للحسين: أصلحك الله أبا عبد الله قد جاءك شر أهل الارض وأجرأه على دم وأفتكه، فقام إليه فقال: ضع سيفك، قال: لا والله ولا كرامة إنما أنا رسول، فإن سمعتم مني أبلغتكم ما أرسلت به اليكم وإن أبيتم انصرفت عنكم، فقال له: فاني آخذ بقائم سيفك ثم تكلم بحاجتك، قال: لا والله لا تمسه، فقال له: أخبرني ما جئت به وأنا أبلغه عنك ولا أدعك تدنو منه فانك فاجر، قال: فاستبأ، ثم انصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر، قال: فدعا عمر قرّة بن قيس الحنظلي فقال له: ويحك يا قرّة إلق حسينا فسله ما جاء به وماذا يريد؟ قال: فأتاه قرّة بن قيس فلما رآه الحسين مقبلا قال: أتعرفون

هذا؟ فقال: حبيب بن مظاهر نعم هذا رجل من حنظلة، تميمي وهو ابن أختنا، ولقد كنت أعرفه بحسن الرأي، وما كنت أراه يشهد هذا المشهد، قال: فجاء حتى سلم على الحسين وأبلغه رسالة عمر بن سعد إليه له، فقال الحسين: كتب إلي أهل مصركم هذا إن أقدم، فأما إذ كرهوني فأنا أنصرف عنهم، قال: ثم قال له: حبيب بن مظاهر، ويحك يا قرّة بن قيس أني ترجع إلى القوم الظالمين، انصر هذا الرجل الذي بآبائه أيدك الله بالكرامة وإيانا معك، فقال له قرّة: أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته وأرى رأيي، قال: فانصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر فقال له عمر بن سعد: إني لارجو أن يعافيني الله من حربته وقتاله. (١)

موارد الاعتبار:

١- وصل جيش ابن سعد كربلاء في ٢ / محرم / إحدى وستين هـ (حتى نزل بالحسين من الغد من يوم نزل الحسين بنينوى) وقد وصل الحسين بنينوى في الأول من محرم وبنينوى هي من كربلاء.

٢- حاول عمر بن سعد باعتباره قائد الجيش إرسال رسل لاستطلاع موقف الحسين وقد رفض الرؤساء الذين كاتبوا الحسين قبول هذه الرسالة، ويكشف هذا عن أمور:

أ- أن عمر بن سعد نفسه لم يكن ممن كاتب الحسين عليه السلام.

ب- أن الرؤساء المختارين للرسالة كانوا على علم بالجواب.

ج- أن هؤلاء الرؤساء الذين كانوا قد كتبوا للحسين كانوا مندسّين في البداية لدعوة الحسين.

٣- الرسول الأول كثير الشعبي تطوع لحمل الرسالة، وزاد قائلاً لعمر بن سعد: (لأن شئت لأفتكنّ به) ونهاه عمر عن ذلك، وهذا يكشف عن طبيعة الرجلين واختلاف سياسة القواد في الجيش.

٤- كان أصحاب الحسين على معرفة بماضي هذا الرسول، فمنعوه من الوصول إلى

الحسين إلا بشروط:

أ - وضع السلاح (ضع سيفك).

ب - مسك مقبض السيف لكي لا يتمكن من التعدي.

ج - إيلاغ الرسالة من دون مواجهة الحسين وقد رفضها الشعبي كلها بحجة انه رسول ولم يسمح أصحاب الحسين له بالزيارة خشية تطوعه بالإغتيال.

٥ - الرسول الثاني قرّة بن قيس الحنظلي وهذا لم يتطوع للرسالة ولكن عمر بن سعد حمّله ذلك، واستفسر الحسين أصحابه عن الرجل، فعرفه حبيب بن مظاهر لقراءة بينهما وقال: «هو ابن اختنا لقد كنت أعرفه بحسن الرأي وما كنت أراه يشهد هذا المشهد» مما يكشف عن إنخداع أمثاله بالدعايات المضلّلة، وقد حمل الرجل الرسالة بأمانة، وكان حوار الحسين معه واضحاً وصريحاً.

٦ - ان حبيب بن مظاهر من أصحاب الحسين قام بدور الدعوة الإسلامية في مثل هذا الظرف للقراءة بينه وبين الرسول (ابن اختنا) مما يكشف عن موقف عقائدي ثابت، وكان جواب الرسول: (أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته وأرى رأيي) وهذا يكشف عن عدم الوضوح للرؤية لديه كما يكشف قول عمر بن سعد وهو قائد الجيش: (أنّي ارجوا أن يعافيني الله من حربه وقتاله) انه بإعتباره قائد جيش لا يتمتع برؤية واضحة ولا يؤمن بشرعية الحرب على الحسين.

كتاب ابن زياد

رواية الطبري:

قال هشام، عن أبي مخنف قال: حدثني النضر بن صالح بن حبيب بن زهير العبسي عن حسان بن فائد بن بكر العبسي، قال: أشهد أن كتاب عمر بن سعد جاء إلى عبيدالله بن زياد وأنا عنده، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فاني حيث نزلت بالحسين بعثت إليه رسولي فسألته عمّا أقدمه وماذا يطلب ويسأل، فقال: كتب إليّ أهل هذه البلاد وأتتني رسلهم فسألوني القدوم ففعلت، فأما إذ كرهوني فبدا لهم غير ما أتتني به رسلهم

فأنا منصرف عنهم، فلما قرئ الكتاب على ابن زياد قال:

الآن إذ علقت مخالبتنا به يرجو النجاة ولات حين مناص قال:

وكتب إلى عمر بن سعد: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت، فاعرض على الحسين أن يبايع لي زيد بن معاوية هو وجميع أصحابه، فإذا فعل ذلك رأينا، رأينا والسلام.

قال: فلما أتى عمر بن سعد الكتاب قال: قد حسبت ألا يقبل ابن زياد العافية.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - رفع عمر بن سعد إلى ابن زياد تقريراً أميناً عما قام به من الاعمال طالباً للأوامر جديدة من القيادة العليا، كما هو المطلوب من أي مسؤول عسكري.

٢ - أعلن بن زياد منشداً شعراً ليعلن على أصحابه بأسلوب دعائي: إعلان الحرب على الحسين (علقت مخالبتنا به) و (لات حين مناص) منبأ أن قرار المواجهة أمر حتمي من جانبه.

٣ - صرّح ابن زياد في كتابه هذا سياسته الواضحة والصريحة، وهي البيعة ليزيد من دون قيد أو شرط، من دون أي التزام بقول من جانبه: (فإذا فعل ذلك رأينا رأينا) مما يكشف عن انا كتابه كان سياسياً لا يدع أي ضمان أو خيار للجانب الآخر.

٤ - ان عمر بن سعد من جانبه تيقن من سياسة ابن زياد، ولكن لم يكشف عنها علناً، بل وصفها في دائرة الإحتمال بقوله: (قد حسبت ان لا يقبل ابن زياد العافية) مما يكشف عن ان عمر بن سعد كان يتوقع الصلح في هذا الموقف، وهذا شيء غريب من شخصية عسكرية يعرف ماضي ابن زياد وما فعله برسل الحسين وشيعته في الكوفة.

حصار الماء

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم الازدي قال: جاء من عبيد الله بن زياد كتاب إلى عمر بن سعد: أما بعد، فحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء، ولا يذوقوا منه قطرة كما صنع بالتقي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان. قال: فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين حسين وأصحابه وبين الماء أن يسقوا منه قطرة، وذلك قبل قتل الحسين بثلاث. قال: ونازله عبد الله ابن أبي حصين الازدي - وعداده في بجيلة - فقال: يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء؟ والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشا. فقال حسين: اللهم اقتله عطشا ولا تغفر له أبدا، قال حميد بن مسلم: والله لعدته بعد ذلك في مرضه، فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيته يشرب حتى بفر، ثم بقي ثم يعود فيشرب حتى يبفر، فما يروى، فما زال ذلك دأبه حتى لفظ غصته يعني نفسه.

قال: ولما اشتد على الحسين وأصحابه العطش دعا العباس بن علي بن أبي طالب أخاه فبعثه في ثلاثين فارسا وعشرين راجلا وبعث معهم بعشرين قربة، فجاءوا حتى دنوا من الماء ليلاً واستقدم إمامهم باللواء نافع بن هلال الجملي، فقال عمرو بن الحجاج الزبيدي: من الرجل؟ فجئ، فقال: ما جاء بك؟ قال: جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلا تمونا عنه، قال: فاشرب هنيئاً، قال: لا والله لا أشرب منه قطرة وحسين عطشان ومن ترى من أصحابه، فطلعوا عليه، فقال: لا سبيل إلى سقي هؤلاء إنما وضعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء، فلما دنا منه أصحابه قال لرجاله: املؤا قربكم فشدّ الرجالة فملؤوا قريبهم، وثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه، فحمل عليهم العباس بن علي ونافع بن هلال فكفّوهم، ثم انصرفوا إلى رحالهم فقالوا: امضوا، ووقفوا دونهم، فعطف عليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه واطردوا قليلا، ثم إن رجلا من صُداء طعن من أصحاب عمرو بن الحجاج، طعنه نافع بن هلال، فظن أنها ليست بشيء ثم إنها انتقضت بعد ذلك فمات منها،

وجاء أصحاب حسين بالقرب فأدخلوها عليه. (١)

موارد الاعتبار:

١- كتاب ابن زياد يكشف عن نقاط ثلاث أساسية في سياسته:

أ- الضغط، حيث لم يجعل أي خيار للحسين سوى الإستسلام المطلق.

ب- فرّق تسد، بإذكاء روح الطائفية بطرح دعوى قتل الخليفة عثمان مع أن الحسين كان ممّن حمل الماء إلى عثمان. ج- الإنتقام بتحميل الحسين وأصحابه مسؤولية قتل عثمان، مع أن في أصحاب الحسين كان من هو عثماني.

وهذه النقاط الأساسية استخدمت في سياسة سابقة من معاوية تجاه عليّ وأصحابه، فأراد ابن زياد إحيائها من جديد، مما يكشف أن الجيش الكوفي كان غير موالي لاهل البيت.

٢- إن الحصار حصل في ٧ / محرم / ٦١ هـ (ذلك قبل قتل الحسين بثلاث) فكان الحسين وأهل بيته وأصحابه في الحصر مدة ثلاثة أيام بلياليها.

٣- إن جيش ابن سعد بقيادة عمر بن الحجاج المكوّن من خمسمائة فارس نزلوا على المشرعة من ماء الفرات وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء، والنسبة بين العدد النازل وبين اصحاب الحسين خمسة اضعاف حيث أصحاب الحسين كانوا لا يتجاوزون المئة مما يظهر شدة الحصار.

٤- لقد أظهر الأزدي من جيش بن سعد روح الإنتقام في سياسته بقوله: (يا حسين، ألا تنتظر إلى الماء كأنه كبد السماء، والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً) مع أن حصار الخمسمائة جندي كان كافياً في بيان الحال لكن أراد إذكاء روح الإنتقام، ولم يجبه الحسين قط، بل دعى عليه بقوله: (اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً) وقد تحققت دعوة الحسين عليه.

٥ - قام العباس بدوره بجلب الماء (في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً، وبعث معهم عشرين قربة)، وتمكنت هذه النسبة القليلة من الوصول إلى الماء في حين كان اللواء بيد العباس متحدين الحصار، مما يكشف عن العزم العقائدي الراسخ في اصحاب الحسين عليه السلام.

٦ - المحادثة بين الزبيدي من جيش عمر بن سعد والعباس حامل لواء الحسين يكشف عن اتباع الامويين سياسة «فرق تسد» حيث قال الزبيدي: (فأشرب هنيئاً) فأجابه العباس: (لا والله، لا أشرب منه قطرة وحسين عطشان) وقال لرجاله: «إملاً قريكم... وجاء اصحاب الحسين بالقرب وادخلوها عليه) متحدين بذلك منع السلطة الظالمة.

مفاوضات

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب عن هاني بن ثابت الحضرمي - وكان قد شهد قتل الحسين - قال: بعث الحسين عليه السلام إلى عمر بن سعد عمرو بن قرظة بن كعب الانصاري أن ألقني الليل بين عسكري وعسكرك، قال: فخرج عمر بن سعد في نحو من عشرين فارساً، وأقبل حسين في مثل ذلك، فلما التقوا أمر حسين أصحابه أن يتنحوا عنه، وأمر عمر بن سعد أصحابه بمثل ذلك، قال: فانكشفنا عنهما بحيث لا نسمع أصواتهما ولا كلامهما فتكلمنا فأطالا حتى ذهب من الليل هزيع، ثم انصرف كل واحد منهما إلى عسكره بأصحابه، وتحدث الناس فيما بينهما ظناً يظنونه أن حسيناً قال لعمر بن سعد: اخرج معي إلى يزيد بن معاوية وندع العسكرين، قال عمر: إذن تهدم داري، قال: أنا أبنيها لك، قال: إذن تؤخذ ضياعي، قال: إذن أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز، قال: فتكره ذلك عمر، قال: فتحدث الناس بذلك وشاع فيهم من غير أن يكونوا سمعوا من ذلك شيئاً ولا علموه. قال أبو مخنف: وأما ما حدثنا به المجالد بن سعيد والصقعب بن زهير الازدي وغيرهما من المحدثين فهو ما عليه جماعة المحدثين قالوا: إنه قال: اختاروا مئتي خصالاً ثلاثاً: إما

أن أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه، وإمّا أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني وبينه رأيه، وإمّا أن تسيروني إلى أيّ ثغر من ثغور المسلمين شئتم، فأكون رجلاً من أهلّه، لي ما لهم وعليّ ما عليهم.

قال أبو مخنف: فأما عبد الرحمن بن جندب فحدثني عن عقبة ابن سمعان قال: صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلّا وقد سمعتها، ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية، ولا أن يسيّروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنه قال: دعوني فلاذهب في هذه الارض العريضة حتى نظّر ما يصير أمر الناس^(١).

موارد الاعتبار:

١ - كان اللقاء بين الحسين و عمر بن سعد بطلب من الحسين (أن القني الليل بين عسكري وعسكري) واستجاب عمر بن سعد (فخرج في نحو من عشر فرسان وأقبل حسين في مثل ذلك) فكانت الحراسة من الجانبين على حدّ سواء.

٢ - كانت المفاوضات سرية بين الطرفين (فلما التقوا، أمر حسين أصحابه أن ينتحوا عنه، وأمر عمر بن سعد أصحابه بمثل ذلك) فكانت المبادرة بأن تكون المفاوضات خاصة؛ كي لا يتسبب في فشلها الجانب المتشدد في عسكر العدو.

٣ - المفاوضات طالت (فتكلما فأطالا حتى ذهب من الليل هزيع) والهزيع هو الثلث الأخير من الليل، فإذا كان المغرب حسب توقيت مكة في هذا التاريخ السابعة وخمس دقائق فتكون المحادثات طالت إلى حوالى الثانية بعد منتصف الليل.

٤ - لم يكشف النصّ عن بنود التفاوض شيء، فإن أصحاب الجانبين لم يعرفوا عنها

شيئاً (فأنكشفنا عنهما بحيث لا نسمع أصواتهما ولا كلامهما) وشأن كبل المفاوضات السرية كثرة الإحتمالات والتحليلات والظنون.

٥ - من الشائعات التي انتشرت حول هذه المفاوضات ما يأتي:

الحسين قال لعمر: (اخرج معي إلى يزيد بن معاوية وندع العسكرين).

عمر بن سعد: (إذن يهدم داري).

الحسين: (أنا أبنيها لك).

عمر: (إذن يؤخذ ضياعي).

الحسين: (إذن أعطيك خيراً منها من مال الحجاز).

٦ - ومن ما رواه الطبري عن جماعة من المحدثين أن الحسين قال: «أختاروا مني

خصلاً ثلاثاً:

أ - إما أن أرجع المكان الذي أقبلت منه.

ب - وإما أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية، فيرى فيما بيني وبينه رأيه.

ج - وإما أن تسيروني إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئتم.

ويظهر أن هذه الشائعة لم تكن تفتقر إلى محادثات طويلة تنجر إلى الثلث الأخير من الليل، مع أن هذه المقترحات لا توافق مواقف الحسين في المدينة، وفي مسيره في طريق كربلاء، فإنه ما خرج من المدينة إلا لرفضهبيعة يزيد.

٧ - وعلى العكس من هذه الشائعات ما رواه عقبة بن سمعان من أصحاب الحسين من رفض الحسين ذلك كله، فإنه أقرب إلى سيرته ومواقفه السابقة، فإن هذه المحادثات الطويلة لا بد وأن تكون من جانب الحسين لبيان مواقفه الراضية للإستسلام ومحاولة عمر بن سعد لإقناع الحسين بالإستسلام تخويفاً وترغيباً وضماناً وأماناً، شأن كل المأمورين، ومن الطبيعي أن يكون الحسين رافضاً هذا العرض مذكراً عمر بن سعد بماضي القوم في نقض العهد والأمان في تاريخ أبيه علي بن أبي طالب، وأخيه الحسن، وابن عمه مسلم بن عقيل، ومن أجل ذلك طالت المفاوضات إلى هزيع من الليل.

قال الجلالى: ولا يزال إلى اليوم ١٣٧٩ هـ يوجد في كربلاء مقامان منسوبان إلى موضع

لقاء المفاوضات، أحدهما: في محلة المخيم، والآخر عند حمام الكبيس، ولا أعرف محلاً ثالثاً للقاء، فيظهر تكرار اللقاء في أحد المقامين.

فشل المفاوضات

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني المجالد بن سعيد الهمداني والصقعب بن زهير أنهما كانا التقيا مرارا ثلاثا أو أربعاً حسين وعمر بن سعد قال: فكتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد، فإن الله قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأمة هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى أو أن نسيّره إلى أيّ ثغر من ثغور المسلمين شئنا، فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده فيرى فيما بينه وبينه رأيه. وفي هذا لكم رضئ وللامة صلاح. قال: فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال: هذا كتاب رجل ناصح لا ميره مشفق على قومه، نعم قد قبلت، قال: فقام إليه شمر بن ذي الجوشن فقال: أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك إلى جنبك، والله لئن رحل من بلدك ولم يضع يده في يدك ليكوننّ أولى بالقوة والعزّ ولتكوننّ أولى بالضعف والعجز، فلا تعطه هذه المنزلة، فإنها من الوهن ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت فأنت وليّ العقوبة، وإن غفرت كان ذلك لك، والله لقد بلغني أن حسيناً وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدّثان عامة الليل، فقال له ابن زياد: نعم ما رأيت، الرأي رأيك.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - ان اللقاء بين الحسين وعمر كان أكثر من مرة (التقيا مراراً ثلاثاً أو أربعاً) مما يكشف عن أن في كل لقاء كانت مقترحات جديدة من الجانبين تفتقر إلى مشاورة

ومداولة بين كل جانب وأصحابه، وعلى الأقل من جانب عمر بن سعد. وربما اختلق عمر بعض هذه الشائعات لكسب الوقت في المراسلة مع القيادة العليا، وربما انكشف له أو لأعضاء قيادة الجيش أن قرار ابن زياد بالحرب قرار غير صائب على المدى البعيد.

٢ - الخيارات الثلاث التي ذكرها عمر بن سعد عن قبول الحسين هي:

أ - الرجوع إلى المكان الذي أتى منه.

ب - الذهاب إلى ثغر من ثغور المسلمين.

ج - أن يكون رجالاً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم.

د - يأتي يزيد أمير المؤمنين فيرى فيما بينه وبين رأيه.

وربما كانت هذه المقترحات من عمر بن سعد نفسه طرحها عمر باجتهاده الخاص.

٣ - موقف عمر بن سعد في المفاوضات كما في المواقف السابقة تصوّر منه الجانب المتسامح في سلطة ابن زياد، فقد التحق بالسلطة على أمل أن يغيّر سياسة ابن زياد من الداخل، وكان قد اقترح مشاركة أشرف الكوفة في الجيش لهذا الغرض على الأغلب، وقد أفضله ابن زياد من قبل، فحاول عمر مشاركة يزيد نفسه في القرار (وهذا لكم رضئاً وللأمة صلاح) ظاناً أن المقترحات هذه سوف تؤخذ بعين الاعتبار وتؤدي إلى الإصلاح؛ غافلاً أن المصالح السياسية العليا لا تهتم إلا بمصلحتها.

٤ - كان شمر بن ذي الجوشن يمثل الجانب المتشدد في السلطة، فاقترح على ابن

زياد:

أ - لأن رحل من بلدك ولم يضع يده في يدك لتكون أولى بالضعف والعجز.

ب - لينزل على حكمك هو وأصحابه.

ج - فإن عاقبت فأنت وليّ العقوبة وإن عفوت كان ذلك لك.

د - إتهام عمر بن سعد بالتواطؤ مع الحسين (يجلسان بين العسكرين يتحدثان عامة

الليل).

٥ - أن ابن زياد باعتباره ممثلاً للقيادة العليا حاول ترضية الجانبين المتسامح

والمتشدد في سلطته، فقد أعلن أولاً على موافقته لمقترحات عمر بن سعد بقوله: (هذا

كتاب رجل ناصح لأُميرِه، مشفق على قومِه، نعم قد قبلت) ثم عدل عن رأيه ووافق على مقترحات شمر بن ذي الجوشن بقوله: (نعم ما رأيت، الرأي رأيك) ولم يكن هذا منه إلا مناورة سياسية، فقد سبق منه الخطة المدروسة بقوله: (جعجع بالحسين) قبل وصوله إلى كربلاء، مما يكشف عن أن إعلان الموافقة مع مقترحات ابن سعد لم يكن صادقاً، بل كان للإيقاع بالجانب المتسهل ومعاذة الجانب المتشدد الذي كان يتزعمه هو بالذات.

اعلان الحرب

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: فحدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم، قال: ثم إن عبيد الله بن زياد دعا شمر بن ذي الجوشن فقال له: اخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي، فإن فعلوا فليبعث بهم إلى سلماً، وإن هم أبوا فليقاتلهم، فإن فعل فاسمع له وأطع، وإن هو أبى فقاتلهم، فأنت أمير الناس، وثب عليه فاضرب عنقه، وابعث إليّ برأسه.

قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب الكلبي قال: ثم كتب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد: أما بعد، فإنني لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه، ولا لتطاوله، ولا لتمنييه السلامة والبقاء، ولا لتقع له عندي شافعاً، انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إليّ سلماً، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، فإن قُتل حسين فأوط الخيل صدره وظهره؛ فإنه عاق مشاق، قاطع ظلوم، وليس دهري في هذا أن يضرب بعد الموت شيئاً، ولكن على قول لو قد قتلته فعلت هذا به. إن أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا وخل بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر، فانا قد أمرناه بأمرنا، والسلام.

قال أبو مخنف: عن الحارث بن حصيرة عن عبد الله بن شريك العامري، قال: لما قبض شمر بن ذي الجوشن الكتاب قام هو وعبد الله بن أبي المحل - وكانت عمته أم البنين ابنة حزام عند علي بن أبي طالب عليه السلام - فولدت له العباس وعبد الله وجعفر وعثمان - فقال عبد

الله بن أبي المحل بن حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب: أصلح الله الأمير، إن بني اختنا مع الحسين؛ فان رأيت أن تكتب لهم أماناً فعلت، قال: نعم ونعمة عين، فأمر كاتبه فكتب له أماناً، فبعث به عبد الله بن أبي المحل مع مولى له يقال له: كزمان، فلما قدم عليهم دعاهم فقال: هذا أمان بعث به خالكم، فقال له الفتية أقرئ خالنا السلام وقل له: أن لا حاجة لنا في أمانكم، أمان الله خير من أمان ابن سمية، قال: فأقبل شمر بن ذي الجوشن بكتاب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد، فلما قدم به عليه فقراه قال له عمر: مالك، ويلك لا قرب الله دارك، وقبح الله ما قدمت به عليّ، والله إني لا ظنك أنت ثنيته أن يقبل ما كتبت به إليه، أفسدت علينا أمراً كنا رجونا أن يصلح، لا يستسلم والله حسين، إن نفساً أبيّة لبين جنبه. فقال له شمر: أخبرني ما أنت صانع، أتمضي لامر أميرك وتقتل عدوّه، وإلا فخلّ بيني وبين الجند والعسكر. قال: لا، ولا كرامة لك، وأنا أتولّي ذلك، قال: فدونك وكن أنت على الرجال.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - كان كتاب ابن زياد مع شمر بن ذي الجوشن تعبيراً عن سياسته المستمرة بتطبيق المواد التالية:

- أ - النزول على حكمه.
- ب - إن فعلوا فأبعث بهم إليّ سلماً.
- ج - وإن هم أبوا فليقاتلهم.
- ثم خاطب شمر بن ذي الجوشن.
- د - (إن فعل - أي عمر بن سعد - فاسمع له وأطع).
- هـ - (إن أبي - أي عمر بن سعد - فقاتلهم أنت).
- و - (وثب عليه - أي عمر بن سعد - فافضرب عنقه).

ز - (وابعث إليّ برأسه).

٢ - كان كتاب ابن زياد الى عمر بن سعد متضمناً لا تهامه بعدم أداء واجبه العسكري،

ويتضمن المواد التالية:

أ - (لم أبعثك إلى حسين لتكفّ عنه).

ب - (ولا لتطاوله).

ج - (ولا تمنّيه السلامة والبقاء).

د - (ولا لتتعد له عندي شافعاً).

هـ - (أنظر، فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلى سلماً).

و - (وإن أبوا فاحذف إليهم حتى تقتلهم).

ز - (وتمثّل بهم، فإنه لذلك مستحقّون).

ح - (فإن قتل حسين فأوط الخيل صدره وظهره).

ط - (أن أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع).

ي - (وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا، وخلي بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر).

٣ - أرفق ابن زياد مع شمر بن ذي الجوشن بكتاب أمان لإخوان الحسين الأربعة من

ولد أم البنين بنت حزام زوجة عليّ بن أبي طالب، وكانت عمّة الشمر بن ذي الجوشن،

متبّعاً سياسة «فرّق تسد» في داخل أسرة الحسين.

٤ - كان مواقف هؤلاء الأربعة مواقف الصمود والوعي الكامل لسياسة ابن زياد، فقد

رفضوا الأمان بشدة حيث لم يرغب عن أذهانهم ما سبق من الأمان لمسلم بن عقيل وغيره،

وأرفقوا الرفض بكلام يعرّض بتاريخ ابن زياد (لا حاجة لنا في أمانكم، أمان الله خير من

أمان ابن سمية).

٥ - ظهرت بوضوح لعمر بن سعد أنّ كفة الجانب المتشدّد راجحة في سياسة ابن زياد،

مما جعله يفقد كل الأمل في الإصلاح، ولكنه أصرّ على متابعة السلطة في سياستها

الغاشمة على الرغم من اعترافه بخطئها.

تاسوعاء

(٩ / محرّم / ٦١)

رواية الطبري:

قال: فنهض إليه عشية الخميس لتسع مضين من المحرم، قال: وجاء شمر حتى وقف على أصحاب الحسين فقال: أين بنو أختنا؟ فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو عليّ فقالوا له: مالك وما تريد؟ قال: أنتم يا بني أختي آمنون، قال له الفتية: لعنك الله ولعن أمانك، لئن كنت خالنا، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له؟ قال: ثم إن عمر بن سعد نادى: يا خيل الله اركبي وأبشري، فركب في الناس ثم زحف نحوهم بعد صلاة العصر وحسين جالس أمام بيته محتبياً بسيفه، إذ خفق برأسه على ركبتيه، وسمعت أخته زينب الصيحة فدنّت من أخيها، فقالت: يا أخي، أما تسمع الاصوات قد اقتربت؟ قال: فرفع الحسين رأسه فقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال: لي إنك تروح إلينا، قال: فلطمّت أخته وجهها وقالت: يا ويلتا، فقال: ليس لك الويل يا أختي، اسكني رحمك الرحمن، وقال العباس بن عليّ: يا أخي أتاك القوم، قال: فنهض، ثم قال: يا عباس اركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم فتقول لهم: ما لكم وما بدا لكم، وتسالهم عما جاء بهم؟ فأتاهم العباس فاستقبلهم في نحو من عشرين فارساً، فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر، فقال: لهم العباس: ما بدا لكم وما تريدون؟ قالوا: جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن ننزلوا على حكمه أو ننازلكم، قال: فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم، قال: فوقفوا ثم قالوا: ألّقه فأعلمه ذلك، ثم القنا بما يقول. قال: فانصرف العباس راجعاً يركض إلى الحسين يخبره بالخبر، ووقف أصحابه يخاطبون القوم، فقال حبيب بن مظاهر لزهير بن القين: كلم القوم إن شئت، وإن شئت كلمتهم. فقال له زهير: أنت بدأت بهذا فكن أنت تكلمهم، فقال له حبيب بن مظاهر: أما والله لبئس القوم عند الله غداً

قوم يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه عليه السلام وعترته وأهل بيته ، وعباد أهل هذا المصر المجتهدين بالاسحار، والذاكرين الله كثيرا، فقال له عزرة بن قيس: إنك لتزكي نفسك ما استطعت، فقال له زهير: يا عزرة، إن الله قد زكاها وهداها، فاتق الله يا عزرة، فإني لك من الناصحين، أنشدك الله يا عزرة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية. قال يا زهير ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت، إنما كنت عثمانيا، قال: أفلست تستدل بموقفي هذا أني منهم، أما والله ما كتبت إليه كتابا قط، ولا أرسلت إليه رسولا قط، ولا وعدته نصرتي قط، ولكن الطريق جمع بيني وبينه، فلما رأيته ذكرت به رسول الله صلى الله عليه وآله وآله ومكانه منه، وعرفت ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم، فرأيت أن أنصره وأن أكون في حزبه، وأن أجعل نفسي دون نفسه؛ حفظاً لما ضيَعتم من حق الله وحق رسوله عليه السلام. قال: وأقبل العباس بن علي يركض حتى انتهى إليهم فقال: يا هؤلاء، إن أبا عبد الله يسألكم أن تنصرفوا هذه العشية حتى ينظر في هذا الأمر؛ فإن هذا أمر لم يجر بينكم وبينه فيه منطوق، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله، فإما رضينا فأتينا بالأمر الذي تسألونه وتسومونه، أو كرهنا فرددناه. وإنما أراد بذلك أن يردهم عنه تلك العشية حتى يأمر بأمره ويوصي أهله. فلما أتاهم العباس بن علي بذلك قال عمر بن سعد: ما ترى يا شمر؟ قال: ما تري أنت، أنت الامير والرأي رأيك؟ قال: قد أردت إلا أكون، ثم أقبل على الناس فقال: ماذا ترون؟ فقال عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدي: سبحان الله، والله لو كانوا من الديلم ثم سألوك هذه المنزلة لكان ينبغي لك أن تجيهم إليها وقال قيس بن الاشعث: أجبهم إلى ما سألوك، فلعمري ليصبحنك بالقتال غدوة، فقال: والله لو أعلم أن يفعلوا ما أخرجتهم العشية. قال: وكان العباس بن علي حين أتى حسينا بما عرض عليه عمر بن سعد قال: ارجع إليهم، فان استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عند العشية لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار.

قال أبو مخنف: حدثني الحارث بن حصيرة عن عبد الله بن شريك العامري عن علي بن الحسين، قال: أتانا رسول من قبل عمر بن سعد فقام مثل حيث يسمع الصوت، فقال: إنا

قد أَجَلَّناكم إلى غدٍ، فإن استسلمتم سرحنا بكم إلى أميرنا عبيدالله بن زياد، وإن أبيتم
فلسنا تارككم.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - أعلن الشمر شخصياً وبِنفسه الأمان للعباس وإخوته في عشية التاسع من محرم
(وقف على أصحاب الحسين وقال: أين بنوا أختنا) ظاناً أن روح القبليّة قد تؤثر فيهم،
فخرج قائلاً: (أنتم يا بنوا أختي آمنون).

٢ - خرج إليه كل من العباس وجعفر وعثمان وقالوا في جوابه: (لعنك الله ولعن أمانك
وإن كنت خالنا، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له؟) مما يكشف عن الوعي الكامل
لسياسة «فرّق تسد» المستخدمة من قبل، السلطة، والرفض الكامل لها.

٣ - أراد عمر بن سعد المباغثة للحسين وأصحابه حيث نادى: (يا خيل الله اركبي
وبالجنة أبشري) زاحفاً نحو الحسين، في حين كان الحسين في حالة طبيعية (جالس أمام
بيته محتبياً بسيفه) إذ خفق برأسه، ولذلك لم يسمع بقدمهم حتى ذكرته أخته زينب
بقولها: (يا أخي أما تسمع الأصوات؟).

٤ - رأى الحسين في نعاسه ما كانت له دلالة واضحة (انك تروح إلينا) مما أزعج
الحسين وزينب فنادت بالويل بحكم صعوبة الموقف، وقد سلاها الحسين بقوله: (ليس
لك الويل يا أختي، اسكتي رحمك الرحمن) وقد أبدت زينب بالرغم من صعوبة الموقف
انصياعاً تاماً وأطاعت.

٥ - ذهب العباس في جماعة إلى جيش عمر بن سعد حاملاً رسالة الحسين (ما بدا
لكم، وما تريدون؟) وكان جوابهم: (جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على
حكمه أو ننازلكم).

٦ - أغتتم أصحاب الحسين فرصة ذهاب العباس لإبلاغ الحسين جواب الجيش، وقام

كلُّ منهم بدوره من الوعظ والإرشاد، منهم: حبيب بن مظاهر، ثم زهير بن القين، فاتهموا حبيب بأنه يزكي نفسه، واتهموا زهير بأنه كان عثمانياً.

٧- أتى العباس برسالة الحسين: (إن أبا عبد الله يسألكم أن تنصرفوا هذه العشية حتى ينظر في هذا الأمر، فإنّ هذا أمرٌ لم يجري بينكم وبينه فيه منطوق، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله) وتكشف هذه الرسالة الرغبة في كسب الوقت لأمر ذكرها الحسين كالاتي:

أ - (علّنا نصليّ لربنا الليلة).

ب - (وندعوه).

ج - (ونستغفره).

د - (وزاد الراوي (يوصي أهله).

ليلة العاشر

(١٠ / محرم / ٦١ هـ)

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: وحدثني عبد الله بن عاصم الفائشي عن الضحاك بن عبد الله المشرقي - بطن من همدان - أن الحسين بن علي عليه السلام جمع أصحابه..

قال أبو مخنف: وحدثني أيضا الحارث بن حصيرة عن عبد الله بن شريك العامري عن علي بن الحسين، قال: جمع الحسين أصحابه بعد ما رجع عمر بن سعد وذلك عند قرب المساء، قال علي بن الحسين: فدنوت منه لأسمع وأنا مريض، فسمعت أبي وهو يقول لأصحابه: أثنى على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء، وأحمده على السراء والضراء، اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماء وأبصاراً وأفئدة ولم تجعلنا من المشركين، أما بعد، فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً، ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإني قد رأيت لكم، فانطلقوا جميعاً في حلٍّ، ليس عليكم مني ذمام، هذا ليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً^(١)

موارد الاعتبار:

١ - كانت خطبة الحسين في أصحابه ليلة العاشر من محرم خطبة وداع للقائد الواعي للمواقف والظروف، وكانت تتضمن الإشارة إلى ثلاثة نقاط مترتبة بعضها ببعض في الماضي والحال والمستقبل، وهي:

أولاً: مسؤولية الثوابت الإسلامية، رسالة النبوة والقرآن والدين، وإن هذه المسؤولية

تتبع من البصيرة والعقل الداعيتان إلى رفض الشرك بمختلف أنواعه.
ثانياً: موقف الأصحاب وأهل بيته الذين تحمّلوا هذه المسؤولية في سلسلة من الظروف المعاكسة بكل صبر وعزم وحزم، فهم خير أصحاب وأبر أهل بيت.
ثالثاً: الحقيقة الثابتة، وهي أن المستهدف الوحيد في هذه الحرب هو شخص الحسين باعتباره رمز المعارضة، وإن وجوده على قيد الحياة باعتباره وريث جدّه الرسول يعتبر خطراً على السلطة، ولذلك أحلّ الحسين جميع أصحابه من البيعة (انطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم من ذمام).

٢- إن اقتراح الامام بتخيير أصحابه في هذه المرحلة الحرجة كان نابغاً عن احساسه بالمسؤولية الإسلامية في إعطائهم الحرية التامة في المواقف، والصراحة التامة في القيادة والوضوح الكامل للهدف، وهي مقومات كل حركة شعبية وكل قائد مخلص، وهكذا كانت سيرة جده رسول الله في غزواته من دون أيّ التواء أو مراوغة.

موقف الاصحاب

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثنا عبد الله بن عاصم الفائشي - بطن من همدان - عن الضحّاك بن عبد الله المشرقي، قال: قدمت ومالك بن النضر الارحبي على الحسين، فسلمنا عليه ثم جلسنا إليه، فردّ علينا ورحّب بنا، وسألنا عما جئنا له؟ فقلنا: جئنا لنسلم عليك وندعو الله لك بالعافية ونُحدّث بك عهداً، ونخبرك خبر الناس، وإنا نحدّثك أنهم قد جمعوا على حربك، فرّ رأيك. فقال الحسين عليه السلام: حسبي الله ونعم الوكيل، قال: فتذمّمنا وسلمنا عليه ودعونا الله له، قال: فما يمنعكما من نصرتي؟ فقال مالك بن النضر: عليّ دين ولي عيال، فقلت له: إن عليّ ديناً وإن لي لعيالاً، ولكنك إن جعلتني في حلّ من الانصراف إذا لم أجد مقاتلاً قاتلت عنك ما كان لك نافعاً وعنك دافعاً. قال: قال: فأنت في حلّ، فأقمتم معه فلما كان الليل قال: هذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، ثم تفرّقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرّج الله؛ فإن القوم

إنما يطلبوني، ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري. فقال له إخوته وأبناءؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله ابن جعفر: لم نفعل؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبدا. بدأهم بهذا القول العباس بن علي، ثم إنهم تكلموا بهذا ونحوه، فقال الحسين عليه السلام: يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا قد أذنت لكم. قالوا: فما يقول الناس؟ يقولون: إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبنينا عمومنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا؟ لا والله، لا نفعل ولكن تفديك أنفسنا وأموالنا وأهلونا، ونقاتل معك حتى نرد موردك، ففتح الله العيش بعدك.

قال أبو مخنف: حدثني عبد الله بن عاصم عن الضحاك بن عبد الله المشرقي قال: فقام إليه مسلم بن عوسجة الاسدي فقال: أنحن نخلي عنك ولما نعذر إلى الله في أداء حقك؟ أما والله حتى أكسر في صدورهم رمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولا أفارقك ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقدفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك. قال: وقال سعد بن عبد الله الحنفي: والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله فيك، والله لو علمت أنني أقتل، ثم أحيا، ثم أحرقت حيا، ثم أذرت، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انتضاء لها أبدا.

قال: وقال زهير بن القين: والله لو ددت أنني قتلت، ثم نشرت، ثم قتلت، حتى أقتل كذا ألف قتله وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك. قال: وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضا في وجه واحد، فقالوا: والله لا نفارقك، ولكن أنفسنا لك الفداء، نفيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا، فإذا نحن قتلنا كُنا وفينا وقضينا ما علينا.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - زيارة كل من المشمرى والمرحى المشبوهة لم تقابل بالرفض، بل تكشف عن مواقف أصحاب الحسين وحقيقة المواقف العقائدية لهم، وقد قالوا متذرعين في سبب الزيارة: (جئنا لنسلم عليك وندعوا لك بالعافية، ونجدد لك عهداً، ونخبرك خبر الناس، وأن نحدثك انه قد أجمعوا على حربك) فإن هذه الزيارة كانت إلى التهديد أقرب منها إلى تجديد العهد، والحسين لم يكن غافلاً عن دورهما في التجسس واستطلاع الموقف عن صلابة الحسين في مبادئه، وربما لأجل ذلك سألهما عما يكشف عن حقيقة نواياهما فقال: (ما يمنعك من نصرتي)؟ فاعتذرا بأن عليهما دين، ولديهما عيال فكشف عن حقيقتهم وجعلهما في حل كما طلبا.

٢ - حاول الحسين أن يقنع أهل بيته وأصحابه بالإنصراف عنه بقوله: (ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، ثم تفرقوا في سوادكم) وكان الرفض المطلق من جانبهم بكلمات تكشف عن وعي وصمود ومعرفة كاملة بالمسير والمصير، ومما قاله أهل بيته: (لم نفعل لنبقى بعدك، لا أرانا الله ذلك أبداً) ومما قال بنوا عقيل: (لا والله لا نفعل، ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلنا، قَبِّحَ اللهُ العيش بعدك). ومما قال مسلم بن عوسجة: (أنحن نخلي عنك؟ وما يعذرنا الله في أداء حقك) ومما قال الحنفي: (والله لا نحليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله فيك). وتكلم جم آخر من أصحابه بمثل ذلك في عبارات وكلمات معربة عن الوعي والصمود.

موقف الأسرة

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني الحارث بن كعب وأبو الضحاك عن علي بن الحسين بن علي قال: إني جالس في تلك العشية التي قتل أبي صبيحتها، وعمتي زينب عندي تمرّضني إذ اعتزل أبي بأصحابه في خباء له وعنده حوّي، مولى أبي ذر الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول:

يا دهر أفّ لك من خليل
كم لك بالاشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل
والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل
وكلّ حيّ سالك السبيل

قال: فأعادها مرتين أو ثلاثا حتى فهمتها، فعرفت ما أراد فخنقنتني عبرتي فرددت دمعي ولزمت السكون، فعلمت أن البلاء قد نزل. فأما عمّتي فإنها سمعت ما سمعت وهي امرأة، وفي النساء الرقة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها وإنها لحاسرة حتّى انتهت إليه، فقالت: واثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت فاطمة أمي وعليّ أبي، وحسن أخي، يا خليفة الماضي، وثمان الباقي. قال: فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال: يا أختي، لا يُذهبنّ حلمك الشيطان. قالت: بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله، استقتلت نفسي فذاك، فردّ غصته وترقرقت عيناه وقال: لو ترك القطا ليلا لنام، قالت: يا ويلتي، أفتغصب نفسك اغتصابا، فذلك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي. ولطمت وجهها وأهوت إلى جيبها وشقّته، وخرّت مغشيا عليها، فقام إليها الحسين فصبّ على وجهها الماء وقال لها: يا أختي، اتّقي الله، وتعزّي بعزاء الله، وأعلمي أن أهل الارض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلاّ وجه الله الذي خلق الارض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون وهو فرد وحده، أبي خير منّي، وأمي خير منّي، وأخي خير منّي، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة. قال: فعزّاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أختي، إني أقسم عليك فأبّري قسمي: لا تشقي عليّ جيبا، ولا تخمشي عليّ وجهها، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور، إذا أنا هلكت. قال: ثم جاء بها حتى أجلسها عندي وخرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقربوا بعض بيوتهم من بعض، وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض، وأن يكونوا هم بين البيوت إلاّ الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم.

قال أبو مخنف: عن عبد الله بن عاصم عن الضحاك ابن عبد الله المشرقي، قال: فلما أمسى حسين وأصحابه قاموا الليل كلّهم يصلّون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون، قال: فتمر بنا خيل لهم تحرسنا وإن حسيننا ليقرا: ﴿لا يحسبنّ الذين كفروا أنّما نملي لهم خيرٌ

لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين»^(١) «ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب»^(٢)، فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تحرسنا فقال: نحن ورب الكعبة الطيبون ميزنا منكم، قال: فعرفته فقلت لبرير بن حضير: تدري من هذا؟ قال: لا، قلت: هذا أبو حرب السبيعي، عبد الله بن شهر، وكان مضحكا بطّالا، وكان شريفا شجاعا فاتكأ وكان سعيد بن قيس ربما حبسه في جناية. فقال له برير بن حضير: يا فاسق، أنت يجعلك الله في الطيبين؟ فقال له: من أنت؟ قال: أنا برير بن حضير، قال: إنا لله عزّ عليّ، هلكت والله هلكت والله يا برير. قال: يا أبا حرب، هل لك أن تتوب إلى الله من ذنوبك العظام، فوالله إنا لنحن الطيبون ولكنكم لانتم الخبيثون. قال: وأنا على ذلك من الشاهدين. قلت: ويحك أفلا ينفعك معرفتك، قال: جعلت فداك فمن ينادم يزيد بن عذرة العنزي من عنز بن وائل؟ قال: ها هو ذا معي، قال: قبّح الله رأيك على كل حال، أنت سفيه. قال: ثم انصرف عنا وكان الذي يحرسنا بالليل في الخيل عزرة بن قيس الاحمسي وكان على الخيل.^(٣)

موارد الاعتبار:

١- أنشد الحسين الأبيات الصريحة في التنبؤ بالمستقبل، كما هي طبيعة الدهر الخوان، ففي كلّ يوم صباحاً ومساءً هناك صاحب وهناك قتيل، وهي سنّة الحياة التي أرادها الله سبحانه للخلق، وأعادها مرتين أو ثلاثاً ليبين عمّا في ضميره، وقد تعلقها العائلة كلّ حسب شعوره الشخصي، وكان موقف علي بن الحسين كما قال: (فخنقنتي عبرتي، ولزمت السكوت، وعلمت أن البلاء قد نزل) وأما السيدة زينب فكان موقفها حسب طبيعتها: (فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوها وإنها حاسرة حتى انتهت إليه، فقالت: واثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت فاطمة أمي، وعلي أبي، وحسن أخي، يا

(١) آل عمران: ١٧٨.

(٢) آل عمران: ١٧٩.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣١٨ - ٣١٩.

خليفة الماضي وشمال الباقي...).

٢ - جرت المحادثة التالية بين الحسين وأخته زينب مما يكشف عن دور قيادي قامت به زينب لمواساة أخيها بالاعتبار بتواريخ أهل البيت وصمودهم ومن المحادثة ما يأتي:

الحسين - ناظراً إلى زينب: (ويا أخية لا يذهبنّ حلمك الشيطان).

زينب: (بأبي أنت وأمي يا أبا عبدالله استقتلت، نفسي فداك؟)

الحسين - ترققت عيناه بالدموع: (لو ترك القطا ليلاً لنام).

زينب: (يا ويلتئى أفتغصب نفسك اغتصاباً، فذلك أقرح لقلبي وأشد على نفسي) ولطمت وجهها وأهوت إلى جبينها وشقته وخرت مغشياً عليها.

فقام إليها الحسين فصب على وجهها الماء وقال: يا أخية، اتقي الله، وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله... أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة...).

٣ - وقد وصى الحسين أخته زينب بوصايا تكشف عن السهر والالتزام بالثواب الإسلامية، وهي الوصايا الأخيرة لها بقوله: (يا أخية، أن أقسم عليك، فأبري قسمي): أ - (لا تشقي علي جيباً).

ب - (ولا تخمسي عليّ وجهاً).

ج - (ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت).

وقد أكد الحسين بهذه الوصايا التي وردت في السنّة المطهرة ليؤكد على أهمية الأهداف في الحركة.

٤ - لم تؤثر مواقف الأسرة التي كانت تعبّر عن عواطف عائلية صادقة في أن يستعد الحسين وأصحابه بالالتزام بواجباتهم الأخلاقية والاستعداد لمواجهة العدو (خرج إلى أصحابه) فأمرهم بأمرهم:

أ - أن يقربوا بعض بيوتهم من بعض.

ب - أن يدخلوا الأطناب (الحبال) بعضها من بعض.

ج - أن يكونوا هم بين البيوت إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم.

وبذلك حصّن البيوت وأهل البيت فيها، ووحد الجبهة من جانبه، حيث لا يتمكن العدو من تفريقها، وذلك بجعل المواجهة من جهة واحدة.

٥ - كان موقف الحسين وأصحابه موقف المشتاق إلى لقاء الله (قاموا الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون) حيث لاحت لهم ملامح الشهادة وهي مرحلة أخيرة للاختبار والصمود، ومن أجل ذلك كرّر الحسين قراءة الآية الكريمة: (حتى يميز الخبيث من الطيب)^(١)

٦ - كان جيش العدو يراقب ردود الفعل من جانب الحسين وصحبه بمنتهى الدقة، وكان الحرس ينصت لما يجري في المخيم، ولما قرأ الحسين القرآن، حاول محاولة يائسة لتثبيط العزائم فعلق الحرسى على ذلك: (نحن الطيبون) وطبيعي أن لا يرد عليه الحسين.

٧ - لقد استنكر برير بن خضير من أصحاب الحسين هذا التعليق الساخر، وفي نفس الوقت استغل الفرصة للوعظ والإرشاد لمعرفته بماضي الرجل (كان مضحاكاً بطّالاً شريفاً شجاعاً فاتكاً) ودعاه إلى التكفير عن ماضيه بقوله: (هل لك أن تتوب إلى الله من ذنوبك، فوالله إنا نحن الطيبون وإنكم لأنتم الخبيثون) فلم يجد الحرسى طريقاً سوى الاعتراف بقوله: (وأنا على ذلك من الشاهدين).

الفصل الرابع عاشوراء

مصرع الحسين في كربلاء (١٠ / محرّم / ٦١ هـ)

رواية الطبري:

قال: فلما صلّى عمر بن سعد الغداة يوم السبت - وقد بلغنا أيضاً أنه كان يوم الجمعة، وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء - خرج فيمن معه من الناس.

قال: وعبأ الحسين أصحابه وصلّى بهم صلاة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه، وحبيب بن مظاهر في ميسرة أصحابه، وأعطى رايته العباس بن عليّ أخاه، وجعلوا البيوت في ظهورهم وأمر بحطب وقصب كان من وراء البيوت تحرق بالنار مخافة أن يأتوهم من ورائهم، قال: وكان الحسين عليه السلام أتى بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم منخفض كأنه ساقية فحفروه في ساعة من الليل، فجعلوه كالخندق، ثم ألقوا فيه ذلك الحطب والقصب، وقالوا: إذا عدوا علينا فقاتلونا ألقينا فيه النار كيلاً تؤتى من ورائنا وقاتلنا القوم من وجه واحد، ففعلوا وكان لهم نافعاً.

قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج الكندي عن محمد بن بشر عن عمرو الحضرمي، قال: لما خرج عمر بن سعد بالناس كان على ربع أهل المدينة يومئذ عبد الله بن زهير بن سليم الأزدي، وعلى ربع مذحج وأسد عبد الرحمن بن أبي سبرة الحنفي، وعلى ربع ربيعة وكندة قيس بن الأشعث بن قيس، وعلى ربع تميم وهمدان الحر بن يزيد الرياحي، فشهد هؤلاء كلّهم مقتل الحسين إلّا الحر بن يزيد فإنه عدل إلى الحسين وقتل معه.

وجعل عمر على ميمنته عمرو بن الحجاج الزبيدي، وعلى ميسرته شمر بن ذي

الجوشن بن شرحبيل بن الاعور بن عمر بن معاوية، وهو الضباب بن كلاب، وعلى الخيل
عزرة بن قيس الاحمسي، وعلى الرجال شبت بن ربعي اليربوعي، وأعطى الراية ذويداً
مولاه.

قال أبو مخنف: حدثني عمرو بن مرة الجملي عن أبي صالح الحنفي عن غلام لعبد
الرحمن بن عبد ربه الانصاري قال: كنت مع مولاي، فلما حضر الناس وأقبلوا إلى
الحسين، أمر الحسين بفسطاط فضرب، ثم أمر بمسك فميث في جفنة عظيمة أو صحيفة،
قال: ثم دخل الحسين ذلك الفسطاط فتطلى بالنورة، قال: ومولاي عبد الرحمن بن عبد
ربه وبرير بن حضير الهمداني على باب الفسطاط تحتك مناكبهما فازدحما أيهما يطل
على أثره، فجعل برير يهازل عبد الرحمن فقال له عبد الرحمن: دعنا، فوالله ما هذه بساعة
باطل، فقال له برير: والله لقد علم قومي أنني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً، ولكن والله
إنني لمستبشر بما نحن لاقون، والله إن بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا
بأسيافهم، ولوددت أنهم قد مالوا علينا بأسيافهم. قال: فلما فرغ الحسين دخلنا فاطلينا،
قال: ثم إن الحسين ركب دابته ودعا بمصحف فوضعه أمامه، قال: فاقتتل أصحابه بين
يديه قتالاً شديداً، فلما رأيت القوم قد صرعوا أفلتُ وتركتهم.

قال أبو مخنف: عن بعض أصحابه عن أبي خالد الكاهلي قال: لما صبحت الخيل
الحسين رفع الحسين يديه فقال: اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة،
وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة،
ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك، وشكوته إليك، رغبة مني إليك عمن
سواك، ففرجته وكشفته، فأنت ولي كل نعمة وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة.^(١)

موارد الاعتبار:

١- كان عسكر الحسين يتكوّن من (٧٢) شخصاً محارباً، ٣٣ فارساً، ٤٩ راجلاً، وهذا

العدد بالقياس إلى عسكر العدو البالغ خمسة آلاف محارب - على أقل الفروض - بينما عسكر الحسين البالغ - ٧٢ محارباً على أكثر الفروض - لو أدخل في الحساب النساء والأطفال لم يتعدوا مائة شخص، ولا يمكن لأي إنسان أن يخوض معركة كهذه إلا على أساس مبدئي وعقائدي عالمياً بأن المصير هو الشهادة والفداء.

٢ - خطط الحسين لجيشه العقائدي الصغير بما يعرقل أهداف العدو مهما أمكن، حتى لا يكون الجيش الصغير لقمة سائغة للعدو.

٣ - الجيش الصغير كان مخططاً على ما يستخدمه الجيش آنذاك من الأساليب الحربية، ويتكون من:

أ - الميمنة، وقائدها: زهير بن القين.

ب - الميسرة، وقائدها: حبيب بن مظاهر.

ج - الراية، يحملها العباس، أخو الحسين.

د - المؤخرة، حصّنها بالبيوت وحفر ساقية كالخندق (ألقوا في ذلك الحطب والقصب) لإشعال النار فيها (إذا عدوا علينا فقاتلونا القينا فيه الناري لا نؤتى من ورائنا).

٤ - اهتم الحسين بالنظافة استعداداً للشهادة، وأمر بفسطاط لهذا الغرض، ثم أمر بمسك فميته في جفنة ليتعطر هو وأصحابه بالعطر، ثم تطلّى بالنورة وطبيعي أن يكون بالماء غير الصالح للشرب، ثم تبعه أصحابه إلى الاقتداء به.

٥ - كان في أصحاب الحسين من يمزح مع الآخرين في مثل هذا الظرف مما أثار سخط البعض الآخر الذي لم يقف على نية الهازل، فقال معلقاً: (دعنا، فالله ما هذه ساعة باطل) فأجابه برير بقوله: (والله لقد علم قومي أنني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً، ولكن - والله - إنني لمستبشر بما نحن لاقون...) مما يكشف عن مدى رسوخ الدافع العقائدي في هذه المعركة.

٦ - دعى الحسين بالمصحف (فوضعه أمامه) وربما للمحاجة مع جيش العدو والتذكير به والدعوة إليه.

٧ - دعاء الحسين في ليلة عاشوراء بكثرة يعبر عن الحالة النفسية التي عاشها في تلك

الليلة، وثقته المطلقة بالإيمان بالله والعصمة به من الإنزلاق إلى الحالات التي تدعوا إليها وساوس النفس، ويستفيد منها:

- أ - ضعف الفؤاد، حيث انحصر الخيار بين الإستسلام والدفاع عن النفس.
 - ب - قلة الحيلة، حيث فشلت المفاوضات.
 - ج - خذلان الصديق، حيث أصبح وحيداً بين الأعداء.
 - د - تحشم العدو، حيث فاق عدد في أرض الغربة.
- واختتم دعاءه بالسير على الثواب الإسلامية بقوله: (أنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة) مؤكداً على هويّة الحركة وأهدافها.

استفزاز

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: فحدثني عبد الله بن عاصم قال: حدثني الضحاك المشرقي، قال: لما أقبلوا نحونا فنظروا إلى النار تضطرم في الحطب والقصب الذي كنا ألهبنا فيه النار من ورائنا لئلا يأتونا من خلفنا، إذ أقبل إلينا منهم رجل يركض على فرس كامل الأداة، فلم يكلمنا حتى مرّ على أبياتنا، فنظر إلى أبياتنا فإذا هو لا يرى إلّا حطبا تلتهب النار فيه، فرجع راجعا فنادى بأعلى صوته: يا حسين، استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة؟ فقال الحسين: من هذا، كأنه شمر بن ذي الجوشن؟ فقالوا: نعم، أصلحك الله، هو هو. فقال: يا ابن راعية المعزى، أنت أولى بها صلياً. فقال له مسلم بن عوسجة: يا ابن رسول الله جعلت فداك، ألا أرميه بسهم؟ فانه قد أمكنني، وليس يسقط مني سهم، فالفاسق من أعظم الجبارين، فقال له الحسين: لا ترمه، فإني أكره أن أبدأهم.^(١)

موارد الاعتبار:

أ - قول الحسين: (لا ترمه، فإني أكره أن أبدئهم) موقف إسلامي ثابت؛ فإنه لا يجوز الإعتداء بالرغم من الإستفزازات التي كان يقوم بها جيش العدو؛ لاستدراجهم إلى الإعتداء حتى يؤخذ عليهم ذلك.

ب - يظهر أن خطة العدو كان الهجوم على مخيم الحسين من كل جانب، فلما وجد شمر التحصن من المؤخرة بالخندق الملتهب بالنار فشلت خطة العدو واضطروا إلى المواجهة من الإمام فقط.

ج - استخدم شمر الحرب النفسية بقوله: (استعجلت النار) لإثباط عزيمة الحسين وأصحابه من جانب، ودفعهم إلى البدء بالحرب ليؤخذ عليهم ذلك، وقد قوت الحسين هذه الفرصة عليهم بضيق النفس.

د - إنضباط أصحاب الحسين إنضباطاً عسكرياً رائعاً، فلم يؤخذوا بالعواطف، فإنّ مسلم بن عوسجة - بالرغم من إستفزاز العدو - استأذن الحسين للرمي، وأظهر وجهة نظره الشخصية بقوله:

أ - (الا أرميه بسهم؟) مستأذناً.

ب - (فإنه قد أمكنتني)، معبراً عن علمه بنجاح العملية.

ج - (وليس يسقط مني سهم) مؤكّداً على إصابة الهدف.

د - (فالفاسق من أعظم الجبارين)، مبيّناً استحقاقه الرمي.

وحيث أن الحسين لم يأذن له بذلك، رضى لأوامر الامام؛ لعلمه بقيادة الحسين الحكيمة.

خطبة الحسين

رواية الطبري:

وكان مع الحسين فرس له يدعى لاحقاً، حمل عليه ابنه عليّ بن الحسين، قال: فلما دنا منه القوم عاد براحلته فركبها ثم نادى بأعلى صوته دعاءً يسمع جلّ الناس: أيها

الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى أعظمكم بما لحقَّ لكم عليّ، وحتىّ أعندر اليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتُموني النصف كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا منّي العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم ﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إليّ ولا تنظروا﴾^(١) ﴿إن وليّ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾^(٢). قال: فلما سمع أخواته كلامه هذا صحن وبكين، وبكى بناته فارتفعت أصواتهن، فأرسل إليهن أخاه العباس بن عليّ وعليّاً ابنيه وقال لهما: أسكتاهنّ، فلمعري ليكثرن بكاهنّ، قال: فلما ذهبا ليسكتاهن قال: لا يبعد ابن عباس، قال: فظننا أنه إنما قالها حين سمع بكاهنّ؛ لانه قد كان نهاه أن يخرج بهنّ، فلما سكتن حمد الله وأثنى عليه، وذكر الله بما هو أهله وصلى على محمّد صلى الله عليه وعلى ملائكته وأنبياؤه، فذكر من ذلك ما الله أعلم وما لا يحصي ذكره، قال: فوالله ما سمعت متكلّماً قط قبله ولا بعده أبلغ في منطق منه، ثم قال: أما بعد، فانسبوني، فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يحل لكم قتلي، وانتهاك حرمتي؟ ألسنت ابن بنت نبيكم ؟ وابن وصيّته، وابن عمه، وأول المؤمنين بالله، والمصدّق لرسوله بما جاء به من عند ربه، أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أو ليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي؟ أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لي ولاخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟ فإن صدّقتموني بما أقول وهو الحق - والله ما تعمدت كذبا مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ويضرب به من اختلقه - وإن كذبتُموني فإن فيكم من إن سألتُموه عن ذلك أخبركم؛ سلوا جابر بن عبد الله الانصاري، أو أبا سعيد الخدري، أو سهل بن سعد الساعدي، أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولاخي. أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟ فقال له شمر بن ذي الجوشن: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول، فقال له حبيب بن مظاهر: والله إني لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا

أشهد أنك صادق، ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك. ثم قال لهم الحسين: فإن كنتم في شك من هذا القول، أفتشكون أثر ما أني ابن بنت نبيكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم، أنا ابن بنت نبيكم خاصة، أخبروني: أطلبوني بقتيل منكم قتلته؟ أو مال لكم استهلكته؟ أو بقصاص من جراحة؟ قال: فأخذوا لا يكلمونه. قال: فنادى يا شيث بن ربعي، ويا حجار بن أبجر، ويا قيس ابن الاشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إلي أن قد أينعت الثمار، واخضرّ الجنباب، وطمّت الجمام، وإنما تقدم على جندك لك مجنّد، فأقبل؟ قالوا له: لم نفعل. فقال: سبحان الله، بلى والله لقد فعلتم، ثم قال: أيها الناس إذ كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الارض، قال: فقال له قيس بن الاشعث: أو لا تنزل على حكم بني عمك؟ فإنهم لن يروك إلا ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه، فقال له الحسين: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل، لا والله، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ اقرار العبيد، عباد الله ﴿إني عذت بربي وربكم أن ترجمون﴾^(١) ﴿أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب﴾^(٢) قال: ثم إنه أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمعان فعقلها، وأقبلوا يزحفون نحوه.^(٣)

موارد الاعتبار:

١ - قابل الحسين وأصحابه استفزازات العدوّ بسلسلة من الخطب لعلمهم بالتضليل السائد على جيش العدوّ والواجب الإسلامى يحثّ التوجيه وإتمام الحجة حتى يكونوا على بصيرة من الواقع.

٢ - كان أسلوب خطبة الحسين بأن نادى بأعلى صوته حتى يسمع كل الناس، فإذا علمنا أن جيش العدوّ كان مكوناً من خمسة آلاف محارب والحسين بوحده لا يمكنه أن

(١) الدخان: ٢٠.

(٢) اقتباس من سورة المؤمن، الآية: ٢٧.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٢ - ٣٢٣.

يوصل صوته إليهم جميعاً، ولكن كان جلّ الناس هم الذين أحاطوا بمخيم الحسين قادرين على سماع صوته بهذا الأسلوب.

٣- قدّم الحسين الخطبة بعدة طلبات تكشف عن خطط العدو:

أ- (اسمعوا قلبي) فإنه بعد أن يسمعوا قول الحسين يتبين تضليل العدو.

ب- (لا تعجلوني) فإن العدو يريد إنهاء المعركة عاجلاً.

ج- (حتى أعظكم مما يحق لكم علي) فيكون الوعظ؛ لعلمه بالمواقف والأهداف.

د- (حتى اعتذر إليكم من مقدمي) ببيان لواقع الحال من وجهة نظره.

هـ- (إن قبلتم عذري... كنتم بذلك أسعد) فإن المصلحة لهم لا للحسين.

و- (وإن لم تقبلوا مني العذر... فاجمعوا أمركم، ثم لا يكون عليكم غمّة ثم اقضوا) فإنّ

هذا على النقيض مما يريده جيش العدو وهو التوقيع على ورقة بيضاء من دون أي سماع للدعوى، أو دفاع عن النفس، أو عن الحق، وهذا لم يسبق له نظير في الحكم الإسلامي من السيرة النبوية.

٤- تضمّنت الخطبة نقاط تكشف عن دعايات العدو:

أ- (الحمد والصلاة) وهي ثوابت إسلامية، ولم تذكر رواية الطبري نصوصها سوى القول: (فذكر من ذلك ما الله أعلم وما لا يحصى ذكره).

ب- (فانسبوني، فانظروا من أنا؟) وبذلك عرّف نفسه ونسبته بكل من سبق من أسرته من أمه وأبيه وعمه وأخيه.

ج- (إن كذّبتموني فأسألو من يعلم) وهذه ثابتة إسلامية، وقد قال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون﴾، وعدّ الحسين أسماء جمع ممّن يعلم ذلك، وهذا يكشف عن علمه بوجوه المشاركين في جيش العدو.

د- (أخبروني، أطلبوني بقتل منكم قتلته؟) فإنّ الأسباب الموجبة للقتل معروفة في الإسلام.

هـ- (أم مال لكم استهلكته) فلم يكن بين الحسين وجيش العدو شيئاً خاصاً.

و- (أو بقصاص في جراحة) فإنّ الحسين لم يبدأ الحرب حتى يوجب القصاص.

ثم ختم خطبته بقوله: (لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ إقرار العبيد).

٥ - كان جيش العدو يقاطع خطبة الحسين حتى لا يتمكن من أداء رسالته، منها قول شمر: (هو يعبد الله على حرف) وكان الحسين لا يعتني بهذه المقاطعات، بل كان يستمر في خطبته.

٦ - وحيث لم يجد الحسين جواباً ولم يتمكن جيش العدو من مقاطعته (فأخذوا لا يكلمونه) فأخذ الحسين يخاطب جمعاً خاصاً بالإسم من الذين دعوه إلى الكوفة، وقال: (ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار وأخضر الجنباب وإنما تقدم على جندٍ لك، فأقبل) قالوا له: (لم نفعل) وعلّق الحسين على ذلك بقوله: (سبحان الله، بلى والله لقد فعلتم).

٧ - كشف الحسين في خطبته ومحدثته عن طبيعة هؤلاء الذين أجابوه بالنفي واقترحوا عليه بقولهم: (ألا تنزل على حكم بني عمّك؛ فإنهم لن يروك إلّا ما تحبّ، ولن يصل إليك منهم مكروه) وكان قد قدم هذا الاقتراح قيس بن الأشعث، وهو أحد الذين كتبوا إلى الحسين. فأجابه الحسين بما يكون به الاعتبار بكشف مواقفهم الكاذبة في الحاضر، النابعة من ماضيهم والملوّحة لكذب مواعيدهم في المستقبل، بأمور:

أ - أن محمد بن الأشعث كان قد أمّن مسلم بن عقيل ثم سلّمه إلى ابن زياد وقتل.
ب - أنه أعطى الأمان لمسلم ثم خذله.

ج - أن الماضي كشف عن المواعيد الكاذبة لهذا الرجل بالذات الذي كذّب الحسين في دعوته إلى الكوفة، وهو الآن يعطي المواعيد الكاذبة في المستقبل.

٨ - كان الحسين استخدم الناقة للخطبة ولم يستخدم الفرس وتبعه ابنه على على الفرس (يدعى لاحقاً) ولم يذهب بمفرده، ويظهر أن السبب في ذلك أن يكون في موقع أعلى حتى يراه الجيش ويسمع كلامه، واستصحب ابنه ليكون رسولاً لتوفير ما قد تفتقر إليه المحاجة من المستندات والشواهد.

خطبة زهير

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: فحدثني عليّ بن حنظلة بن أسعد الشامي، عن رجل من قومه شهد مقتل الحسين حين قتل يقال له: كثير بن عبد الله الشعبي، قال: لما زحفنا قبل الحسين خرج إلينا زهير بن القين على فرس له ذنوب شاك في السلاح، فقال: يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله نذار، إن حقا على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن إخوة، وعلى دين واحد وملة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا أمة وأنتم أمة، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد، فإنكم لا تدركون منهما إلا بسوء عمر سلطانهما كله، ليسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أمثالكم وقراءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه، وهاني بن عروة وأشباهه. قال: فسبّوه وأثنوا على عبيد الله بن زياد ودعوا له، وقالوا: والله لا نبرح حتى تقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله سلما فقال لهم: عباد الله، إن ولد فاطمة رضوان الله عليها أحقّ بالود والنصر من ابن سمية، فإن لم تنصروهم فأعيذكُم بالله أن تقتلوه، فخلّوا بين هذا الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية، فلعمري إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين. قال: فرماه شمر بن ذي الجوشن بسهم وقال: اسكت أسكت، الله نأمتك، أبرمتنا بكثرة كلامك. فقال له زهير: يا ابن البوّال على عقبيه، ما إياك أخاطب، إنما أنت بهيمة، والله ما أظنك تُحكّم من كتاب الله آيتين، فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الاليم، فقال له شمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة، قال: أفبألموت تخوّفني، فوالله للموت معه أحب إليّ من الخلد معكم. قال: ثم أقبل على الناس رافعا صوته فقال: عباد الله لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه، فوالله لا تنال شفاعته محمد قوما هراقوا دماء ذريته وأهل بيته، وقتلوا من نصرهم وذبّ عن حريمهم. قال: فناده رجل فقال له: إن أبا عبد الله يقول لك أقبل، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون

نصح لقومه وأبلغ في الدعاء لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والابلاغ^(١).

موارد الاعتبار:

١ - خطب زهير وهو مسلّح كاملاً (شاكّ في السلاح) استعداداً لأية مفاجئة وابتدأ بالنصيحة بقوله: (إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم) مؤكداً على نقاط مشتركة بين الجانبين:

أ - (نحن حتى الآن أخوة)

ب - (على دين واحد).

ج - (وملّة واحدة).

ثم عقّبها بنصيحته: (ما لم يقع بيننا وبينكم السيف... وإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمة وأنتم أمة).

٢ - حذّر زهير من مستقبل حكم ابن زياد ويزيد الذي ليس هو إلا سوء السلطان وذكر النقاط التالية:

أ - (يسملان أعينكم).

ب - (يقطعان أيديكم وأرجلكم).

ج - (يمثلان بكم).

د - (يرفعانكم على جذوع النخل).

هـ - (يقتلان أمثالكم وقرنائكم).

ثم استشهد على هذا التنبؤ بالتاريخ الذي مضى بالنسبة إلى حجر بن عدي وأصحابه.

٣ - إن دعوة حسين بقوله: (إن لم تنصروهم فأعيذكُم بالله أن تقتلوهم، فخلّوا بين هذا الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية) يكشف عن أن جيش العدو كان منقسماً على نفسه، ولما وجد الجانب المتشدد في الجيش تأثير خطبة زهير، رماه شمر بسهم وقال:

(أبرمتنا بكثرة كلامك) وأراد شمر بذلك منع الإنشقاق في الجيش.

٤- إنَّ الحسين رأى أنَّ قيادة جيش العدو مصممة على قتله وأصحابه، فلم يكن هناك مجال للنصيحة، فأرسل رسولا لزهير قائلاً: (أقبل... لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والبلاغ).

٥- ولم يعتبر الحسين السهم الذي رماه شمر ايدانا ببداية الحرب باعتبار أنه لم يصدر من آمر قيادي كعمر بن سعد، إذ كان بالإمكان الاعتذار بأنه كان تصرفاً شخصياً من شمر.

توبة الحرّ

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: عن أبي جناب الكلبي عن عدي بن حرملة قال: ثم إنَّ الحرَّ بن يزيد لما زحف عمر بن سعد قال له: أصلحك الله! مقاتل أنت هذا الرجل؟ قال: إي والله، قتالا أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي، قال: أفما لكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضاء؟ قال عمر بن سعد: أما والله لو كان الامر إليّ لفعلت، ولكن أميرك قد أبى ذلك. قال: فأقبل حتى وقف من الناس موقفاً معه رجل من قومه يقال له: قرة بن قيس فقال: يا قرة هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا، قال: إنما تريد أن تسقيه؟ قال: فظننت والله أنه يريد أن يتنحى فلا يشهد القتال، وكره أن أراه حين يصنع ذلك فيخاف أن أرفعه عليه، فقلت له: لم أسقه وأنا منطلق فساقيه، قال: فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه قال: فوالله لو أنه أطلعني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين، قال: فأخذ يدنو من حسين قليلاً قليلاً، فقال له: رجل من قومه يقال له: المهاجر بن أوس، ما تريد يا ابن يزيد، أتريد أن تحمل؟ فسكت وأخذه مثل العرواء، فقال له: يا ابن يزيد، والله إنَّ أمرك لمريب، والله ما رأيت منك في موقف قط مثل شيء أراه الآن، ولو قيل لي من أشجع أهل الكوفة رجلاً ما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟ قال: إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار، والله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وحرقت، ثم ضرب فرسه فلحق بحسين عليه السلام، فقال له: جعلني الله فداك يا ابن رسول الله، أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع

وسايرتك في الطريق وجعجعت بك في هذا المكان، والله الذي لا إله إلا هو ما ظننت أن القوم يردّون عليك ما عرضت عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، فقلت في نفسي: لا أبالي أن أطيع القوم في بعض أمرهم ولا يرون أنني خرجت من طاعتهم، وأما هم فسيقبلون من حسين هذه الخصال التي يعرض عليهم، والله لو ظننت أنهم لا يقبلونها منك ما ركبته منك، وإنني قد جئتكم تائباً مما كان منّي إلى ربي ومواسياً لك بنفسي حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك توبة؟ قال: نعم، يتوب الله عليك، ويغفر لك، ما اسمك؟ قال: أنا الحر بن يزيد. قال: أنت الحرّ كما سمّتك أمّك، أنت الحرّ إن شاء الله في الدنيا والآخرة، انزل. قال: أنا لك فارساً خيراً منّي راجلاً، أقاتلهم على فرس ساعة وإلى النزول ما يصير آخر أمري. قال الحسين: فاصنع يرحمك الله ما بدا لك، فاستقدم أمام أصحابه ثم قال: أيها القوم، ألا تقبلون من حسين خصلة من هذه الخصال التي عرض عليكم فيعافىكم الله من حربه وقتاله، قالوا: هذا الأمير عمر بن سعد فكلّمه، فكلّمه بمثل ما كلّمه به قبل، وبمثل ما كلّم به أصحابه، قال عمر: قد حرصت لو وجدت إلى ذلك سبيلاً فعلت، فقال: يا أهل الكوفة لا مكّم الهبل والعبر إذ دعوتموه حتى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه، أمسكتكم بنفسه وأخذتم بكظمه وأحطتم به من كل جانب فمنعتموه التوجّه في بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته، وأصبح في أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع ضراً، وحلّأتموه ونساءه وصبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهودي والمجوسي والنصراني، وتمرّغ فيه خنازير السواد وكلابه، وهاهم قد صرّعهم العطش، بئسما خلفتم محمداً في ذريته، لا سقاكم الله يوم الظمّ إن لم تتوبوا وتنزعوا عمّا أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه، فحملت عليه رجالة لهم ترميه بالنبل، فأقبل حتى وقف أمام الحسين.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - لم يتصور الحر - وربما لم يكن وحيداً في ذلك - أنَّ السياسة الحقيقية هي قتل الحسين باعتباره رمزاً للمعارضة، فأراد الحر التأكد من ذلك، حيث سأل قائد جيش العدو، (أصلحك الله، أمقائل أنت هذا الرجل؟) وتعجّب من جواب القائد بالإثبات، فسأل مرة أخرى: «أمالكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضى؟» فأجابه القائد: (أما والله لو كان الأمر لي لفعلت، ولكن أميرك قد أبى ذلك) فانكشفت له السياسة الحقيقية.

٢ - إنَّ قرار الحر بالالتحاق بالحسين بصورة سرية كان خشية من القضاء عليه من قبل جيش العدو بتهمة الخيانة، واستخدم حجة السقي لفرسه، وقد كان لهذا الإيهام أثر في لحوقه بالحسين بسلامة.

٣ - كان لقاء الحر بالحسين لقاءً عاطفياً يكشف عن تجربة شخصية تقدمت منه مع الحسين وقد ساهم في صد الحسين منذ الثاني من محرم وراقب تصرفاته الشخصية في نفسه وأصحابه، وقارن ذلك بتصرفات أصحاب الجيش فوجد نفسه المسؤول مخاطباً للحسين: «أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع... وإني قد جئتكَ تائباً... فترى ذلك لي توبة».

٤ - تلقاه الحسين في هذه اللحظة الحاسمة بقوله: (نعم، يتوب الله عليك ويغفر لك) وتقدم اليه بالنزول ولكن الحر بحكم خبرته العسكرية رأى أن الوقت ليس وقت المجاملات، بل أداء الدور المسؤول فقام بدور النصيحة بخطبة موجهة إلى جيش العدو الذي كان هو قبل دقائق واحداً منهم.

٥ - خطبة الحر تضمنت النقاط التي سبقت من غيره، وكشفت عن التناقضات في أفعال قادة الجيش من جانب، التي تبنت سياسة مدروسة، وبين عامة الجيش المضلل، ووجه خطابه للجيش دون القيادة بقوله: (يا اهل الكوفة، لأمكم الهبل والعبر) ثم سرد النقاط التالية:

أ - (إذ دعوتموه ثم إذا أتاكم أسلمتموه).

ب - (وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه).

ج - (وَأَمْسَكْتُمْ بِنَفْسِهِ).

د - (وَأَخَذْتُمْ بِكَظْمِهِ).

هـ - (وَأَحْطَمْتُمْ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَنَعْتَمُوهُ التَّوَجُّهَ إِلَى بِلَادِ اللَّهِ الْعَرِيضَةِ حَتَّى يَأْمَنَ وَيَأْمَنَ أَهْلُ بَيْتِهِ).

و - (أَصْبَحَ فِي أَيْدِيكُمْ كَالْأَسِيرِ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا يَدْفَعُ ضَرًّا).

ز - (حَالَتْ مُوهُ وَنَسَاءُهُ وَصَبِيَّتُهُ وَأَصْحَابُهُ عَنْ مَاءِ الْفَرَاتِ الَّذِي يَشْرِبُهُ الْيَهُودِيُّ وَالْمَجُوسِيُّ وَالنَّصْرَانِيُّ وَتَتَمَرَّغُ فِيهِ خَنَازِيرُ السَّوَادِ وَكَلَابُهُ).

ح - (وَهَا هُمْ قَدْ صَرَعَهُمُ الْعَطَشُ).

(فَبُئْسَ مَا خَلَقْتُمْ مُحَمَّدًا فِي ذُرِّيَّتِهِ لَا سَقَاكُمْ يَوْمَ الظُّمَأِ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا...).

فلم يكن جواب جيش العدو لخطبة الحرّ سوى أن (حملت عليه الرجالة ترميه بالنبل).

٦ - تعتبر خطبة الحر هي الخطبة الثالثة في يوم عاشوراء بعد خطبة الحسين وخطبة زهير، وبعد هذا الجهد في النصح ظهر بوضوح أنه لا فائدة من تكرار النصيحة، كما في قصة موسى والخضر؛ فإن السياسة الواضحة في جيش العدو كانت القضاء على الحسين وأصحابه.

بدء الحرب

رواية الطبري:

قال أبو مخنف عن الصقعب بن زهير وسليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال: وزحف عمر بن سعد نحوهم ثم نادى: يا ذؤيد أدن رايتك. قال: فأدناها ثم وضع سهمه في كبد قوسه ثم رمى، فقال: اشهدوا أنني أول من رمى.^(١)

موارد الاعتبار:

١- قرر ابن سعد بإعتباره قائد جيش العدو بدأ الحرب حيث قال: (إشهدوا أنني أول من رمى) وذلك بعد خطبة الحر مباشرة، ويظهر أنه خشي من تأثير خطبة الحر الذي التحق بالحسين قريباً. في أن يلتحق من سائر أفراد الجيش، وأراد أن يضع حداً يمنع من ذلك.

٢- أعلن ابن سعد هذا القرار إعلاناً عاماً حيث قال: (ونادى يا زويد أدني رايتك) وكان بإمكانه أن يفعل ذلك من دون نداء، وربما خشية إتهام شمر إياه بالتواني ومن ثم توليه رئاسة الجيش.

٣- الحسين كان متوقعاً لموقف كهذا، فلم تكن بالنسبة إليه مفاجئة قط، ولم يبق له من خيار سوى الاستسلام أو المبارزة، وأخذت المبارزة دورين: دور المبارزة لأصحاب الحسين، ودور الحملة الجماعية.

مبارزة الكلبي

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب قال: كان منا رجل يدعى عبد الله بن عمير من بني عليم، كان قد نزل الكوفة واتخذ عند بئر الجعد من همدان داراً، وكانت معه امرأة له من النمر بن قاسط يقال لها: أم وهب بنت عبد، فرأى القوم بالنخيلة يعرضون ليسرحوا إلى الحسين قال: فسأل عنهم؟ ف قيل له: يسرحون إلى حسين بن فاطمة بنت رسول الله ، فقال: والله لو قد كنت على جهاد أهل الشرك حريصاً، وإنني لأرجو أن يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيهم أيسر ثواباً عند الله من ثوابه إياي في جهاد المشركين، فدخل إلى امرأته فأخبرها بما سمع وأعلمها بما يريد فقالت: أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك، افعل وأخرجني معك. قال: فخرج بها ليلاً حتى أتى حسينا، فأقام معه، فلما دنا منه عمر بن سعد ورمى بسهم ارتمى الناس، فلما ارتموا خرج يسار مولى زياد بن أبي سفيان وسالم مولى عبيد الله بن زياد فقالا: من يبارز، ليخرج إلينا بعضكم. قال: فوثب حبيب بن مظاهر وبربر بن حضير فقال لهما حسين: اجلسا، فقام عبد الله بن عمير الكلبي فقال: أبا عبد

الله، رحمك الله ائذن لى فلاأخرج اليهما، فرأى حسين رجلا آدم، طويلا، شديد الساعدين، بعيد ما بين المنكبين، فقال حسين: إني لا حسبه للاقران قتالا، اخرج إن شئت. قال: فخرج اليهما، فقالا له: من أنت؟ فانتسب لهما، فقالا: لا نعرفك، ليخرج الينا زهير بن القين أو حبيب بن مظاهر أو برير بن حُصير، ويسار مستنتل أمام سالم، فقال له الكلبى: يا ابن الزانية وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس، ويخرج اليك أحد من الناس إلا وهو خير منك، ثم شدّ عليه فضربه بسيفه حتى برد؛ فإنه لمشتغل به يضربه بسيفه إذ شدّ عليه سالم، فصاح به: قد رهقك العبد، قال: فلم يأبه له حتى غشيه فبدره الضربة، فاتقاء الكلبى بيده اليسرى فأطار أصابع كفه اليسرى، ثم مال عليه الكلبى فضربه حتى قتله، وأقبل الكلبى مرتجزا وهو يقول وقد قتلها جميعا:

حسبى بيتى فى عليم حسبى	إن تنكرونى فأنا ابن كلب
ولست بالخوار عند النكب	إنى امرؤ ذو مرة وعصب
بالطعن فيهم مقدما والضرب	إنى زعيم لك أم وهب

ضرب غلام مؤمن بالرب

فأخذت أم وهب امرأته عموداً، ثم أقبلت نحو زوجها تقول له: فداك أبى وأمى، قاتل دون الطيبين ذرية محمد، فأقبل إليها يردّها نحو النساء، فأخذت تجاذب ثوبه ثم قالت: إني لن أدعك دون أن أموت معك، فناداها حسين فقال: جزيتم من أهل بيت خيرا، إرجعي رحمك الله إلى النساء فاجلسي معهن؛ فانه ليس على النساء قتال. فانصرفت اليهن.

قال: وحمل عمرو بن الحجاج وهو على ميمنة الناس في الميمنة، فلما أن دنا من حسين جثوا له على الركب وأشرعوا الرماح نحوهم، فلم تقدم خيلهم على الرماح، فذهبت الخيل لترجع، فرشقوهم بالنبل فصرعوا منهم رجالا، وجرحوا منهم آخرين^(١).

موارد الاعتبار:

١ - كان أول المبارزين من أصحاب الحسين عبدالله الكلبى، وكان قد خرج هو وزوجته أم وهب ليلاً إلى الحسين بالرغم من الرقابة الشديدة التي كانت من قبل جيش العدو تجاه حركات الناس لنصرة الحسين.

٢ - أرسل عمر بن سعد رجلين من موالى أبي سفيان هما: يسار مولى زياد، وسالم مولى ابن زياد، فقالا مخاطبين معسكر الحسين: (من يياز، ليخرج إلينا بعضكم) وفي إختيار عمر بن سعد هذين للمبارزة دالتين: ١ - أنه هو بالذات يطلب المبارزة باعتباره قائد جيش العدو. ٢ - وأن هاذين كان لهم دور في الحروب في عهد على وابنه الحسن وانهما لا يزالان يساهمان على نفس الخط في عهد الحسين.

٣ - أن عمر كان يتوقع أن يخرج أحد الشخصيات الكبار من أصحاب الحسين، فيكون الرجحان في جانبه لمحاربة اثنين ضد واحد.

٤ - كان الكلبى كفواً لمحاربة الرجلين (كان رجلاً آدم، طويلاً، شديد الساعدين، بعيد ما بين المنكبين) فجعل الحسين له الخيار بقوله: (إني لأحسبه للأقران قتلاً، أخرج ان شئت).

٥ - لم يتوقع عمر ولا يسار ولا سالم خروج الكلبى وظهرت الروح الطبقية في هاذين بالذات حيث سألاه من أنت؟ فانتسب لهم، فقالا: لا نعرفك وطالبا بخروج أشخاص معروفين عندهم من أصحاب الحسين، وقابل الكلبى هذه الروح القبلية بالاستحقار مؤكداً على تساوي الناس؛ لوحدة الأهداف وخاصة في ساحة الحرب هذه بقوله: (وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس).

٦ - قضى الكلبى بمفرده على الإثنين في المبارزة وقتلها جميعاً، مؤكداً على هدفه بنصرة العقيدة والمبدأ بقوله: (ضرب غلام مؤمن بالرب) مستهيناً بالروح القبلية.

٧ - منع الحسين زوجة الكلبى أم وهب من المشاركة في الحرب لمساعدة زوجها؛ مؤكداً على الثابتة الإسلام (ليس على النساء قتال).

دعوةٌ مستجابة

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: فحدثني حسين أبو جعفر قال: ثم إن رجلا من بني تميم يقال له: عبد الله بن حوزة جاء حتى وقف امام الحسين فقال: يا حسين يا حسين، فقال حسين: ما تشاء؟ قال: أبشر بالنار، قال: كلا، إني أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع، من هذا؟ قال له أصحابه: هذا ابن حوزة، قال: رب حزه إلى النار. قال: فاضطرب به فرسه في جدول فوق فيه، وتعلقت رجله بالركاب ووقع رأسه في الارض، ونفر الفرس، فأخذه يمرّ به فيضرب برأسه كل حجر وكل شجرة حتى مات.

قال أبو مخنف: وأما سويد بن حية فزعم لي أن عبد الله بن حوزة حين وقع فرسه بقيت رجله اليسرى في الركاب وارتفعت اليمنى فطارت، وعدا به فرسه يضرب رأسه كل حجر وأصل شجرة حتى مات.

قال أبو مخنف: عن عطاء بن السائب عن عبد الجبار بن وائل الحضرمي عن أخيه مسروق بن وائل قال: كنت في أوائل الخيل ممن سار إلى الحسين، فقلت: أكون في أوائلها لعلّي أصيب رأس الحسين، فأصيب به منزلة عند عبيد الله بن زياد، قال: فلما انتهينا إلى حسين تقدّم رجل من القوم يقال له: ابن حوزة، فقال: أفيكم حسين؟ قال: فسكت حسين، فقالها ثانية فأسكت حتى إذا كانت الثالثة قال: قولوا له: نعم هذا حسين، فما حاجتك؟ قال: يا حسين أبشر بالنار، قال: كذبت، بل أقدم على رب غفور وشفيع مطاع، فمن أنت؟ قال: ابن حوزة، قال: فرفع الحسين يديه حتى رأينا بياض إبطيه من فوق الثياب ثم قال: اللهم حزه إلى النار. قال: فغضب ابن حوزة فذهب ليقحم إليه الفرس وبينه وبينه نهر قال: فعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس فسقط عنها، قال: فانقطعت قدمه وساقه وفخذه وبقي جانبه الآخر متعلقا بالركاب، قال: فرجع مسروق وترك الخيل من ورائه، قال: فسأله فقال: لقد رأيت من أهل هذا البيت شيئا لا أقاتلهم أبدا قال: ونشب القتال^(١).

موارد الاعتبار:

١ - كلام ابن حوزة مخاطباً الحسين بقوله: (أبشر بالنار) استهدف تشبيط عزيمة الحسين لرفضه الإستسلام، والحسين من جانبه أكد على رؤيته الواضحة في هذه المسيرة بقوله: (ربّ مطاع) حيث أن الطاعة ليست إلا لله.

٢ - حيث أن ابن حوزة لم يبادر للإعتداء باليد بل اعتدى على الحسين باللسان، عامله الحسين بالمثل، فدعى عليه بما يشق من اسمه قاتلاً: (ربّي حزه إلى النار) وقد استجاب الله دعوة الحسين (فأضرب فرسه وتعلقت رجله بالركاب... فأخذ يمرّ به فيضرب رأسه كلّ حجر وكلّ شجر حتى مات).

٣ - مقالة مسروق بن وائل تكشف عن روحية مادية صرفة في جيش العدو (لعلّي أصيب رأس الحسين فأصيب به منزلة عند عبيد الله بن زياد) فهو جيش مادي مسترزق، وليس مبني على أية عقيدة ثابتة، والحسين لم يستجب لندائه الاول والثاني، بل في المرة الثالثة قال: (قولوا له: نعم، هذا حسين، فما حاجتك؟).

مبارزة برير

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: وحدثني يوسف بن يزيد عن عفيف بن زهير بن أبي الاخنس - وكان قد شهد مقتل الحسين - قال: وخرج يزيد بن معقل من بني عميرة بن ربيعة، وهو حليف لبني سليمة من عبد القيس، فقال: يا برير بن حضير، كيف ترى الله صنع بك؟ قال: صنع الله والله بي خيراً، وصنع الله بك شراً. قال: كذبت، وقبل اليوم ما كنت كذاباً، هل تذكر وأنا أماشيكي في بني لوزان وأنت تقول: ان عثمان بن عفان كان على نفسه مسرفاً، وان معاوية بن أبي سفيان ضالّ مضلّ، وأنّ امام الهدى والحق عليّ بن أبي طالب؟ فقال له برير: اشهد أن هذا رأيي وقولي، فقال له يزيد بن معقل: فاني أشهد أنك من الضالين، فقال له برير بن حضير: هل لك فلا بأهلك ولندع الله أن يلعن الكاذب، وأن يقتل المبطل، ثم اخرج فلا بارزك، قال: فخرجا فرفعا أيديهما إلى الله يدعوانه أن يلعن الكاذب وأن يقتل المحق

المبطل، ثم برز كل واحد منهما لصاحبه، فاختلفا ضربتين، فضرب يزيد بن معقل برير بن حضير ضربة خفيفة لم تضره شيئا، وضربه برير بن حضير ضربة قدت المغفر وبلغت الدماغ، فخر كأنما هوى من حالق، وإن سيف ابن حضير لثابت في رأسه، فكأنني أنظر إليه ينفضه من رأسه، وحمل عليه رضي بن منقذ العبدى فاعتنق بريرا فاعتركا ساعة، ثم ان بريرا قعد على صدره، فقال رضي: أين أهل المصاع والدفاع؟ قال: فذهب كعب بن جابر بن عمرو الازدي ليحمل عليه، فقلت: إن هذا برير بن حضير القاري الذي كان يقرئنا القرآن في المسجد، فحمل عليه بالرمح حتى وضعه في ظهره، فلما وجد مس الرمح، برك عليه فعض بوجهه وقطع طرف أنفه، فطعنه كعب بن جابر حتى ألغاه عنه وقد غيب السنان في ظهره، ثم أقبل عليه يضربه بسيفه حتى قتله. قال عفيف: كاني أنظر إلى العبدى الصريع قام ينفض التراب عن قبائه ويقول: أنعمت علي يا أخا الازد نعمة لن أنساها أبدا، قال: فقلت: رأيت هذا؟ قال: نعم، رأي عيني وسمع أذني، فلما رجع كعب بن جابر قالت له امرأته أو أخته النوار بنت جابر: أعنت على ابن فاطمة وقتلت سيّد القراء، لقد أتيت عظيما من الامر، والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبدا، وقال كعب بن جابر:

سلي تخبري عني وأنت ذميمة	غداة حسين والرماح شوارع
ألم آت أقصي ما كرهت ولم يخل	علي غداة الروع ما أنا صانع
معي يزني لم تخنه كعوبه	وأبيض مخشوب الغرايين قاطع
فجردته في عصبة ليس دينهم	بديني وإني بابن حرب لقانع
ولم تر عيني مثلهم في زمانهم	ولا قبلهم في الناس إذ أنا يافع
أشدّ قراعا بالسيوف لدى الوغا	ألا كل من يحمي الذمار مقارع
وقد صبروا للطعن والضرب حسرا	وقد نازلوا لو أن ذلك نافع
فأبلغ عبيدالله إما لقيته	بأنني مطيع للخليفة سامع
قتلت بريرا ثم حملت نعمة	أبا منقذ لما دعا: من يماصع؟

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب قال: سمعته في إمارة مصعب ابن الزبير

وهو يقول:

يا رب إنا قد وفينا فلا
تجعلنا يا رب كمن قد غدر
فقال له أبي: صدق، ولقد وفى وكُرم وكسبت لنفسك سوءاً، قال: كلا إني لم أكسب
لنفسي شراً، ولكني كسبت لها خيراً، قال: وزعموا أن رضي بن منقذ العبدى ردّ بعد على
كعب بن جابر جواب قوله فقال:

لو شاء ربّي ما شهدت قتالهم
ولا جعل النعماء عندي ابن جابر
لقد كان ذاك اليوم عاراً وسبّة
يعيره الابناء بعد المعاشر
فياليت أني كنت من قبل قتله
ويوم حسين كنت في رمس قابراً^(١)

موارد الاعتبار:

١ - أسئلة يزيد بن معقل لبرير: (كيف ترى الله صنع لك؟) تكشف عن أن جيش العدو
استخدم الحزازات القديمة لإذكاء نار الحرب ضد الحسين، وقد تأثر بها يزيد بن معقل
وهو صاحب لبرير من قبل، استشهد بمواقفه تجاه سياسة عثمان وسياسة معاوية.

٢ - اقترح برير المباهلة لحسم هذا الموضوع الذي لا يمكن أن ينتهي بالنقاش، وهو
اقتراح لحلّ سريع عادل، وخاصة في ظل الحرب، فتوافقاً على ذلك، وكانت النتيجة النصر
لبرير.

٣ - شخصية برير كانت معروف بالثقافة الإسلامية (كان يقرئنا القرآن في المسجد)،
ولذلك كان برير يحارب عن عقيدة راسخة، وامتنع عفيف بن زهير عن المشاركة في قتل
برير لهذا السبب.

٤ - لم يتمكن المبارز ضد برير من النجاة إلى بعد الإستنجاد (أين أهل المصاع
والدفاع) فأتته النجدة الخارجية، مما تكشف عن أن المباراة خرجت من مبارزة شخص
لشخص إلى مبارزة شخص واحد لجماعة، وطبيعي أن تكون غير متكافئة.

٥ - أن موقف النوار بنت جابر يفصح عن استنكار شعبي للحرب ضد الحسين بقولها:

(أعنت على ابن فاطمة وقتلت سيّد القراء؟) تعني برير خاصة، واتخذت قرارها: (والله لا أكلّمك من رأسي كلمة أبداً).

٦ - يظهر من موقف كعب بن جابر بقوله: (إني مطيع للخليفة سامع) وهو تبرير لكل ظالم مع علمه بالظلم والطغيان، فهل كان يقول ذلك أيضاً لو أمره بقتل ولده.

٧ - يظهر من زوجة العبدى أنه كان جبريّ العقيدة، وربما سياسة السلطة هذه العقيدة لتثبيت حكمها في الشام - راجع المادة في المعجم - فإن قوله: (لو شاء ربي ما شهدت قتالكم) يناقض الاختيار الذي أعطاه ﴿إما شاكراً وإما كفوراً﴾^(١).

مبارزة الانصاريّ

رواية الطبري:

قال: وخرج عمرو بن قرظة الانصاري يقاتل دون حسين، وهو يقول:

قد علمت كتيبة الانصار أني سأحامي حوزة الذمار
ضرب غلام غير نكس شاري دون حسين مهجتي وداري

قال أبو مخنف: عن ثابت بن هبيرة فقتل عمرو بن قرظة بن كعب، وكان مع الحسين، وكان عليّ أخوه مع عمر بن سعد، فنادى عليّ بن قريظة يا حسين، يا كذاب ابن الكذاب، أضللت أخي وغررته حتى قتلتته، قال: إن الله لم يضل أخاك ولكنه هدى أخاك وأضلك، قال: قتلتني الله إن لم أقتلك أو أموت دونك، فحمل عليه فاعترضه نافع بن هلال المرادي فطعنه فصرعه فحمله أصحابه فاستنقذوه فدووي بعد فبراً^(٢).

موارد الاعتبار:

أ - كلام الأنصاري (حسين مهجتي وداري) يعبر عن ذوبانه في شخصيته ذوباناً يفوق النفس والمال، فالحسين هو أعلى من المهجة ومن الدار؛ لأنه القدوة والرمز الذي

(١) الانسان: ٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٩.

تستصغر عنده الماديات.

ب - موقف الأخوين أحدهما في جيش الحسين والآخر في جيش العدو، يكشف عن مدى الإنشقاق في المجتمع الإسلامي حتى في الأسرة الواحدة في المواقف والأهداف.

ج - إتهام الأنصارى للحسين بقتل أخيه يكشف عن مدى الجهل عن مسيرة الحسين وأهدافها حيث لم ير هذا أخاه أهلاً لأن يتخذ قراراً لنفسه بنفسه في حياته الشخصية ووجه الإتهام التالي:

(يا حسين يا كذاب ابن الكذاب، أضللت أخي وغررته حتى قتلتته). ولم يرد الحسين على الإتهام الأول لأنه يكشف عن جهل بالأهداف «وأعرض عن الجاهلين»^(١١)

مبارزة الحرّ

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني النضر بن صالح أبو زهير العبسي أنّ الحر بن يزيد لما لحق بحسين قال رجل من بني تميم من بني شقرة، وهم بنو الحارث ابن تميم، يقال له: يزيد بن سفيان: أما والله لو أني رأيت الحر بن يزيد حين خرج لاتبعته السنان، قال: فبينما الناس يتجاولون ويقتتلون والحر بن يزيد يحمل على القوم مقدماً ويتمثل قول عنتره:

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه حتى تسريل بالدم

قال: وإن فرسه لمضروب على أذنيه وحاجبه وإن دمائه لتسيل، فقال الحصين بن تميم - وكان على شرطة عبيدالله، فبعثه إلى الحسين، وكان مع عمر بن سعد، فولاه عمر مع الشرطة المجففة - ليزيد بن سفيان هذا الحر بن يزيد الذي كنت تتمنى، قال: نعم، فخرج إليه، فقال له هل لك يا حر بن يزيد في المبارزة؟ قال: نعم، قد شئت، فبرز له قال: فأنا سمعت الحصين بن تميم يقول: والله لأبرز له، فكأنما كانت نفسه في يده، فما لبثه الحر حين خرج إليه أن قتله.^(١٢)

١- الأعراف: ١٩٩.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٠ - ٣٣١.

موارد الاعتبار:

١ - مقالة يزيد بن سفيان: (لو إني رأيت الحرب بن يزيد حتى خرج فاتبعته السنان) يكشف عن عمق إلتحاق الحر بالحسين وتأثيره الشديد على جيش العدو، فإن شخصيته القيادية والتحاظه بالحسين زعزع الروح المعنوية لجيش العدو.

٢ - سيلان الدماء على الفرس (المضروب على أذنيه وحاجبيه) يكشف عن تلاحم شديد بين الحر وجيش العدو، وأن هذا التلاحم كان من قرب في مواجهة جماعات متعددة.

٣ - من الغريب أن يزيد بن سفيان الذي أصبح ذا رئاستين هما الشرطة والمجففة تطوَّع للمبارزة ضدَّ الحر، وهذا يكشف عن أن السلطة كانت توزَّع العناوين الخيالية لطلابها كي تضعهم إلى جانبها.

٤ - قبول الحر للمبارزة وهو على تلك الحال من الفرس المدمي يكشف عن الإستماتة في القتال، وعن وعي بضعف المقاتلين بتلك العناوين الخيالية.

مبارزة نافع

رواية الطبري:

قال هشام بن محمد عن أبي مخنف قال: حدثني يحيى بن هاني بن عروة أن نافع بن هلال كان يقاتل يومئذ وهو يقول:

أنا الجملي أنا على دين علي

قال: فخرج إليه رجل يقال له: مزاحم بن حريث فقال: أنا على دين عثمان، فقال له: أنت على دين شيطان، ثم حمل عليه فقتله.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - شعار نافع بن هلال يكشف عن وعي كامل للأسباب التاريخية للحرب على الحسين، فهو يتضمّن مادتين:

الأولى: أنه شارك في حرب الجمل بقوله: (أنا الجملي) فهو إشارة إلى معرفة كاملة بأصول هذه الحركة منذ معركة الجمل عام ٣٧.

الثانية: أنه سائر على خطى علي بن أبي طالب، ومن المعروف تاريخياً أن الامام علي عليه السلام كان قد قام بحروب تصحيحية في الجمل وصفين والنهروان، فتكون الحرب على الحسين ممتدة من تلك الخطوط التاريخية.

الحملة الجماعية

رواية الطبري:

فصاح عمرو بن الحجاج بالناس: يا حمقى، أتدرون من تقاتلون؟ فرسان مصر؛ قوما مستميتين، لا يبرزن لهم منكم أحد، فإنهم قليل، وقل ما يبقون، والله لو لم ترموهم إلاّ بالحجارة لقتلتموهم، فقال عمر بن سعد: صدقت، الرأي ما رأيته، وأرسل إلى الناس يعزم عليهم ألاّ يبارز رجل منكم رجلاً منهم.

قال أبو مخنف: حدثني الحسين بن عقبة المرادي، قال الزبيدي: إنه سمع عمرو بن الحجاج حين دنا من أصحاب الحسين يقول: يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الامام، فقال له الحسين: يا عمرو بن الحجاج، أعليّ تحرّض الناس؟ أنحن مرقنا وأنتم ثبتتم عليه؟ أما والله لتعلمن لو قد قبضت أرواحكم ومنّتم على أعمالكم أيّنا مرق من الدين ومن هو أولى بصليّ النار. قال: ثم إن عمرو بن الحجاج حمل على الحسين في ميمنة عمر بن سعد من نحو الفرات فاضطربوا ساعة، فصرع مسلم بن عوسجة الاسدي أول أصحاب الحسين، ثم انصرف عمرو بن الحجاج وأصحابه وارتفعت الغبرة، فإذا هم به صريع، فمشى إليه الحسين، فإذا به رمق فقال: رحمك ربك يا مسلم بن عوسجة ﴿منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا

تبديلاً^(١) ودنا منه حبيب بن مظاهر فقال: عزّ عليّ مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنة، فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشرك الله بخير، فقال له حبيب: لولا أنني أعلم أنني في أثرك للاحق بك من ساعتني هذه لاحتبت أن توصيني بكلّ ما أهلك حتى أحفظك في كل ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين. قال: بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله - وأهوى بيده إلى الحسين - أن تموت دونه، قال: أفعل ورب الكعبة، قال: فما كان بأسرع من أن مات في أيديهم وصاحت جارية له فقالت: يا ابن عوسجته يا سيده، فتنادى أصحاب عمرو بن الحجاج: قتلنا مسلم بن عوسجة الاسدي، فقال شبت لبعض من حوله من أصحابه: ثكلتكم أمهاتكم إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم وتذلّلون أنفسكم لغيركم، تفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة، أما والذي أسلمت له لربّ موقف له قد رأيته في المسلمين كريم، لقد رأيته يوم سلق أذربيجان قتل سنة من المشركين قبل تنامّ خيول المسلمين، أفيقتل منكم مثله وتفرحون؟ قال: وكان الذي قتل مسلم بن عوسجة مسلم بن عبد الله الضبابي وعبد الرحمن بن أبي خشكارة البجلي، قال: وحمل شمر بن ذي الجوشن في المسيرة على أهل الميسرة، فثبتوا له، فطاعنوه وأصحابه، وحمل على حسين وأصحابه من كل جانب فقتل الكلبي وقد قتل رجلين بعد الرجلين الأولين، وقاتل قتالا شديداً، فحمل عليه هاني بن ثابت الحضرمي وبكير بن حي التيمي من تيم الله بن ثعلبة فقتلاه، وكان القتل الثاني من أصحاب الحسين، وقتلهم أصحاب الحسين قتالاً شديداً وأخذت خيلهم تحمل، وإنما هم اثنان وثلاثون فارساً، وأخذت لا تحمل على جانب من خيل أهل الكوفة إلاّ كشفتها، فلما رأى ذلك عزرة بن قيس وهو على خيل أهل الكوفة أنّ خيله تنكشف من كل جانب، بعث إلى عمر بن سعد عبد الرحمن بن حصن فقال: أما ترى ما تلقى خيلي مذ اليوم من هذه العدة اليسيرة، ابعث إليهم الرجال والرماة، فقال لشبت بن ربعي: ألا تقدم إليهم؟ فقال: سبحان الله، أتعمد إلى شيخ مصر وأهل مصر عامة تبعثه في الرماة، لم تجد من تندب لهذا، ويجزي عنك غيري. قال: وما زالوا يرون من شبت الكراهة لقتاله قال: وقال أبو زهير

العبيسي: فأنا سمعته في إمارة مصعب يقول: لا يعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً ولا يسددهم لرشد، ألا تعجبون أنا قاتلنا مع عليّ بن أبي طالب ومع ابنه من بعده آل أبي سفيان خمس سنين، ثم عدونا على ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية، ضلال يالك من ضلال^(١)

موارد الاعتبار:

١ - أعلن عمرو بن الحجاج - من جيش العدو - فشل التكتيك العسكري التقليدي بالمبارزة ضد الحسين وأصحابه، مما يكشف عن خسارة فادحة في جيش العدو بالرغم من قلة أصحاب الحسين، وعلل هذا الفشل بأمور:

أ - (يا حمقى) وهذا التعبير يكشف عن موافقته للقرار من البداية.

ب - (تقاتلون فرسان المصّر) وهذا يكشف عن معرفته الكاملة بشخصياتهم.

ج - (قوماً مستميتين) فإن هذه هي الخصلة الفارقة بين أصحاب الحسين وجيش عدوه، فهو لاء مستميتون، وجيش عدوه طلاب سلامة وغنيمة ورياسة، وفي حالة كهذه طبيعي أن تكون الخسارة البشرية أكثر في جيش العدو.

٢ - يظهر أن عمر بن سعد كلف الحجاج بأوامر جديدة حيث قال: (صدقت، الرأي ما رأيته) ولذلك قام الحجاج بالنداء لأهل الكوفة قائلاً: (أن لا يبارز رجل معكم رجلاً منهم) حيث أثبتت المبارزة الثنائية الفشل.

٣ - تضمنت خطبة الحجاج إتهام الحسين بالمروق من الدين، وهذا الإتهام يكشف عن ضعف الجيش وشكه في شرعية قتال الحسين.

٤ - وحيث سمع الحسين هذا الإتهام الظالم الذي صدر لأول مرة أعلن الحسين موقفه بالإستفهام الإنكاري: (أنحن مرقنا وأنتم ثبتتم عليه؟) ولن يفتر ردّ هذا الإتهام سوى معرفة الأعمال التي تكشف بنفسها عن نتائجها.

٥ - كانت الحملة الجماعية من ميمنة جيش العدو، وقد تصدّى أصحاب الحسين لهم بالرغم من قلتهم فلم يتمكنوا من التقدم.

٦ - وقع مسلم بن عوسجة الأسدي من أصحاب الحسين صريعاً في هذه الحملة الجماعية، وكان الوحيد ولم يعرف جيش العدو شخصه (حتى ارتفعت الغبرة) مما يكشف عن شدة التلاحم.

٧ - كان الحسين أوّل من مشى إلى مسلم بن عوسجة، ثم أوصى مسلم لحبيب بن مظاهر (أنا أوصيك بهذا رحمك الله) مما يكشف عن شدة ذوبانه في شخصية الحسين.

٨ - فرح جيش العدو بمقتل مسلم بن عوسجة، وقد أوجد هذا الفرح سخطاً في نفوس البعض، حيث قال: (ثكلتكم أمهاتكم، إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم، أفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة) مما يكشف عن إنقسام القيادات العليا في اتجاه سياسة الحرب.

٩ - قاد شمر حملة الميسرة من جيش العدو، وهي كما تظهر كانت متزامنة مع حملة الميمنة مستهدفة القضاء على الحسين وأصحابه في معركة فاصلة.

١٠ - لم يكن العدو متكافئاً في الجانبين إطلاقاً فقد كان عدد أصحاب الحسين في ميسرة الحسين (٣٢) فارساً والتعادل يقتضي أن يكون العدد في الميمنة (٣٢) كذلك، والمجموع (٦٤) والباقي ثمانية على الأغلب كانوا رجالاً، ويكون المجموع (٧٢)، وجيش العدو يتكون كما سبق من خمسة آلاف، فالنسبة غير متكافئة إطلاقاً.

١١ - رفض شيبث بن ربعي من قيادة الرماة يكشف عن أمرين، أولاً: التنافس بالعناوين العسكرية فقيادة الرماة دون قيادة الخيالة. وثانياً: التذمر من الحرب أو عدم الإيمان بنتائجها.

عقر خيل الحسين

رواية الطبري:

قال: ودعا عمر بن الحصين بن تميم فبعث معه المجففة وخمسائة من المرامية، فأقبلوا حتى إذا دنوا من الحسين وأصحابه رشقوهم بالنبل، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم

وصاروا رجالة كلهم.

قال أبو مخنف: حدثني نمير بن وعلة أن أيوب بن مشرح الخيواني كان يقول: أنا والله عقرت بالحر بن يزيد فرسه، حشأته سهما فما لبث أن أرعد الفرس واضطرب وكبا فوثب عنه الحر كأنه لبث والسيف في يده، وهو يقول:

إن تعقروا بي فأنا ابن الحر أشجع من ذي لبد هزبر

قال: فما رأيت أحدا قط يفري فريه، قال: فقال له أشياخ من الحي: أنت قتلتته؟ قال: لا والله ما أنا قتلتته ولكن قتله غييري، وما أحب إنني قتلتته، فقال له أبو الوداك: ولم؟ قال: أنه كان زعموا من الصالحين، فوالله لئن كان ذلك إنما لأن ألقى الله بإثم الجراحة والموقف أحب إلي من أن ألقاه بإثم قتل أحد منهم، فقال له أبو الوداك: ما أراك إلا ستلقي الله بإثم قتلهم أجمعين، أرايت لو أنك رميت ذا فعقرت ذا، ورميت آخر، ووقفت موقفا، وكررت عليهم، وحرضت أصحابك، وكثرت أصحابك، وحمل عليك فكرهت أن تفر، وفعل آخر من أصحابك كفعلك، وآخر وآخر، كان هذا وأصحابه يقتلون، أنتم شركاء كلكم في دمائهم فقال له يا أبا الوداك: إنك لتقنطنا من رحمة الله، إن كنت ولي حسابنا يوم القيامة فلا غفر الله لك إن غفرت لنا، قال: هو ما أقول لك.^(١)

موارد الاعتبار:

- ١ - عقر الخيل يكشف عن العجز عن الحرب على الخيول، فكانت الخطة القضاء على ما يستخدمه أصحاب الحسين من وسائل الحرب.
- ٢ - نجحت الخطة بفضل خمسمائة من الرماة فتكون النسبة (٦٪) أي محاربة مائة رامي مقابل ستة أشخاص، بالإضافة إلى المجففة التي لا نعرف بالضبط دورهم الأساسي ولا عددهم، فإن كان دورهم عقر الخيل فقد تمت العملية بنجاح.
- ٣ - أصبح أصحاب الحسين كلهم رجالة فلا خيل لهم يستخدمونها كوسيلة في

الحرب، ولكن ذلك لم يمنعهم من الإستمرار في الحرب على أرجلهم من مواجهة ثلاث فرق من جيش العدو هي: الخيالة والرامية والمجففة.

٤- كان الحربين يزيد واعياً لمضاعفات الخطّة فبعد أن أصاب السهم فرسه تنحّى (كأنه ليث والسيف في يده) وشعره يكشف عن روح معنوية عالية كما تكشف مواقفه (فما رأيت أحداً قط يفري فريه).

٥ - محادثة ابن الوداك وايبوب الخيواني يكشف عن عمق الندم في قلوب من شارك في الحرب ضد الحسين ولما اتهمه بقوله: (أنتم شركاء كلّكم في دمائهم) قال: (يا أبا الوداك انك لتقنطننا من رحمة الله) مما يكشف عن إستيلاء فكرة الإرجاء على عامة الجيش ومنهم الخيواني.

حرق خيام الحسين

رواية الطبري:

قال: وقاتلوهم حتى انتصف النهار أشدّ قتال خلقه الله، وأخذوا لا يقدرّون على أن يأتوهم إلّا من وجه واحد لاجتماع أبنيّتهم وتقارب بعضها من بعض، قال: فلما رأى ذلك عمر بن سعد أرسل رجال يقوّضونها عن أيّمانهم وعن شمائلهم ليحيطوا بهم، قال: فأخذ الثلاثة والاربعة من اصحاب الحسين يتخلّلون البيوت فيشدّون على الرجل وهو يقوّض وينتهب فيقتلونه ويرمونه من قريب ويعقرونه، فأمر بها عمر بن سعد عند ذلك فقال: احرقوها بالنار ولا تدخلوا بيتاً ولا تقوّضوه، فجاءوا بالنار فأخذوا يحرقون، فقال حسين: دعوهم فليحرقوها فإنهم لو قد حرقوها لم يستطيعوا أن يجوزوا إليكم منها، وكان ذلك كذلك، وأخذوا لا يقاتلونهم إلّا من وجه واحد قال: وخرجت امرأة الكلبي تمشي إلى زوجها حتى جلست عند رأسه تمسح عنه التراب وتقول: هنيئاً لك الجنة، فقال شمر بن ذي الجوشن لغلّام يسمى رستم: اضرب رأسها بالعمود فضرب رأسها فشدّخه فماتت مكانها، قال: وحمل شمر بن ذي الجوشن حتى طعن فسطاط الحسين برمح ونادى: عليّ بالنار حتى أحرّق هذا البيت على أهله، قال: فصاح النساء وخرجن من الفسطاط، قال:

وصاح به الحسين: يا ابن ذي الجوشن، أنت تدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي؟ حرقك الله بالنار.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال: قلت لشمر بن ذي الجوشن: سبحان الله، إن هذا لا يصلح لك، أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين: تعذب بعذاب الله وتقتل الولدان والنساء؟ والله إن في قتلك الرجال لما ترضي به أميرك، قال: فقال: من أنت؟ قال: قلت لا أخبرك من أنا، قال: وخشيت والله أن لو عرفني أن يضرني عند السلطان، قال: فجاءه رجل كان أطوع له مني - شبت بن ربعي - فقال: ما رأيت مقالا أسوأ من قولك، ولا موقفاً أقبح من موقفك، أمرعاً للنساء صرت؟ قال: فأشهد أنه استحمي، فذهب لينصرف، وحمل عليه زهير بن القين في رجال من أصحابه عشرة فشدّ على شمر بن ذي الجوشن وأصحابه فكشفهم عن البيوت حتى ارتفعوا عنها، فصرعوا أبا عزة الضبابي فقتلوه، فكان من أصحاب شمر وتعطف الناس عليهم، فكثروهم فلا يزال الرجل من أصحاب الحسين قد قتل فإذا قتل منهم الرجل والرجلان تبين فيهم، وأولئك كثير لا يتبين فيهم ما يقتل منهم.^(١)

الحنفي

رواية الطبري:

ثم اقتتلوا بعد الظهر فاشتد قتالهم، ووصل إلى الحسين، فاستقدم الحنفي أمامه، فاستهدف لم يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً قائماً بين يديه، فما زال يرمي حتى سقط.

زهير بن القين

رواية الطبري:

وقاتل زهير بن القين قتالاً شديداً، وأخذ يقول:

أنا زهيرٌ وأنا ابنُ القَيْنِ أذودُهُم بالسيفِ عن حسين
 قال: وأخذ يضرب على منكبِ حسين ويقول:
 أقدمُ هُدَيْتَ هادِيًا مَهْدِيًا في اليومِ تَلَقَى جَدَّكَ النَّبِيَّ
 وحَسَنًا والمرتضى عليًا وذَا الجَنَاحَيْنِ الفَتَى الكَمِيَّا
 وأسَدَ اللهَ الشهيدَ الحَيَّا

قال: فشد عليه كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس فقتلاه.

موارد الاعتبار:

- ١ - زهير بن القين الوحيد من اصحاب الحسين الذي أخذ يضرب على ملكب الحسين وينشد رجزه المفضل ولم يعهد ذلك من غيره فهل هذا مواساة معه في وقت الشدة أو تباشر بالشهادة التي يراها كل منهما واقعة قريبة لا محالة.
- ٢ - الرجز يحتوي على نقاط أو مواد:
 - أ. التعريف بنفسه كي لا يكون هناك شك في معرفة شخصه.
 - ب. الإشارة إلى الواجب الذي يشعر به وهو الذود عن الحسين بالسيف.
 - ج. المبرر لهذا الموقف وهو الهداية بنصرت الحسين.
 - د. الهدف وهو لقاء جد الحسين باعتبار قائد المسيرة التي سار على سنته أهل بيته و خاصة علي المرتضى وأخيه الحسن وعمه جعفر ذو الجناحين، وقد سبق شرحُ مواقفه في خطبته فإليراجع.

نافع الجملي

رواية الطبري:

قال: وان نافع بن هلال الجملي قد كتب اسمه على أفواق نبله، فجعل يرمي بها مسمومة وهو يقول: «أنا الجملي، أنا علي دين علي».

فقتل إثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى من جرح؛ قال: فضرب حتى كسرت

عضداه وأخذ أسيراً، قال: فأخذه شمر بن ذي عمر بن سعد: ويحك يا نافع! ما حملك على ما صنعت بنفسك! قال: إن ربي يعلم ما أردت؛ قال: والدماء تسيل على لحيتيه وهو يقول: والله لقد قتلته منكم إثني عشر سوى من جرحته، وما الوم نفسي على الهد، ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسر تموني؛ فقال له شمر: اقتله أصلحك الله! قال: أنت جئت به، فإن شئت فاقتله، قال: فانتضى شمر سيفه، فقال له نافع: أما والله أن لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بمدماننا، فالحمد لله الذي جعل منا يانا على يدي شرار خلقه؛ فقتله.

قال: ثم أقبل شمر يحمل عليهم وهو يقول:

خَذُوا عُدَاةَ اللَّهِ خَذُّوا عَنْ شَمِرٍ يَضْرِبُهُمْ بِسَيْفِهِ وَلَا يَفَرُ
وهو لكم صابٌ وسَمٌ ومَقَرٌ

استدعاء لاداء الصلاة

رواية الطبري:

قال: فلما رأى ذلك أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائدي قال للحسين: يا أبا عبد الله، نفسي لك الفداء، إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك إن شاء الله، وأحب أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها، قال: فرفع الحسين رأسه ثم قال: ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها، ثم قال: سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي، فقال لهم الحصين بن تميم: إنها لا تقبل، فقال له حبيب بن مظاهر: لا تقبل زعمت! الصلاة من آل رسول الله لا تقبل، وتقبل منك يا حمار.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - تنبه أبو ثمامة الصائدي إلى وقت صلاة الظهر، ولم يخف عليه ولا عن أصحاب

الحسين اللحظة الحرجة التي يواجهونها، واستخدم الصائدي أسلوبه الخاص للتذكير بالوقت حيث لم تكن هناك حاجة إلى التأكيد على ولاءه، فأراد تذكير الحسين بوقت الصلاة بأسلوب أدبي بقوله: (أحب أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها).

٢ - تأكد الحسين من وقت الصلاة (فرع الحسين رأسه) وربما لاستخدام العلامات في تعيين منتصف النهار من أمالة الشمس عن الحاجب الأيمن، ثم قال: (نعم هذا أول وقتها)، ومن ذلك يستكشف استمرار الحرب حتى منتصف النهار.

٣ - أمر الحسين أصحابه بأن يسألوا جيش العدو بالهدنة المؤقتة من أجل الصلاة (سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي) وذلك تأكيد على أهداف الحرب هذه، فإن الغاية لا تبرر الوسيلة؛ لأن الصلاة عمود الدين وللحرب صلاتها الخاصة يجب أدائها في هذه الحالة الاستثنائية بشروطها الخاصة.

٤ - كان رفض الجيش للصلاة يكشف عن مواقف الحسين وأعداءه ولذلك رجّح الجيش قبول الطلب، وعلق قائد الجيش على الطلب بقوله: (إنها لا تقبل) وعارضه حبيب بن مظاهر بالاستنكار بقوله: (زعمت الصلاة من آل رسول الله لا تقبل، وتقبل منك يا حمار) مما يظهر أن جيش العدو وافق على هذا الطلب خشية أن يتفاقم الاستنكار في صفوف الجيش.

أصحاب الحسين

(١)

حبيب بن مظاهر الأسدي

رواية الطبري:

قال: فحمل عليهم حصين بن تميم، وخرج إليه حبيب بن مظاهر، فضرب وجه فرسه بالسيف، فشَبَّ ووقع عنه، وحمله أصحابه فاستنقذوه، وأخذ حبيب يقول:

أقسم لو كُنَّا لكم أعدادا أو شطركم وليتم أكتادا

يا شرقوم حسبا وآدا

قال: وجعل يقول يومئذ:

أنا حبيب وأبي مظاهر	فارس هيجاء وحرب تسعر
أنتم أعدّ عدة وأكثر	ونحن أوفى منكم وأصبر
ونحن أعلى حجة وأظهر	حقّا وأتقى منكم وأعذر

وقاتل قتالا شديدا، فحمل عليه رجل من بني تميم فضربه بالسيف على رأسه فقتله - وكان يقال له: بديل بن صريم من بني عقفان - وحمل عليه آخر من بني تميم فطعنه فوق فذهب ليقوم فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف فوقع، ونزل إليه التميمي فاحتزّ رأسه، فقال له الحصين: إني لشريكك في قتله، فقال الآخر: والله ما قتله غيري، فقال الحصين: أعطنيهِ اعلقه في عنق فرسي كيما يرى الناس ويعلموا أنني شركت في قتله ثم خذه أنت بعد فامض به إلى عبيدالله بن زياد فلا حاجة لي فيما تعطاه على قتلك إياه. قال: فأبى عليه فأصلح قومه فيما بينهما على هذا، فدفع إليه رأس حبيب بن مظاهر فجال به في العسكر قد علّقه في عنق فرسه ثم دفعه بعد ذلك إليه، فلما رجعوا إلى الكوفة أخذ الآخر

رأس حبيب فعلقه في لبنان فرسه، ثم أقبل به إلى ابن زياد في القصر، فبصر به ابنه القاسم بن حبيب وهو يومئذ قد راهق، فأقبل مع الفارس لا يفارقه كلما دخل القصر دخل معه، وإذا خرج خرج معه فارتاب به، فقال: مالك يا بني تتبعني؟ قال: لا شيء، قال: بلى يا بني أخبرني؟ قال له: ان هذا الرأس الذي معك رأس أبي، أفتعطينيه حتى أدفنه؟ قال: يا بني لا يرضي الأمير أن يدفن وأنا أريد أن يشيبي الأمير على قتله ثواباً حسناً، قال له الغلام: لكن الله لا يشيك على ذلك إلا أسوأ الثواب، أما والله لقد قتلته خيراً منك، وبكا فمكث الغلام حتى إذا أدرك لم يكن له همّة إلا اتباع أثر قاتل أبيه ليجد منه غرة فيقتله بأبيه، فلما كان زمان مصعب بن الزبير وغزا مصعب باجميرا دخل عسكر مصعب فإذا قاتل أبيه في فسطاطه، فأقبل يختلف في طلبه والتماس غرته فدخل عليه وهو قاتل نصف النهار فضربه بسيفه حتى برد.

قال أبو مخنف: حدثني محمد بن قيس قال: لما قتل حبيب بن مظاهر هذ ذلك حسيناً، وقال: عند ذلك أحسب نفسي وحماة أصحابي.^(١)

موارد الاعتبار:

- ١ - ما أنشده حبيب بن مظاهر من الشعر حين المبارزة يؤكد على النقاط التالية:
 - أ - عدم التعادل في الجانبين المتحاربين.
 - ب - تعريف نفسه بالنسب والخبرة الحربية.
 - ج - الاعتراف بكثرة العدو في العدة والعدد.
 - د - الإعلان عن موقفه وموقف أصحاب الحسين بصفات هي: الوفاء، والصبر، وعلو، الحجة، وظهور الحجة، والتقوى، والعذر في الحرب. وهي صفات تكشف عن وضوح الرؤية للواقع والمسير والمصير.
- ٢ - تناقض الرجلين من معسكر العدو على دعوى قتل حبيب يكشف عن اعترافهما

٢٠٢ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

بعلو شخصية الداعي إلى التنافس حتى اكتفى أحدهما بتعليق رأسه (أعطنيه أعلقه في عنق فرسي).

٣- ابن حبيب بن مظاهر: القاسم بن حبيب، وهو يومئذ مراهق، كان يحاول إنقاذ رأس أبيه من جيش العدو ولما جلبت تصرفاته الانتباه (فقال: مالك يا بني تتبعني؟) أجاب الإبن (لا شيء) ثم طالب بكل صراحة أن يعطيه رأس أبيه معللاً ذلك بقوله: (حتى أدفنه) مما يكشف عن روح عالية في هذا المراهق بواجبه الإسلامي لدفن الرأس إن لم يتمكن من دفن الجسد.

٤- كان الإبن هذا منذ المراهقة متابعاً لقاتل أبيه لم يكن له همة إلا ابتاع أثر القاتل (حتى دخل عليه وهو قاتل) نائم نصف النهار فضربه بسيفه في غزوة مصعب أي حوالي عام ٧٠ للهجرة وربما بلغ الولد حوالي ٢٥ سنة.

٥- لقد أثر مقتل حبيب على الحسين كثيراً (هد ذلك حسيناً) لما هذه الشخصية من تاريخ مشرق في الإسلام.

(٢)

الحرّ الرياحي

رواية الطبري:

قال: فأخذ الحر يرتجز ويقول:

آليت لا أقتل حتى أقتلا ولن أصاب اليوم إلا مُقبلا
أضربهم بالسيف ضرباً مقصلاً لا ناكلاً عنهم ولا مهلاً
وأخذ يقول أيضاً:

أضرب في أعراضهم بالسيف عن خير من حلّ مني والخيف

فقاتل هو وزهير بن القين قتالاً شديداً، فكان إذا شدّ أحدهما، فإن استلحم شدّ الآخر حتى يخلّصه، ففعلاً ذلك ساعة، ثم إن رجالة شدّت على الحر بن يزيد فقتل، وقتل أبو

ثمامة الصائدي ابن عم له كان عدواً له، ثم صلّوا الظهر صلى بهم الحسين صلاة الخوف.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - إمتاز الحر بالخبرة التجريبية للجانبين المتحاربين، فهو قائد حملة من جانب جيش العدو، وكان أول من راقب الحسين وسدّ طريقه، فهو على تجربة شخصية للجانبين، وبناءً على هذه التجربة التحق بركب الحسين وقد ذكر الحسين أسباباً يكفي منها التدليل على موقفه الجديد.

٢ - قاتل كل من الحر وزهير (قتلاً شديداً) مما يكشف عن أن شدة التلاحم بين شخص واحد هو الحر وجيش العدو الذي انفصل عنه قريباً كان يفتقر إلى من يساعده (شدّ الآخر حتى يخلصه) حتى كان مقتل الحر على أثر (رجالة شدت عليه).

٣ - صلى الحسين صلاة الخوف، وهي الصلاة التي يقصّر المكلف فيها إلى ركعتين كالمسافر وهي مشروحة في الفقه، وقد قتل من أصحاب الحسين إثنان هما: حبيب بن مظاهر والحر الرياحي، فتكون عدة أصحاب الحسين سبعون شخصاً صلى بهم صلاة الظهر صلاة الخوف.

٤ - بعد صلاة الخوف هذه، نجد مقالات أصحاب الحسين متشابهة، ومواقفهم متّحدة، تؤكد على المضي بعزم على الإستشهاد في سبيل الله، ونكتفي بسردها كما رواها الطبري من دون تعليق.

(٣)

الحنفي

رواية الطبري:

ثم اقتتلوا بعد الظهر فاشتد قتالهم، ووصل إلى الحسين، فاستقدم الحنفي أمامه،

فاستهدف لهم يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً، قائماً بين يديه فما زال يرمى حتى سقط.^(١)
رواية الطبري:

وقاتل زهير بن القين قتالا شديداً، وأخذ يقول:

أنا زهير وأنا ابن القين أذودهم بالسيف عن حسين
قال: وأخذ يضرب على منكب حسين ويقول:

أقدم هديت هاديا مهدياً فالיום تلقى جدك النبيا
وحسنا والمرضى علياً وذا الجناحين الفتى الكميا
وأسد الله الشهيد الحيا

قال: فشد عليه كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس فقتلاه.^(٢)

موارد الاعتبار:

١ - وزهير بن القين الوحيد من اصحاب الحسين الذي أخذ يضرب على منكب الحسين وينشد رجزه المفضل، ولم يعهد ذلك من غيره، فهل هذا مواساة معه في وقت الشدة؟ أو تباشر بالشهادة التي يراها كل منهما واقعة قريبة لا محالة.

٢ - الرجز كان يحتوي على نقاط أو مواد:

أ - التعريف بنفسه، كي لا يكون هناك شك في معرفة شخصه.

ب - الإشارة إلى الواجب الذي يشعر به، وهو الذود عن الحسين بالسيف.

ج - المبرر لهذا الموقف، وهو الهداية بنصرة الحسين.

د - الهدف، وهو لقاء جد الحسين باعتباره قائد المسيرة التي سار على سنته أهل بيته، وخاصة على المرتضى، وأخيه الحسن، وعمّه جعفر ذو الجناحين، وقد سبق شرح مواقفه في خطبته، فليراجع.

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٧.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٧.

(٤)

نافع الجملي

رواية الطبري:

قال: وكان نافع بن هلال الجملي قد كتب اسمه على أفواق نبله، فجعل يرمي بها مسمومة وهو يقول:

أنا الجملي أنا على دين علي

فقتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى من جرح، قال: فضرب حتى كسرت عضده وأخذ أسيراً، قال: فأخذه شمر بن ذي الجوشن ومعه أصحاب له يسوقون نافعاً حتى أوتي به عمر بن سعد، فقال له عمر بن سعد: ويحك يا نافع، ما حملك على ما صنعت بنفسك؟ قال: إن ربِّي يعلم ما أردت، قال: والدماء تسيل على لحيتك، وهو يقول والله لقد قتلت منكم اثني عشر سوى من جرح، وما ألوم نفسي على الجهد، ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسرتموني، فقال له شمر: اقتله أصلحك الله، قال: أنت جئت به فإن شئت فاقتله، قال: فانتضي شمر سيفه فقال له نافع: أما والله إن لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا، فالحمد لله الذي جعل منا يانا على يدي شرار خلقه فقتله، قال: ثم أقبل شمر يحمل عليهم وهو يقول:

خَلُّوا عُدَاةَ اللَّهِ خَلُّوا عَنْ شَمْرِ يَضْرِبُهُمْ بِسَيْفِهِ وَلَا يَفِرْ

وهو لكم ضاب وسم ومقر.^(١)

موارد الاعتبار:

١- وقع نافع أسيراً في معركة كربلاء بعد أن قتل (اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد، سوى من جرح فضرب حتى كسرت عضده وأخذ أسيراً).

٢- والمحادثة بينه وبين قائد جيش العدو تكشف عن شخصيتهما وأهدافهما.

٢٠٦ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

عمر: (ويحك يا نافع، ما حملك على ما صنعت بنفسك؟) أراد القائد بذلك تحويل أهداف الحركة إلى مصالح شخصية.

نافع: (إن الله يعلم ما أردت) مؤكداً على أن أهداف الحركة لم تكن شخصية، بل هي ما أراد الله ذلك، معرضاً بقائد جيش العدو الذي له أهداف ومصالح شخصية.

٣ - تحاشى قائد الجيش من قتل نافع يكشف عن شخصية نافع الاجتماعية، حيث كان يتجنب القائد الثار في قتله.

٤ - لأول مرة يظهر شمر مرتجزاً بعد أن قتل نافع، ويكشف رجزه عن خطاب بروح قبلية فيقتل كما قتل.

٥ - بعد مقتل نافع تصاعدت روح الإستشهاد أكثر من ذي قبل، وكأنه استولى اليأس على المحاربين (تنافسوا بأن يقتلوا بين يديه) كما يظهر بوضوح من رواية الطبري في الغفاريين والجابريين الآتين.

(٥ و ٦)

الغفاريان

رواية الطبري:

قال: فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا وأنهم لا يقدرّون على أن يمنعوا حسينا ولا أنفسهم، تنافسوا في أن يقتلوا بين يديه، فجاءه عبد الله وعبد الرحمن ابنا عذرة الغفاريان فقالا: يا أبا عبد الله، عليك السلام جازنا العدو إليك، فأحسبنا أن نقتل بين يديك، نمنعك وندفع عنك، قال: مرحبا بكما ادنوا مني، فدنوا منه، فجعلا يقا تلان قريبا منه وأحدهما يقول:

وخندف بعد بني نزار

بكل عضبٍ صارمٍ بتار

قد علمت حقاً بنو غفار

لنضربنّ معشر الفجار

يا قوم ذُودوا عن بني الاحرار بالمشرفي والفتنا الخطارا^(١)

(٧ و ٨)

الجابريان

رواية الطبري:

قال: وجاء الفتيان الجابريان: سيف بن الحارث بن سريع ومالك بن عبد بن سريع، وهما ابنا عم وأخوان لأم، فأتيا حسينا فدنوا منه وهما يبكيان، فقال: أي ابني أخي، ما يبكيكما، فوالله إني لا رجو أن تكونا عن ساعة قريري عين؟ قالوا: جعلنا الله فداك، لا والله ما على أنفسنا نبكي، ولكننا نبكي عليك، نراك قد أحيط بك ولا نقدر على أن نمنعك، فقال: جزاكما الله يا ابني أخي بوجدكما من ذلك ومواساتكما إياي بأنفسكما أحسن جزاء المتقين.^(٢)

(٩)

الشَّبابي

رواية الطبري:

قال: وجاء حنظلة بن أسعد الشَّبابي فقام بين يدي حسين فأخذ ينادي: لو يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وشمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولّون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضل الله فما له من هاد^(٣)، يا قوم لا تقتلوا حسينا فيستحكم الله بعذاب وقد خاب من افترى فقال له حسين: يا ابن أسعد رحمك الله، إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق، ونهضوا اليك ليستبيحوك وأصحابك،

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٨.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٨، وكان مقتلهما رحمهما الله بعد مقتل الشَّبابي، وسيأتي بعد قليل.

٣- غافر: ٣٠-٣٣.

فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين؟ قال: صدقت، جُعِلت فداك أنت أفقه مني وأحق بذلك، أفلا نروح إلى الآخرة ونلحق بإخواننا؟ فقال: رح إلى خير من الدنيا وما فيها وإلى ملك لا يبلى، فقال: السلام عليك أبا عبد الله، صلى الله عليك وعلى أهل بيتك وعرف بيننا وبينك في جنته، فقال: آمين، آمين، فاستقدم فقاتل حتى قتل.

قال: ثم استقدم الفتيان الجابريان يلتفتان إلى حسين ويقولان: السلام عليك يا ابن رسول الله، فقال: وعليكما السلام ورحمة الله، فقاتلا حتى قتلا^(١).

موارد الاعتبار:

- ١ - يظهر من الشبامي أنه لم يستولي عليه اليأس وظن بعض الأمل في هداية جيش العدو حيث أخذ ينادي مذكراً جيش العدو بالاعتبار بالتاريخ بالماضي والقريب، من يوم الأحزاب، وقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، مخوفاً العذاب على قتل الحسين.
- ٢ - ولم يتلقى أي جواب من الجيش، وقال له الحسين: (إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق... فكيف الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين؟!).
- ٣ - تعليق الشبامي على كلام الحسين: (جعلت فداك، أنت أفقه مني) يكشف أن الشبامي لم يكن يعرف خطط العدو، كما كان يعلمها الحسين حتى هذه اللحظة.

(١٠ و ١١)

الشاكري و شوذب

رواية الطبري:

قال: وجاء عابس بن أبي شبيب الشاكري ومعه شوذب مولى شاكر، فقال: يا شوذب ما في نفسك أن تصنع؟ قال: ما أصنع؟ أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله حتى أقتل، قال: ذلك الظن بك، إمّا لا فتقدم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك

من اصحابه وحتى احتسبك أنا؛ فإنه لو كان معي الساعة أحد أنا أولى به مني بك لسرّني أن يتقدم بين يديّ حتى أحتسبه، فإن هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا عليه، فإنه لا عمل بعد اليوم وإنما هو الحساب. قال: فتقدم فسلم على الحسين ثم مضى فقاتل حتى قتل. قال: ثم قال عابس بن أبي شبيب: يا أبا عبد الله، أما والله ما أمسى على ظهر الارض قريب ولا بعيد أعزّ عليّ ولا أحب إليّ منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلته، السلام عليك يا أبا عبد الله، أشهد الله أنّي على هديك وهدى أبيك، ثم مشى بالسيف مصلاً نحوهم، وبه ضربة على جبينه. قال أبو مخنف: حدثني نمير بن وعلة عن رجل من بني عبد من همدان يقال له: ربيع بن تميم شهد ذلك اليوم، قال: لمّا رأيته مقبلاً عرفته وقد شاهدته في المغازي وكان أشجع الناس، فقلت: أيها الناس هذا الأسد الأسود، هذا ابن أبي شبيب، لا يخرجنّ إليه أحد منكم. فأخذ ينادي: ألا رجل لرجل؟ فقال عمر بن سعد: ارضخوه بالحجارة، قال: فرمي بالحجارة من كل جانب، فلما رأى ذلك ألقي درعه ومغفره ثم شدّ على الناس، فوالله لرأيته يكرّد أكثر من مائتين من الناس، ثم إنهم تعطّفوا عليه من كل جانب فقتل. قال: فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدة، هذا يقول: أنا قتلته، وهذا يقول: أنا قتلته، فأتوا عمر بن سعد فقال: لا تختصموا هذا لم يقتله سنان واحد، ففرّق بينهم بهذا القول^(١).

موارد الاعتبار:

- ١ - استفسر الشاكري مولاه شوذب عن قراره، فقال شوذب: (ما أصنع، أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله حتى أقتل) ووافقه على هذا القرار ولم يجبره.
- ٢ - أكّد الشاكري عن موقفه مخاطباً الحسين: (لو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلته).
- ٣ - تخوّف جيش العدو من الشاكري لأنه (كان أشجع الناس) وقال الهمداني من

٢١٠ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

جيش العدو: (أيها الناس هذا أسد الأسود... لا يخرجن إليه أحد منكم) ويظهر أن هذا التحوّف كان مستولياً على قائد الجيش أيضاً حيث قال: «ارضخوه بالحجارة».

٤ - أبدى الشاكر شجاعة فريدة، فانه لما رأى أنه يُحارب بالحجارة (ألقي درعه ومغفرة، ثم شدّ على الناس، والله لرأيته يكرّد أكثر من مئتين من الناس).

٥ - ويكشف عن شجاعته أنه بعد قتله، أدعت رجال عدة مقتله (هذا يقول: أنا قتلتها، وهذا يقول: أنا قتلتها) وقد فصل قائد الجيش بين هؤلاء بقوله: (لا تختصموا، هذا لم يقتله إنسان واحد) ففرّق بينهم بهذا القول، مما يكشف عن شجاعته وبسالته.

(١٢)

الضحّاك الناجي

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني عبد الله بن عاصم عن الضحّاك بن عبد الله المشرقي، قال: لمّا رأيت أصحاب الحسين قد أصيبوا وقد خلص إليه وإلى أهل بيته ولم يبق معه غير سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي وبشير بن عمرو الحضرمي، قلت له: يا ابن رسول الله، قد علمت ما كان بيني وبينك، قلت لك: أقاتل عنك ما رأيت مقاتلاً فإذا لم أر مقاتلاً فأنا في حلٍّ من الانصراف، فقلت لي: نعم، قال: فقال: صدقت، وكيف لك بالنجاء إن قدرت على ذلك فأنت في حلٍّ، قال: فأقبلت إلى فرسي، وقد كنت حيث رأيت خيل أصحابنا تعقر أقبلت بها حتى أدخلتها فسطاطاً لأصحابنا بين البيوت، وأقبلت أقاتل معهم راجلاً، فقتلت يومئذ بين يدي الحسين رجلين، وقطعت يد آخر، وقال لي الحسين يومئذ مراراً: لا تشلّ لا يقطع الله يدك، جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيك صلى الله عليه وسلم، فلما أذن لي استخرجت الفرس من الفسطاط ثم استويت على متنها، ثم ضربتها حتى إذا قامت على السنابك رميت بها عرض القوم فأفرجوا لي، وأتبعني منهم خمسة عشر رجلاً حتى

انتهيت إلى شفية^(١) قرية قريبة من شاطي الفرات، فلما لحقوني عطفت عليهم فعرفني كثير بن عبد الله الشعبي وأيوب بن مشرح الخيواني وقيس بن عبد الله الصائدي، فقالوا: هذا الضحاك بن عبد الله المشرقي هذا ابن عمنا، نشدكم الله لما كففتكم عنه فقال: ثلاثة نفر من بني تميم كانوا معهم: بلى والله لنجيين إخواننا وأهل دعوتنا إلى ما أحبوا من الكف عن صاحبهم، قال: فلما تابع التميميون أصحابي كف الآخرون قال: فنجاني الله.^(٢)

موارد الاعتبار:

١ - رواية الضحاك هذه في هذه اللحظة الحرجة كانت غريبة الدعوى، وغريبة المحتوى، وغريبة النتيجة، لعدة نقاط:

أ - الشرط (أقاتل عنك ما رأيت مقاتلاً) شرط غير معقول، فإن القتال في سبيل الله لا يشترط فيه على وجود مقاتل آخر، بل على العكس عند إنتفاء المقاتل تكون الحاجة إلى الدفاع أكثر.

ب - المفروض وجود المقاتلين من أسرة الحسين، فليس الشرط منتفياً.

ج - إن الحسين أحل أصحابه من قبل أكثر من مرة قائلاً: (اتخذوا الليل جملاً) فلا حاجة إلى هذا الشرط. فلا يصح التعليق (ان قدرت على ذلك فأنت في حل) مع العلم أن أصحاب الحسين كانوا يتسابقون إلى القتال بخطبهم وارايجزهم.

د - كيف حافظ الضحاك على فرسه حينما عقرت الخيل. فجأة من الرماة، ولم يعلن عن قرار العقر من قبل.

هـ - بعد حرق الخيام لم يبق فسطاط لأصحاب الحسين سوى فسطاط النساء، فأين أدخل الضحاك فرسه؟

٢ - يقول الضحاك: انه قاتل راجلاً، فلماذا لم يستخدم الخيل الذي هو أقوى وسيلة لهذا الغرض.

٢١٢ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

٣- يقول أيضاً: إنه قتل رجلين وقطع يد آخر، فمن هم ولماذا لم نعرف عنهم شيئاً.

٤- ولما أخرج القوم له (خرجوا لي) ولماذا لم يقاتلوه وابتغى منهم خمسة عشر رجلاً مع علمهم بأنه قادم من جهة الحسين.

٥- حسب الرواية لما وصل إلى شافية، عرفة ثلاثة رجال من بني أعمامه، تشفعوا له فنجّاه الله.

إن هذه الأسئلة لا يمكن أن يجاب عنها بسهولة، ومن المحتمل قوياً: أن الضحاك - هذا - كان يقوم بمهمة التجسس في داخل حركة الحسين، وأن الحسين كان واقفاً على هذه المهمة التي يقوم بها من أسلوب شرطه: (أقتل ما رأيت عندك مقاتلاً) مما يكشف أنه لم يتطوّل للحرب، بل كان يراقب أصحاب الحسين ولم يخرج إلا بعد أن قتل جميع أصحاب الحسين وأصبح الحسين مع أسرته فقط.

وإنما لم يطرده الحسين من أول الأمر؛ لأن حركة الحسين لم تكن حركة مناورة سرية لتسلّم الحكم، بل كانت حركة واضحة المعالم والأهداف، ولم يكن فيها غموض ولم يقصد إخفاءها عن أحد، بل كشف عنها في أكثر من مناسبة، وقد تلقى الحسين جواسيس العدوّ بنفس الروح والمنطق، وخاصة الذين بعثهم من سعى في قتل مسلم بن عقيل في الكوفة، وهذا المبدأ الأساسي في حركة الحسين هو الذي ميّزتها عن أية حركة سياسية تروم تسلّم الحكم بالمناورات والمؤامرات أنها حركة إصلاحية جذرية مكشوفة معروفة يعلمها جيش العدو، كما يعرفها أصحاب الحسين، وهؤلاء الجواسيس إنما كشفوا عن أنفسهم بتصرّفاتهم.

ملاحظة: إن الطبري ذكر جماعة:

١- أبو الشعثاء الكندي (وكان أول من قُتل) وربما أخره الطبري لأنه كان من الرماة.

٢- يزيد بن زياد بن المهاجر قاتل مع الحسين بعد فشل المفاوضات.

٣- القتل الجماعي للصيادواي والسلماني وسعد مولى عمر بن خالد ومجمع العائذي (قاتلوا في أول الأمر حتى قتلوا في مكان واحد).

٤- سويد الخثمي الذي كان باقياً بعد مقتل الحسين.

أبو الشعثاء ويزيد بن زياد ٢١٣
وإليك كلام الطبري.

(١٣ و ١٤)

أبو الشعثاء ويزيد بن زياد

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج الكندي أن يزيد بن زياد، وهو أبو الشعثاء الكندي من بني بهدلة جثي على ركبتيه بين يدي الحسين، فرمى بمائة سهم، ما سقط منها خمسة أسهم، وكان راميا، فكان كلما رمى قال: أنا ابن بهدلة فرسان العرجله، ويقول حسين: اللهم سدّ رميته واجعل ثوابه الجنة. فلما رمى بها قام فقال: ما سقط منها إلا خمسة أسهم ولقد تبين لي أني قد قتلت خمسة نفر، وكان في أول من قتل، وكان رجزه يومئذ:

أنا يزيد وأبي مهاصر أشجع من ليث بغيل خادر
يا رب إني للحسين ناصر ولا بن سعد تارك وهاجر

وكان يزيد بن زياد بن المهاصر ممن خرج مع عمر بن سعد إلى الحسين، فلما ردّوا الشروط على الحسين مال إليه فقاتل معه حتى قتل.^(١)

(١٥ - ١٨)

قتل جماعي

رواية الطبري:

فأما الصيداوي عمرو بن خالد وجابر بن الحارث السلماني وسعد مولى عمر بن خالد ومجمع بن عبد الله العائذي، فانهم قاتلوا في أول القتال فشدّوا مقدمين بأسيا فهم على الناس، فلما غلوا عطف عليهم الناس، فأخذوا يحوزونهم، وقطعوه من أصحابهم غير

٢١٤ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

بعيد، فحمل عليهم العباس بن علي فاستنقذهم، فجاءوا قد جرحوا، فلما دنا منهم عدوهم
شدوا بأسيا فهم فقاتلوا في أول الامر حتى قتلوا في مكان واحد.^(١)

(١٦)

سويد

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني زهير بن عبد الرحمن بن زهير الخثعمي، قال: كان آخر من بقي
مع الحسين من أصحابه: سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي.^(٢)

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤١.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٤١.

أسرة الحسين^(١)

(١)

علي الأكبر

رواية الطبري:

قال: وكان أول قتيل من بني أبي طالب يومئذ عليُّ الأكبر بن الحسين بن عليٍّ، وأمه ليلى ابنة أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، وذلك أنه أخذ يشدُّ على الناس وهو يقول:
أنا عليُّ بن حسين بن علي نحن وربّ البيت أولى بالنبي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

قال: ففعل ذلك مرارا، فبصر به مرّة بن منقذ بن النعمان العبدي ثم الليثي، فقال: عليُّ آثم العرب إن مرّ بي يفعل مثل ما كان يفعل، إن لم أأكله أباه. فمرّ يشدُّ على الناس بسيفه، فاعترضه مرّة بن منقذ فطعنه فصرع، واحتوله الناس فقطّوه بأسيا ففهم.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم الأزدي قال: سماع أذني يومئذ من الحسين يقول: قتل الله قوما قتلوك يا بني، ما أجراهم على الرحمن، وعلى انتهاك حرمة الرسول، على الدنيا بعدك العفاء. قال: وكأني أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس الطالعة تنادي: يا أخياه! ويا ابن أخاه! قال: فسألت عليها فقيل: هذه زينب ابنة فاطمة ابنة رسول الله ﷺ، فجاءت حتى أكبّت عليه، فجاءها الحسين فأخذ بيدها فردّها إلى الفسطاط، وأقبل الحسين إلى ابنه وأقبل فتياناه إليه فقال: احملوا أخاكم. فحملوه من مصرعه حتى وضعوه بين يدي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه.^(٢)

موارد الاعتبار:

- ١ - جاء دور المقاتلة من أسرة الحسين باعتبارهم الخط الدفاعي الأخير بعد أن قتل جميع أصحاب الحسين ما عدى واحد هو السويد الجريح في جيش العدو.
 - ٢ - كان رجز علي الأكبر يتضمن بنوداً ثلاثة:
أ - التعريف بنفسه نسباً، فهو ابن بنت رسول الله.
ب - السبب في الدفاع عن الحسين واهل بيته؛ لأنهم أولى بيت النبي من غيرهم.
ج - رفض حكم ابن زياد مع الطعن في نسبه بالاشارة إليه «لدعي».
- وهذه النقاط هي رسالة موجهة إلى جيش العدو لتذكيرهم بواقع الحال، فإنها بنود لا يمكن أن ينكرها أحد.
- ٣ - لم يبادر أحد من جيش العدو ممن له معرفة بالتاريخ إلى مقاتلة علي الأكبر مع أن علي الأكبر (فعل ذلك مراراً) حيث لم يجدوا ما يؤخذ على هذه النقاط.
 - ٤ - قام مرة العبدى فقال: (عليّ آثام العرب أن مرّ بي ففعل مثل ما كان يفعل إن لم أتكلمه أباه) مما يكشف عن روح قبلية متحكّمة في عقول جيش العدو.
 - ٥ - أثر مقتل علي الأكبر على أبيه الحسين، وهذا أمر طبيعي بالنسبة الى والد موتور بولده الاكبر، ولكن وجد الحسين في ذلك أموراً ثلاثة، حيث قال: (بني قتل الله قوماً قتلوك).
- أ - (ما أجراًهم على الرحمن) وذلك برفض الثوابته الإسلامية.
 - ب - (وعلى انتهاك حرمة الرسول) وذلك لمقاتلتهم سلالة الرسول.
 - ج - (على الدنيا بعدك العفا) وذلك لفقده أكبر أولاده.
- ٦ - كان موقف عمته زينب موقف الناعي والمنقذ في آن واحد، فهي بحكم طبيعة الموقف خرجت تنادي: (يا أخاه ويا ابن أخاه) فوجّهت النداء لهما معاً كي تخفّف من تأثير الحادثة على شخصية أخيها الروحية.
 - ٧ - يظهر أن زينب توجّهت نحو جسد الشهيد قبل أخيها الحسين (فجاءها الحسين فأخذ بيدها فردّها إلى الفسّاط).

٨- كان موقف الحسين موقف الصامد الذي يدرب أخته زينب على الصمود والتغلب على العواطف مهما كانت الظروف صعبة، فإنه لما أخذ بيدها وردها إلى الفسطاط لم تمتنع من رغبة الحسين ولم تقاوم؛ لمعرفتها بالواجب عليها في هذه اللحظة من طاعة القيادة.

٩- خاطب الحسين من بقي من أسرته بقوله: (أحملوا أخاكم) فاعتبرهم جميعاً أخوة في سبيل الهدف (فحملوه من مصرعه حتى وضعوه بين يدي الفسطاط الذي كان يقاتلون أمانة) في مكان خاص بعيداً عن ساحة المعركة حفظاً لها عن وطء الخيل.

(٢ - ٦)

بنو عقيل و جعفر

رواية الطبري:

قال: ثم إن عمرو بن صبيح الصدائي رمى عبد الله بن مسلم بن عقيل بسهم فوضع كفه على جبهته، فأخذ لا يستطيع أن يحرك كفيه، ثم انتحى له بسهم آخر ففلق قلبه، فاعتورهم الناس من كل جانب، فحمل عبد الله بن قطبة الطائي ثم النبھاني على عون عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقتله، وحمل عامر بن نهشل التيمي على محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقتله، قال: وشد عثمان بن خالد بن أسير الجهني وبشر بن سوط الهمداني ثم القابضي على عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب فقتلاه، ورمى عبد الله بن عزرة الخثعمي جعفر بن عقيل بن أبي طالب فقتله.^(١)

موارد الاعتبار:

١- سردت رواية الطبري من قتلى بني عقيل بن أبي طالب ثلاثة، هم:

● عبدالله بن مسلم بن عقيل.

● عبدالرحمن بن عقيل.

● جعفر بن عقيل.

ومن آل جعفر بن أبي طالب شخصاً واحداً هو محمد بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب.

٢- الاعتبار يقتضي أن يكون قتال هؤلاء قبل مقتل على الأكبر باعتبارهم أبعد نسباً،

مما يظهر أن الأسرة وجدت تقدم على الأكبر عليها أوضح حجة من تقدم غيره من

الأسرة؛ إذ لو كان أحد بني مسلم بن عقيل تقدم للحرب لكان لموضع الاتهام بالثأر وارداً،

لذلك لم يتقدم أحد من آل عقيل على وضوح الهدف.

٣- ربما يظهر أن هذه الجماعة من آل عقيل تقدمت في مجموعة في آن واحد، وأن

أولهم في مقتل عبدالله بن مسلم بن عقيل وآخرهم جعفر بن عقيل.

(٧)

القاسم بن الحسن

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: فحدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال: خرج اليينا غلام

كأن وجهه شقة قمر، في يده السيف، عليه قميص وإزار ونعلان، قد انقطع شسع أحدهما،

ما أنسى أنها اليسرى، فقال لي عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي: والله لاشدنّ عليه، فقلت

له: سبحان الله، وما تريد إلى ذلك، يكفيك قتل هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوهم، قال:

فقال: والله لاشدنّ عليه، فشدّ عليه، فما ولي حتى ضرب رأسه بالسيف، فوقع الغلام

لوجهه، فقال: يا عماء، قال: فجلى الحسين كما يجلي الصقر، ثم شدّ شدة ليث أغضب،

فضرب عمرا بالسيف فاتقاه بالساعد فأطنّها من لدن المرفق فصاح، ثم تنحى عنه،

وحملت خيل لأهل الكوفة ليستنقذوا عمرا من حسين، فاستقبلت عمرا بصدورها،

فحركت حوافرها، وجالت الخيل بفرسانها عليه فتوطأته حتى مات، وانجلت الغبرة فإذا

أنا بالحسين قائم على رأس الغلام، والغلام يفحص برجليه، وحسين يقول: بعداً لقوم

قتلوك، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك.

ثم قال: عزّ والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك ثم لا ينفعك، صوت والله

كثر واطره، وقلّ ناصره.

ثم احتمله، فكأنني أنظر إلى رجلي الغلام يخطّان في الارض، وقد وضع حسين صدره على صدره، قال: فقلت في نفسي: ما يصنع به؟ فجاء به حتى ألقاه مع ابنه علي بن الحسين وقتلى قد قتلت حوله من أهل بيته، فسألت عن الغلام فقيل: هو القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب^(١).

موارد الاعتبار:

١ - في خروج القاسم في حالة عادية (عليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شسع أحدهما) دلالة واضحة على استقباله الاستشهاد، وعدم الإهتمام بالحشد العسكري، ولا الآلات العسكرية من السهام والسيوف، وهو يرى أن التسابق إلى الشهادة أولى من إصلاح شسع نعله، وفي نفس الوقت يكشف عن المراقبة الدقيقة لجيش العدو للموقف.

٢ - أن محاولة حميد بن مسلم من منع الأزدي عن قتل القاسم لها دلالتها على الدافع الذاتي لدى الأزدي، مع كثرة من يمكنه القيام بالمهمة.

٣ - استجابة الحسين لصرخة ابن أخيه (يا عماء) (فجلى الحسين كما يجلي الصقر، ثم شدّ شدة ليث اغضب) لها دلالتها على الحب العميق الذي كان يحمله الحسين لابن أخيه، هذا باعتباره وديعة يتيمة من أخيه الحسن.

٤ - رثاء الحسين للقاسم (عزّ والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك ثم لا ينفعك) تدل على شدة الضيق الذي كان يعانيه الحسين في هذه اللحظة مما لم يسبق له مثيل من قبل.

(٨)

عبد الله بن الحسين

رواية الطبري:

قال: ولما قعد الحسين أُتي بصبي له فأجلسه في حجره، زعموا أنه عبد الله بن الحسين.

قال أبو مخنف: قال عقبة بن بشير الاسدي، قال لي أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين: إن لنا فيكم يا بني أسد دما، قال: قلت: فما ذنبي أنا في ذلك، رحمك الله يا أبا جعفر، وما ذلك؟ قال: أتي الحسين بصبي له فهو في حجره إذ رماه أحدكم يا بني أسد بسهم فذبحه، فتلقى الحسين دمه فلما ملأ كفيه صبه في الارض، ثم قال: رب إن تك حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير، وانتقم لنا من هؤلاء الظالمين.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - في رمي الصبي عبدالله وهو في حجر الحسين دلالة على أن جيش العدو كان يحاول بكل وسيلة ممكنة أن يثبّط من عزم الحسين وصموده، فإن الصبي لم يكن من المحاربين، ولم يكن الحسين في مثل هذه الحالة محارباً.

٢ - إن وجود عبدالله في حجر الحسين يكشف عن أن الحسين كان يودّع ابنه الصغير في تلك اللحظة وأنه شعر أن تلك هي اللحظات الأخيرة من حياته.

٣ - أن خطاب الباقر للأسدي: (إن لنا فيكم يا بني أسد دماً) لا يمكن أن يحمله الباقر ذنباً، بل لسبب يقتضيه الحال وهو التذكير بذكرى مقتل الحسين في أية مناسبة متاحة.

٤ - دعاء الحسين بعد مقتل الصبي في حجره يكشف عن اليأس المطلق من الناس، ويؤكد على أمرين: الإيمان بالمصلحة الإلهية (فاجعل ذلك لما هو خير). والجزاء العادل للظلم (انتقم لنا من هؤلاء الظالمين).

(٩)

أبوبكر بن الحسين

رواية الطبري:

قال: ورمى عبد الله بن عقبة الغنوي أبابكر بن الحسين بن عليّ بسهم فقتله، فلذلك يقول الشاعر - وهو ابن أبي عقبة -

وَعِنْدَ غَنِيٍّ قَطْرَةٌ مِّنْ دِمَائِنَا وفي أسد أخرى تَعْدُّ وتذكر

موارد الاعتبار:

هذا ثاني ولد الحسين الذي قتل بالرمي وفي ذلك دلالة على تطويق عائلة الحسين تطويقاً كاملاً يمكن إصابة الرمي بسهولة.

(١١ - ١٢)

إخوة العباس

رواية الطبري:

قال: وزعموا أن العباس بن عليّ قال لاختوته من أمه - عبد الله وجعفر وعثمان - يا بني أمي تقدّموا حتى أرثكم، فإنه لا ولد لكم، ففعلوا فقتلوا، وشدّ هاني بن ثبيت الحضرمي على عبد الله بن عليّ بن أبي طالب فقتله ثم شدّ على جعفر بن عليّ فقتله وجاء برأسه ورمى خولّى بن يزيد الاصبحي عثمان بن عليّ بن أبي طالب بسهم، ثم شدّ عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتله وجاء برأسه، ورمى رجل من بني أبان بن دارم محمد بن عليّ بن أبي طالب فقتله وجاء برأسه.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - كان إخوة العباس الثلاثة يمثلون الخط الدفاعي الأخير عن الحسين، وقد اشترك الأخوة الأربعة في الحرب بمواقف ثابتة تقدمت الإشارة إليها في رفضهم الأمان الذي حمله اليهم شمر ليلة عاشوراء.

٢ - اقترح العباس - إن صحت الرواية - تدلّ على روح المرح الذي كان يسود هؤلاء المستشهدين، فإن الموقف لم يكن موقف من ينجوا بنفسه، وقد سبقت مواقف مشابهة من أصحابه الذين أبدوا مسابقتهم للقاء الله بالشهادة.

٣ - لم تذكر رواية الطبري مقتل العباس بتفصيل وتحفظ روايات أهل البيت تفصيل ذلك ولعل في النسخة المطبوعة من الطبري سقط.

(١٣)

غلام من آل الحسين

رواية الطبري:

قال هشام: حدثني أبو الهذيل رجل من السكون عن هاني بن ثابت الحضرمي، قال: رأيته جالسا في مجلس الحضرميين في زمان خالد بن عبد الله وهو شيخ كبير، قال: فسمعتة وهو يقول: كنت ممن شهد قتل الحسين قال: فوالله إني لواقف عاشر عشرة، ليس منا رجل إلا على فرس، وقد جالت الخيل وتصعصعت؛ إذ خرج غلام من آل الحسين وهو ممسك بعود من تلك الابنية، عليه إزار وقميص، وهو مذعور يتلفت يمينا وشمالا، فكأنني أنظر إلى درتين في أذنيه تذبذبان كلما التفت، إذ أقبل رجل يركض إذا دنا منه مال عن فرسه ثم اقتصد الغلام فقطعه بالسيف.

قال هشام: قال السكوني: هاني بن ثابت هو صاحب الغلام فلما عتب عليه كنى عن

نفسه.^(١)

موارد الاعتبار:

- ١ - تكشف هذه الرواية عن الحالة النفسية التي عاشها الأطفال في هذه اللحظة، فهذه الرواية تصف من حالات الغلام من آل الحسين ما يأتي:
 - أ - فهو (غلام) فاي ليس برجل محارب ولا يمكنه الدفاع عن النفس.
 - ب - (إذ خرج) يريد التطلع على ما يحصل خارج الخيام.
 - ج - (ممسك بعمود من تلك الأبنية) فلا خطر منه إطلاقاً.
 - د - (عليه إزار وقميص) فهو في حالة طبيعية عادية.
 - هـ - (وهو مذعور يلتفت يميناً وشمالاً) فهو خائف من المفاجئات المترتبة.وهذه حالات الذعر والخوف للأطفال مترتبة في مثل هذه المواقف.
- ٢ - ومن جهة أخرى: فإن من جاء لمهمة قتل الغلام هو فارس (يركض حتى إذا دنا منه مال عن فرسه، ثم قصد الغلام وقطعه بالسيف) مما يظهر أنه لم يكن مهرب للطفل من هذا الفارس الذي جاءه يركض بسرعة.
- ٣ - ان الذين أحاطوا بالغلام كانوا عشرة، وكان الحضرمي (عاشر عشرة ليس من رجل إلا على فارس) فتطويق الغلام الراجل بالفرسان كان بنسبة واحد إلى عشرة.

الحسين وحيداً

عطش الحسين

رواية الطبري:

قال هشام: حدثني عمرو بن شمر عن جابر الجعفي قال: عطش الحسين حتى اشتد عليه العطش، فدنا ليشرب من الماء، فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع في فمه، فجعل يتلقى الدم من فمه ويرمي به إلى السماء، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم جمع يديه فقال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تذر على الأرض منهم أحداً.

قال هشام: عن أبيه محمد بن السائب عن القاسم بن الاصبغ بن نباتة قال: حدثني من شهد الحسين في عسكره أن حسيناً حين غلب على عسكره ركب المسناة يريد الفرات قال: فقال رجل من بني أبان بن دارم: ويلكم حولوا بينه وبين الماء لا تتام إليه شيعته، قال: وضرب فرسه وأتبعه الناس حتى حالوا بينه وبين الفرات. فقال الحسين: اللهم أظمه، قال: ويتنزع الاباني بسهم فأثبتته في حنك الحسين، قال: فانتزع الحسين السهم ثم بسط كفيه فامتلاًت دما، ثم قال الحسين: اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك، قال: فوالله إن مكث الرجل إلا يسيراً حتى صبّ الله عليه الظماً، فجعل لا يروي. قال القاسم بن الاصبغ: لقد رأيتني فيمن يروّح عنه والماء يبرّد له فيه السكر وعساس فيها اللبن وقلال فيها الماء، وإنه ليقول: ويلكم اسقوني، قتلني الظماً. فيعطى القلة أو العس كان مروياً أهل البيت، فيشربه فإذا نزعه من فيه اضطجع الهنيهة ثم يقول: ويلكم اسقوني قتلني الظماً، قال: فوالله ما لبث إلا يسيراً حتى انقذّ بطنه انقداد بطن البعير.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - عطش الحسين في مثل هذه اللحظة أمر طبيعي، وقد حُصِر هو وأصحابه عن الماء منذ اليوم السابع من محرم، وقد مضت ثلاثة أيام بلياليها وهم على هذه الحال، وقد كان هذا اليوم العاشر يوم قتال مستمرٍّ وحركة دائبة لحمل المقتولين من ساحة المعركة.

٢ - جملة (فدني ليشرب من الماء) لا تعني وجود الماء عنده، بل محاولة للوصول إلى الفرات كما تفسرها الجملة الأخيرة (أن حسيناً حين غلب على عسكره ركب المسنّة يريد الفرات فمنعوه).

٣ - رمي الحسين بالدم إلى السماء على أثر السهم الذي رمي به (وقع في فمه فجعل يتلقى الدم من فمه ويرمي به إلى السماء) تصوير للحالة التي انتهت إليه وهي حالة غير متوقّعة.

٤ - عرفت قيادة جيش العدو أن المادة الوحيدة التي تمدّ الحسين في المقاومة هي الماء، فنادت: (ويلكم حولوا بينه وبين الماء) فقام من رماه بالسهم في فمه و (اتبعه الناس حتى حالوا بينه وبين الفرات).

٥ - الوسيلة البديلة كان هو الدعاء، ويتضمن دعاء الحسين عدة نقاط:

أ - (حمد الله وأثنى عليه).

ب - (أحصهم عدداً).

ج - (أقتلهم بدداً).

د - (ولا تذر على الأرض منهم أحداً).

وقد استجاب الله دعاء الحسين كما يثبتته النسخ في مواقف المختار وما بعده.

الهجوم على الحرم

رواية الطبري:

قال أبو مخنف في حديثه: ثم إن شمر بن ذي الجوشن أقبل في نفر نحو من عشرة من رجالة أهل الكوفة قبل منزل الحسين الذي فيه ثقله وعياله، فمشى نحوه، فحالوا بينه وبين

رحله فقال الحسين: ويلكم إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم المعاد، فكونوا في أمر دنياكم أحراراً ذوي أحساب، امنعوا رحلي وأهلي من طغامكم وجهالكم، فقال ابن ذي الجوشن: ذلك لك يا ابن فاطمة.^(١)

موارد الاعتبار:

- ١ - أن نسبة المهاجمين على الحسين في هذه اللحظة كان بنسبة الواحد إلى العشرة (إن شمر بن ذي الجوشن أقبل في نحو من عشر رجاله).
- ٢ - المسافة بين موقع الحسين وعياله لم يحدّد بالضبط، وهي على كل حال كانت تقتقر إلى المشي (مشى نحوه).
- ٣ - الحسين أصبح راجلاً من دون فرس حيث مشى (نحو ثقله وعياله) للمهمة التي ينوبها وإن لم تعرف بالضبط، ومنعه جيش العدو الذي كلهم كانوا رجّاله.
- ٤ - أصبح الحسين مطوّقاً كاملاً من جيش العدو (فحالوا بينه وبين رجله).
- ٥ - هؤلاء العشرة كانوا من قادة جيش العدو حيث خاطبهم الحسين بقوله: (امنعوا رحلي وأهلي من طغامكم وجهالكم).
- ٦ - أن المهمة التي قصدتها الحسين بالمشي إلى رحله وإن لم تعرف بالضبط إلا أنها ظاهراً لاجل الدفاع عن حريمه مما يظهر أن خطة جيش العدو كانت بمواجهة الحسين من جانبيين: ١- تطويق الحسين بهؤلاء العشرة من جانب. ٢- والهجوم على الحرم بواسطة الطغام والجهال من جانب آخر.
- ٧ - إن الحسين أكّد بكلمة قصيرة على مواقف الجانبين حيث خاطب هؤلاء القادة بقوله: (إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم المعاد فكونوا في أمر دنياكم أحراراً ذوي أحساب) فقد تضمّنت هذه الكلمة:
- أولاً: عدم التزامهم بالثوابت الإسلامية (الدين والمعاد).

ثانياً: تخليّهم حتى عن العادات القبلية والأعراف المتبعة (الحرية في الدنيا).
 ٨ - الحسين وهو في هذه الحالة خاطب القادة خطاب الأمر القوي بقوله: (ويلكم...
 امنعوا رحلي وأهلي من طغامكم وجّهالكُم) مؤكّداً موقعه الأمر بالثوابت الإسلامية التي
 يجب اتباعها، وقد تنكر عليها جيش العدو.

تطويق الحسين

رواية الطبري:

قال: وأقدم عليه بالرجالة، منهم أبو الجنوب - واسمه عبد الرحمن الجعفي - والقشعم
 ابن عمرو بن يزيد الجعفي وصالح بن وهب اليزني وسان بن أنس النخعي وخولي بن
 يزيد الاصبحي، فجعل شمر بن ذي الجوشن يحرضهم، فمرّ بأبي الجنوب وهو شاكّ في
 السلاح فقال له: أقدم عليه، قال: وما يمنعك أن تقدم عليه أنت؟ فقال له شمر: ألي تقول
 ذا؟ قال: وأنت لي تقول ذا؟ فاستبّأ، فقال له أبو الجنوب وكان شجاعاً: والله لهما لهما
 أخضخض السنان في عينك قال: فانصرف عنه شمر وقال: والله لئن قدرت على أن أضرك
 لأضرك، قال: ثم إن شمر بن ذي الجوشن أقبل في الرجالة نحو الحسين، فأخذ الحسين
 يشدّ عليهم فينكشفون عنه، ثم إنهم أحاطوا به إحاطة، وأقبل إلى الحسين غلام من أهله
 فأخذته أخته زينب ابنة علي لتحبسه فقال لها الحسين: احبسيه، فأبى الغلام وجاء يشتد
 إلى الحسين، فقام إلى جنبه، قال: وقد أهوى بحر بن كعب بن عبيد الله من بني تيم الله بن
 ثعلبة بن عكابة إلى الحسين بالسيف، فقال الغلام: يا ابن الخبيثة، أتقتل عمي؟ فضربه
 بالسيف فاتقاه الغلام بيده فأطّنها إلا الجلد فإذا يده معلقة، فنادى الغلام: يا أمتاه، فأخذه
 الحسين فضمّه إلى صدره وقال: أيا ابن أخي، اصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك
 الخير، فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين: برسول الله وعلي بن أبي طالب وحمة
 وجعفر والحسن بن عليّ صلى الله عليهم أجمعين.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال: سمعت الحسين
 يومئذ وهو يقول: اللهم أمسك عنهم قطر السماء وامنعهم بركات الارض، اللهم فإن متّعتهم

إلى حين ففرقهم فرقا واجعلهم طرائق قددا، ولا ترض عنهم الولاية أبدا، فإنهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا فقتلونا. قال: وضارب الرجالة حتى انكشفوا عنه، قال: ولما بقي الحسين في ثلاثة رهط أو أربعة دعا بسر اويل محققة، يلمع فيها البصر يسماني محقق، ففرزه ونكته لكيلا يسلبه، فقال له بعض أصحابه: لو لبست تحته تبتانا؟ قال: ذلك ثوب مذلة ولا ينبغي لي أن ألبسه، قال: فلما قتل أقبل بحر بن كعب فسلبه إيّاه، فتركه مجردا.

قال أبو مخنف: فحدثني عمرو بن شعيب عن محمد بن عبد الرحمن أن يدي بحر بن كعب كانتا في الشتاء ينضحان الماء، وفي الصيف يبيسان كأنهما عود.

قال أبو مخنف: عن الحجاج بن عبد الله بن عمار بن عبد يغوث البارقى: وعتب على عبد الله به عمار بعد ذلك مشهده قتل الحسين فقال عبد الله بن عمار: إن لي عند بني هاشم ليذا، قلنا له: وما يدك عندهم؟ قال: حملت على حسين بالرمح فأنتهيت إليه فوالله لو شئت لطعنته، ثم انصرفت عنه غير بعيد، وقلت: ما أصنع بأن أتولى قتله، يقتله غيري. قال: فشدّ عليه رجالة ممن عن يمينه وشماله فحمل على من عن يمينه حتى ابذعروا، وعلى من عن شماله حتى ابذعروا، وعليه قميص له من خزّ وهو معتم، قال: فوالله ما رأيت مكسورا قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشا ولا أمضى جنانا منه، ولا أجرا مقدما، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله، إن كانت الرجالة لتتكشف من عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب. قال: فوالله إنه لكذلك إذ خرجت زينب ابنة فاطمة أخته، وكأني أنظر إلى قرطها يجول بين أذنيها وعاتقها، وهي تقول: ليت السماء تطابقت على الأرض، وقد دنا عمر بن سعد من حسين فقالت: يا عمر بن سعد، أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ قال: فكأني أنظر إلى دموع عمر وهي تسيل على خدي ولحيته، قال: وصرف بوجهه عنها.^(١)

موارد الاعتبار:

١- صمد الحسين صموداً مبدئياً لا مثيل له في التاريخ في هذا التطويق، وقد اعترف به أحد قادة الجيش قائلاً: (فوالله ما رأيت مكسوراً قط، قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه، أربط جأشاً، ولا أمضى جناحاً منه، ولا أجراً مقدماً، والله ما رأيت قبله مثله، إن كانت الرجالة لتتكشف من عن يمينه وشماله إنكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب).

٢- قامت أخته زينب بمحاولة أخيرة من جانبها وخاطبت جيش العدو وقالت: (يا عمر بن سعد، أيقنتل أبو عبدالله وأنت تنظر إليه؟) ولم يتمالك القائد نفسه حيث رؤيت (دموع عمر تسيل على خديه ولحيته، وصرف بوجهه عنها).

٣- واجه الحسين هذا الظرف بالثابتة الإسلامية: الصبر على المصيبة، حيث وصى ابن أخيه بقوله: «يا بن أخي أصبر على ما نزل بك» وقال: (فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين، برسول الله وعلي بن أبي طالب وحمزة وجعفر والحسين صلوات الله عليهم أجمعين) كما يظهر أن الموقع لم يكن بعيداً (عن أهله) حيث (أقبل إلى الحسين غلام من أهله فأخذه زينب بنت علي لتحبسه).

٤- دعاء الحسين على جيش العدو يتضمّن نقاط صادقة:

أ- (اللهم أمسك عنهم قطر السماء).

ب- (امنعمهم بركات الأرض).

ج- (اللهم فإن متّعتهم إلى حين ففرّقهم فرقاً).

د- (واجعلهم طرائق قددا).

هـ- (ولا ترض الولاة عنهم أبداً).

٥- كان الحسين مستعداً من قبل لمثل هذا اليوم، ولما بقي في ثلاثة رهط أو أربعة دعى بسر أويل تلمع فيها البصر، ففرزه لكيلا يسلبه، ولم يمنع ذلك جيش العدو من سلب هذا (فلما قتل أقبل بحر بن كعب فسلبه إياه فتركه مجرّداً).

٦- أصبح الحسين معزولاً عن كل شيء سوى هؤلاء العشرة الذين طوّقوه وقائدهم

شمر بن ذي الجوشن (يحرّضهم).

٢٣٠ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

٧- هؤلاء العشرة لم يكن أي واحد منهم يرغب في المباشرة بقتل الحسين، وكان أبو الجنوب شاكاً بالسلاح.

فقال له الشمر: (أقدم عليه، وما يمنعك؟).

فأجابه أبو الجنوب: (وما يمنعك أن تقدم عليه أنت؟).

فقال شمر: «إلي تقول ذا؟».

فأجابه: «وأنت لي تقول؟» فأستأبأ، ثم قال أبو الجنوب: (والله لهمت أن أخضض السنان في عينك) مما يكشف عن محاولة كل واحد منهم أن يلطخ يد الآخر بالجريمة دون نفسه.

٨- وفي هذه اللحظة الأخيرة قاوم الحسين بما يتمكن (يشدّ عليهم فيكشفون عنه) بالرغم من علمه أن ذلك لا ينفع.

قبل أن يقتل

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير عن حميد بن مسلم قال: كانت عليه جبة من خزّ وكان معتما وكان مخضوباً بالوسمة، قال: وسمعته يقول قبل أن يقتل وهو يقاتل على رجله قتال الفارس الشجاع، يتقي الرمية ويفترص العورة، ويشد على الخيل وهو يقول: أعلى قتلي تحاثون؟ أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله الله أسخط عليكم لقتله منّي، وإيم الله إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون، أما والله ان لو قد قتلتموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم، وسفك دماءكم، ثم لا يرضي لكم حتّى يضاعف لكم العذاب الاليم.^(١)

موارد الاعتبار:

١- الحسين كان في حالة مستعدة للشهادة، عليه جبة خزّ وهو (يقاتل على رجله) أولاً هؤلاء العشرة الذين أحاطوا به. وثانياً الرماة الذين كانوا يوجهون إليه السهام، وفي نفس الوقت كان:

أ- (يتقي الرمية).

ب- (يفترص العورة).

ج- (يشدّ على الخيل).

مما يكشف عن وقوعه في موقع منخفض بينما كان جيش العدو في موقع مرتفع عليه، ولهم الإشراف بالرمي:

٢- كان كلام الحسين - وربما كانت آخر كلمة في حياته - تتضمن النقاط التالية:

أ- (أعلى قتلي تحاثون؟).

ب- (أما والله لا تقتلون بعدي عبداً... الله أسخط عليكم لقتله مني).

ج- (أني لأرجو ليكرمني الله بهوانكم).

د- (ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون).

هـ- (أن لو قد قتلتموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم وسفك دمائكم، ثم لا يرضى لكم حتى يضاعف عليكم العذاب الأليم).

الاعتداء على الحسين

رواية الطبري:

قال: ومكث الحسين طويلاً من النهار كلما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه وكره أن يتولى قتله وعظيم إثم عليه، قال: وإن رجلاً من كندة يقال: له مالك بن النسير من بني بداء أتاه فضربه على رأسه بالسيف وعليه برنس له، فقطع البرنس وأصاب السيف رأسه، فأدمى رأسه فامتلاً البرنس دماً، فقال له الحسين: لا أكلت بها ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين، قال: فألقى ذلك البرنس، ثم دعا بقلنسوة فلبسها واعتم، وقد أعيا وبلد،

وجاء الكندي حتى أخذ البرنس وكان من خز، فلما قدم به بعد ذلك على امرأته أم عبد الله ابنة الحر أخت حسين بن الحر البدي أقبل يغسل البرنس من الدم، فقالت له امرأته: أسلب ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تدخل بيتي؟ أخرجه عني فذكر أصحابه أنه لم يزل فقيراً بشر حتى مات.^(١)

موارد الاعتبار:

١- المحاولات العديدة لقتل الحسين بالذات (كلما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه وكره أن يتولى قتله) من دون المباشرة، تكشف عن أن الأوامر العسكرية كانت تصدر من القيادة، والمأمورون لم يؤمنوا بها بل كانوا على علم بعظيم الأثم وأنها جريمة يجب الإنصراف عنها.

٢- الذي ضرب بالسيف على برنس الحسين كان ينتجراً خطوة فخطوة مراقباً لردود فعل الحسين، ولما رماه الحسين بالبرنس جاء الكندي حتى أخذ البرنس.

٣- إستبدل الحسين البرنس بـ (قلنسوه لبسها واعتّم) عملاً بالسنة الإسلامية من لبس العمامة بالرغم من ظروف الحرب.

٤- لقد بدى على جسم الحسين الضعف (وقد أعْيى) وطبيعي أن يكون من أثر السيف الذي أدمى رأسه فامتلاً البرنس دماً.

قتل الحسين

رواية الطبري:

قال: ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا، ولكنهم كان يتنقي بعضهم ببعض، ويحبّ هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء، قال: فنأدى شمر في الناس: ويحكم، ماذا تنظرون بالرجل، اقتلوه ثكلتكم امهاتكم. قال: فحمل عليه من كل جانب، فضربت كفه

اليسري ضربة، ضربها زرعة بن شريك التميمي، وضرب على عاتقه، ثم انصرفوا وهو ينوء ويكبو، قال: وحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو النخعي قطعنه بالرمح، فوقع، ثم قال لخولّي بن يزيد الاصبحي: احتز رأسه، فأراد أن يفعل فضعف فأرعد، فقال له سنان بن أنس: فتّ الله عضديك وأبان يديك، فنزل إليه فذبحه واحتزّ رأسه، ثم دفع إلى خولّي بن يزيد وقد ضرب قبل ذلك بالسيوف.^(١)

موارد الاعتبار:

١- لم يبادر أحدٌ من جيش العدو إلى قتل الحسين مباشرة في هذه اللحظة، بالرغم من قدرتهم على ذلك (ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعّلوا) وذلك أن كلاً منهم لم يرد أن تتلطح يده بدمه أو يلام على فعله.

٢- كان هؤلاء المأمورين على علم ببطلان القرار العسكري، ربما ما عدا شمر حيث نادى: (ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل، اقتلوه ثكلتكم أمّهاتكم) فحملوا عليه من كل جانب.

٣- كان الحسين يقاوم هؤلاء وهو واقف على رجليه أو على فرسه، وبعد أن ضرب على منكبه الأيسر ثم على عاتقه ثم طعنه بالرمح وقع.

٤- أمر شمر خولّي قاتلاً: (احتز رأسه) وأراد خولّي أن يفعل (فصعق وأرعد) مما يظهر استيقاظ ضميره في هذه اللحظة، وكان الدور القاضي على حياة الحسين لسنان (فنزل إليه فذبحه واحتزّ رأسه).

٥- يستكشف من كلمة (نزل) أن الحسين كان في موضع منخفض، وإن العشرة الذين طوّقوه كانوا يستخدمون الفرس.

سلب الحسين

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: عن جعفر بن محمد بن عليّ قال: وجد بالحسين عليه السلام حين قتل ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة، قال: وجعل سنان بن أنس لا يدنو أحد من الحسين إلا شدّ عليه مخافة أن يغلب على رأسه حتى أخذ رأس الحسين فدفعه إلى خوّلّي، قال: وسلب الحسين ما كان عليه: فأخذ سراويله بحر بن كعب، وأخذ قيس بن الاشعث قطيفته وكانت من خز، وكان يسمّى بعد: قيس قطيفة، وأخذ نعليه رجل من بني أود يقال له: الاسود، وأخذ سيفه رجل من بني نهشل بن دارم، فوقع بعد ذلك إلى أهل حبيب بن بديل^(١).

موارد الاعتبار:

١ - تحدّد رواية الطبري الطعنات بثلاث وثلاثين وعدد الضربات بأربعة وثلاثين، ومجموعها سبعة وستين، ولكن الضربة الأخيرة القاضية كانت طعنة سنان فتكون الطعنات والضربات على الأغلب من آثار المواجهة من صباح يوم عاشوراء حتى وقت صلاة العصر حوالي الساعتين بعد منتصف النهار، أو أنها حصلت حين القتل حقداً وتشقيّاً.

٢ - كان قادة الجيش يتنافسون فيما بينهم للتقرب إلى السلطة بسلب الحسين مما دعى سنان إلى أن يستأثر بذلك لنفسه (وجعل سنان بن أنس لا يدنو أحداً من الحسين إلا شدّ عليه مخافة أن يغلب على رأسه).

٣ - كان سلب الحسين يتكوّن من:

أ - سراويله.

ب - قطيفة من خز.

ج - نعليه.

د - وسيف.

وقد تقدمت الرواية: (فلما قتل أقبال بحر بن كعب فسلبه إياه فتركه مجرداً).

نهب متاع الحسين

رواية الطبري:

قال: ومال الناس على الوركس والحلل والابل وانتهبوها، قال: ومال الناس على نساء الحسين وثقله ومتاعه؛ فإن كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب به منها.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - كانت المهمة الرئيسية لجيش العدو قتل الحسين، وقد حصل، وانتهت المعركة بنصر خمسة آلاف جندي من جيش العدو، ضد اثنين وسبعين من أصحاب الحسين، وانتهت بمحاربة عشرة من قادة الجيش ضد واحد هو الحسين.

٢ - وكانت الخطوة التالية لجيش العدو: نهب متاع الحسين، وهي على الأغلب خطة عسكرية، وقد تلقّت الضوء الأخضر من القيادة، وقد كان المنهوبات من متاع الحسين:

أ - الوركس.

ب - الحلل.

ج - الإبل.

د - ثقل الحسين.

هـ - متاع الحسين.

وقد شمل النهب ما يخص النساء (فإن كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب

عليه فيذهب به منها). ومرة أخرى كشف جيش العدو طرحة لكل الثوابت الإسلامية والأعراف القبلية.

آخر قتيل

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني زهير بن عبد الرحمن الخثعمي أن سويد بن عمرو بن أبي المطاع كان صرع، فأثخن فوق بين القتلى مشخا، فسمعهم يقولون: قتل الحسين، فوجد إفاقة فإذا معه سكين، وقد أخذ سيفه، فقاتلهم بسكينه ساعة، ثم إنه قتل، قتله عروة بن بطار التغلبي وزيد بن رقاد الجنبي، وكان آخر قتيل.^(١)

موارد الاعتبار:

أثبت سويد التزامه الإسلامي المبدئي في شرعية المقاومة بعد علمه بمقتل الحسين (فوق بين القتلى مشخا فسمعهم يقولون: قتل الحسين) فأخذ يقاتلهم (بسكينه ساعة ثم قتل) وهو يعلم أنه مقتول لا محالة، فكان آخر قتيل.

على الأصغر

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم، قال: انتهيت إلى علي بن الحسين بن علي الأصغر، وهو منبسط على فراش له، وهو مريض، وإذا شمر بن ذي الجوشن في رجالة معه يقولون: ألا نقتل هذا؟ قال: فقلت: سبحان الله، أنقتل الصبيان إنما هذا صبي، قال: فما زال ذلك دأبي أدفع عنه كل من جاء، حتى جاء عمر بن سعد فقال: ألا لا يدخلن بيت هؤلاء النسوة أحد، ولا يعرضن لهذا الغلام المريض، ومن أخذ من

متاعهم شيئاً فليرده عليهم، قال: فوالله ما ردّ أحد شيئاً قال: فقال عليّ بن الحسين: جزيت من رجل خيراً، فوالله لقد دفع الله عني بمقاتلتك شراً.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - اهتمام شمر بقتل علي الأصغر بن الحسين بالرغم من صغر سنه وكونه مريضاً يكشف عن روح انتقامية في شخصية شمر، وجملة (ألا تقتل هذا؟) قد تكون استفهامية وقد تكون اقتراحاً منه، وهو الأظهر والأوفق بروح شمر التي ظهرت منه مثيلاته في مواقف سابقة.

٢ - دفاع حميد بن مسلم عن علي الأصغر في هذا الموضع بالذات إنما كان استناداً إلى الأسباب التالية:

أ - (منبسط على الفراش) وهذا يعني أنه غير محارب.

ب - (وهو مريض).

ج - (هذا صبي).

فقد اقتنع شمر بهذا السبب الأخير فقط، خاصة بعد العلم بأنه لا خطر منه لصغره ومرضه.

٣ - تطوّع حميد بن مسلم (للدفاع عن علي بن الحسين) وربما كان ذلك لروح عاطفية أو كان ذلك تقريباً لقائد الجيش الأعلى الذي كان يمثل الجانب غير المتشدد، ومهما كانت أسباب هذا التطوّع فإنه عملٌ جدير بالشكر، فشكره علي بن الحسين، ومن لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق.

٤ - لقد أعلن قائد الجيش الأعلى: عمر بن سعد، البنود التالية:

أ - (لا يدخلن بيت هؤلاء القوم أحد).

ب - (لا يعرضن لهذا الغلام المريض).

ج - (ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليردّه عليهم).

وهذا القرار وإن جاء متأخراً لكنه لم ينفذ في جميع بنوده، وخاصة البند الأخير كما صرحت به الرواية: (فوالله ما رد أحد شيئاً).

رأس الحسين

رواية الطبري:

قال: فقال الناس لسنان بن أنس: قتلت حسين بن عليّ وابن فاطمة ابنة رسول الله ، قتلت أعظم العرب خطراً، جاء إلى هؤلاء يريد أن يزيلهم عن ملكهم، فأنت أمراءك فاطلب ثوابهم، وإنهم لو أعطوك بيوت أموالهم في قتل الحسين كان قليلاً، فأقبل على فرسه وكان شجاعاً شاعراً، وكانت به لوثة، فأقبل حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد، ثم نادى بأعلى صوته:

أوقر ركابي فضّة وذهباً أنا قتلت الملك المحجّباً
قتلت خير الناس أمّا وأبا وخيرهم إذ ينسبون نسباً

فقال عمر بن سعد: أشهد أنك لمجنون ما صحبت قط، أدخلوه عليّ، فلما أدخل حذفه بالقضيب، ثم قال: يا مجنون، أتتكلم بهذا الكلام؟، أما والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك^(١)

موارد الاعتبار:

- ١ - تصريح الرواية بخلل عقلية سنان بن أنس (كانت به لوثة) تكشف عن استخدام جيش العدو ضعاف النفوس وجهلة الناس، وذلك لتحقيق مآربها بواسطة هؤلاء، من دون أن يباشروها بأنفسهم، فقد يكون ذلك مخرجاً لسياستهم بإلقاء اللوم على الجهلة.
- ٢ - رجز سنان: (أنا قتلت الملك المحجّب) يكشف عن جهل كامل بحركة الحسين،

فالحسين لم يكن ملكاً قط، ولم يدّعي الملوكية قط، بل إنما كانت حركته محاربة فكرة الملوكية والرجوع إلى حكم الإسلام بالشورى.

٣- ذكر سنان أسباباً ثلاثة لما يستحقه من الجائزة، لأن يملأ ركابه ذهباً وفضة:

أ- كون الحسين (الملك المحجب).

ب- (خير الناس أماً وأباً).

ج- طهارة النسب.

وقد صدق في الأخيرين دون الأول كما تقدم.

٤- لقد دافع عمر بن سعد بنفسه عن سنان بإتهامه بالجنون؛ لانتفاذ حياته من العقاب،

حيث قال: (يا مجنون أتتكلم بهذا الكلام أما والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك).

فإن هذا المأمر قد نفذ أوامر عمر بن سعد، وليس كلامه أفضع من عمله، فمن المحتمل

قوياً أن يتهم ابن زياد عمر بن سعد بالتواطؤ على هذا الرجز وإعلانه، فيكون هو أيضاً ضحية.

ناجيان

رواية الطبري:

قال: وأخذ عمر بن سعد عقبة بن سمعان وكان مولى للرباب بنت امرئ القيس الكلبيّة

- وهي أم سكينّة بنت الحسين - فقال له: ما أنت؟ قال: أنا عبد مملوك، فخلّى سبيله، فلم

ينج منهم أحد غيره إلا أن المرقع بن ثمامة الاسدي كان قد نثر نبله وجثا على ركبتيه

فقاتل، فجاءه نفر من قومه فقالوا له: أنت آمن، اخرج إلينا، فخرج إليهم، فلما قدم بهم عمر

بن سعد على ابن زياد وأخبره خبره سيّره إلى الزارة.^(١)

موارد الاعتبار:

لم ينج في معركة كربلاء سوى النساء والأطفال وثلاثة من الرجال هم:

١ - علي بن الحسين الأصغر، كما تقدّم.

٢ - عقبة بن سمعان، وقد استجوبه عمر بن سعد فأجاب: (أنا عبد مملوك) فخلّى

سبيله.

٣ - المرقع بن ثمامة الأسدي، آمنه (نفر من قومه) فنفاه ابن زياد إلى الزارة.

وطء صدر الحسين وظهره

رواية الطبري:

قال: ثم ان عمر بن سعد نادى في أصحابه: من ينتدب للحسين ويوطئه فرسه؟ فانتدب عشرة، منهم: اسحاق بن حيوة الحضرمي، وهو الذي سلب قميص الحسين فبرص بعد، وأحبش بن مرثد بن علقمة بن سلامة الحضرمي، فأتوا فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدرة، فبلغني أن أحبش بن مرثد بعد ذلك بزمان أتاه سهم غرب وهو واقف في قتال ففلق قلبه، فمات.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - الانتداب لرؤ صدر الحسين (يوطيء فرسه) يكشف عن حقد دفين في نفسية الأمر، لا داعي له إطلاقاً بعد القضاء على المحارب في ساحة المعركة.

٢ - ان هذا الانتداب يناقض تماماً ما تقدم من عمر بن سعد وبكاؤه عند مواجهة زينب، وكذلك مفاوضاته للأصلاح، فكيف التوفيق؟

٣ - يظهر أن عمر بن سعد أراد أن ينقذ أوامر ابن زياد حرفياً؛ كي لا يفوته ملك الري الذي وعد به، فقد كان على خشية من أن ابن زياد يستغل أية مبادرة غير مرغوبة ليسحب

منه العهد.

٤- انتدب عشرة من مجموع خمسة آلاف لرض صدر الحسين وظهره، وهذا يكشف عن عدم الرغبة في صفوف الجيش من عمل إنتقامي كهذا، حيث لم يسبق له مثيل في الحروب الإسلامية.

دفن الحسين وأصحابه

رواية الطبري:

قال: فقتل من أصحاب الحسين (عليه السلام) اثنان وسبعون رجلاً ودفن الحسين وأصحابه أهل الغاضرية من بني أسد بعد ما قتلوا بيوم، وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى الجرحى، فصلّى عليهم عمر بن سعد ودفنهم.^(١)

موارد الاعتبار:

إن عدد القتلى من أصحاب الحسين (إثنان وسبعون رجلاً) وسيأتي في فصل أخير سرد أسمائهم.

قال الجلالى: ما ذكره الطبري من أن (دفن الحسين وأصحابه أهل الغاضرية من بني أسد بعد ما قتلوا بيوم) بد وإن يكون في ذلك تصحيف في كلمة (يوم)، وأن الصحيح: (يومين)، فيكون الدفن في اليوم الثالث عشر من محرم، ويؤيد ذلك أن الطبري سيذكر بعد ذلك بأن (أقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد) فيكون جيش العدو قد غادر كربلاء في اليوم الثاني عشر، ومن الطبيعي أن لا يتمكن أهل الغاضرية من دفن الحسين وأصحابه ما دام جيش العدو في الساحة، بل أنهم بعد خروج جيش العدو من الساحة في اليوم الثاني عشر تمكّنوا من الدفن بعد تأكدهم من عدم مراقبتهم، فيكون اليوم الثالث عشر لا محالة. ولا تزال العادة المتبعة في مسقط رأسي - كربلاء المقدسة - أن يجدّد عشيرة بني أسد

مراسيم ذكرى الدفن في اليوم الثالث عشر من المحرم حاملين معهم المساحي والزنايل في موكب عام جماهيري، يتوجهون فيه لزيارة مرقد الحسين لتجديد هذه الذكرى، وحدّثني والدي رحمه الله أن الموكب كان يتصدّره وجوه البلد من آل كمونة وهو الموكب الوحيد الذي يشترك فيه النساء والرجال، ومن شعاراتهم.

هلاً هلاً أنها حسين وينه بالسيوف مكطّعينه

متوجهين إلى قبر الحسين، ثم منه إلى مرقد أخيه العباس، وهي عادة جارية في كل عام حتى اليوم.

الرأس في أجانة

رواية الطبري:

قال: وما هو إلا أن قتل الحسين فسُرح برأسه من يومه ذلك مع خوّل بن يزيد وحמיד بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد، فأقبل به خوّل فأراد القصر فوجد باب القصر مغلقاً، فأتى منزله فوضعه تحت أجانة في منزله، وله امرأتان: امرأة من بني أسد والآخرى من الحضرميين يقال: لها النوار ابنة مالك بن عقرب، وكانت تلك الليلة ليلة الحضرمية. قال هشام: فحدثني أبي عن النوار بنت مالك قالت: أقبل خوّل برأس الحسين فوضعه تحت أجانة في الدار، ثم دخل البيت فأوى إلى فراشه، فقلت له: ما الخبر، ما عندك؟ قال: جئتك بغنى الدهر، هذا رأس الحسين معك في الدار، قالت: فقلت: ويلك جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله ؟، لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبداً، قالت: فقممت من فراشي فخرجت إلى الدار. فدعا الاسدية فأدخلها إليه، وجلست أنظر قالت: فوالله ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الاجانة، ورأيت طيراً بيضا ترفرف حولها، قال: فلما أصبح غدا بالرأس إلى عبيد الله بن زياد.^(١)

موارد الاعتبار:

- ١ - سرح قائد جيش العدو (رأس الحسين من يومه ذلك) فيكون قد وصل الراس إلى الكوفة قبل مغادرة الجيش كربلاء، والمسافة بين البلدين ليست أكثر من نهار.
- ٢ - صحب الراس إثنان: خولي الحامل للرأس والأزدي الذي يظهر أن دوره كان دور الحارس، خشية المواجهة مع المتعاطفين لحركة الحسين.
- ٣ - وصل الخولي ليلاً إلى الكوفة (فأراد القصر فوجد باب القصر مغلقاً) مما يكشف عن سرعة السير من كربلاء إلى الكوفة، فلو كان تحركه قبل غروب الشمس من يومه والمسافة قد تأخذ حوالي ست ساعات بالخيّل، فيظهر وصوله حوالي منتصف الليل.
- ٤ - كلام الخولي لزوجته: (جئتك بغنى الدهر) يكشف عن مدى سياسة التنظيم المستولية على أفراد الجيش، وجواب زوجته نوار: «لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيتاً أبداً» يكشف عن عمق الولاء لأهل بيت رسول الله حتى في عوائل جيش العدو.

الفصل الخامس
اسارى أهل البيت

الكوفة - الشام
١١ / محرم / ٦١ هـ

سبايا اهل البيت

١٢ / محرم / ٦١ هـ

رواية الطبري:

وأقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد، ثم أمر حميد بن بكير الاحمري فأذن في الناس بالرحيل إلى الكوفة، وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان وعليّ بن الحسين مريض.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو زهير العبسي عن قرة بن قيس التميمي قال: نظرت إلى تلك النسوة لما مررن بحسين وأهله وولده صحن ولطن وجوههن، قال: فاعترضتهن على فرس فما رأيت منظرا من نسوة قط كان أحسن من منظر رأيت منهن ذلك [اليوم]، والله لهن أحسن من مهايبرين، قال: فما نسيت من الأشياء لا أنسى قول زينب ابنة فاطمة حين مرت بأخيها الحسين صريعا وهي تقول: يا محمداه، يا محمداه، صلّي عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعرا، مرّمل بالدماء، مقطّع الأعضاء، يا محمداه، وبناتك سبايا، وذريّتك مقتلة تسفي عليها الصبا. قال: فأبكت - والله - كلّ عدوّ وصديق.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - يتبدى تاريخ الأسر بالعاشر من محرم احدى وستين هـ ويستمر حتى موعد الرحيل ١٢ / محرم / احدى وستين هـ حيث أقام عمر بن سعد بعد قتله الحسن في يوم عاشوراء (يومه ذلك والغد).

٢ - أسارى أهل البيت تتكون من:

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٩.

أ - بنات الحسين.

ب - أخوات الحسين.

ج - الصبيان.

د - علي بن الحسين (المريض).

وليس فيهم من الرجال سوى واحد أنقذه الله بالمرض.

٣ - مَبْأَسَارَى أهل البيت على ساحة المعركة وفيها القتلى (النسوة لما مررن بحسين وأهله صحن ولطنم وجوههن) وهذا شيء طبيعي لمن يفقد أهله بهذه الصورة الفجيعة ويشاهد هذه المشاهد المروعة، ويبقى السؤال لماذا منع الحراس من ذلك؟ (فاعترضهن على فرس) مما يكشف عن رقابة شديدة على السبايا خوفاً من أن يؤثّر نياحهن في الجيش المحيط بهنّ، ولولا ذلك لما ضرّهم الصياح واللطم؛ فأنهما ليسا بأعظم من القتل.

٤ - ان ما فعلته نسوة أهل البيت (صحن ولطنم وجوههن) وكان هذا أول ماتم عزاء جماعي على الامام الحسين في كربلاء، واتخذته شيعتهم شعاراً سنوياً، ولا يزال مستمراً أينما وجدوا في أنحاء العالم، فهم يجدّدون ذكرى كربلاء بمختلف اللغات والقوميات سنوياً.

٥ - بالرغم من حالة الفزع والهول المستولي على هؤلاء النساء كشف الحارس عن قسوته وأخذ ينظر إليهن بعين مريبة (فما رأيت منظر من نسوة قط كان أحسن من منظر رأيت منهن ذلك اليوم).

٦ - لما رأيت زينب بطلة كربلاء المنع الرسمي عن النياح والصياح واللطم استخدمت الطريقة الوحيدة الميسورة لها للتعبير عن شعورها الطبيعي تخاطب جدّها رسول الله: (يا محمداه!)

(يا محمداه! صلى عليك ملائكة السماء). - (هذا الحسين بالعراء). - (مرمل بالدماء). - (مقطع الأعضاء). - (يا محمداه!). - (وبناتك سبايا). - (وذريتك مقتلة). - (تسبي عليها الصبا...).

وقد أثر هذا النعي في جيش العدو (فأبكت - والله - كلّ عدوّ وصديق).

رؤوس الشهداء

رواية الطبري:

قال: وقطف رؤوس الباقيين، فسرّح باثنين وسبعين رأساً مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمر بن الحجاج وعزرة بن قيس، فأقبلوا حتى قدموا بها على عبيد الله بن زياد.

قال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال: دعاني عمر بن سعد فسّرّحني إلى أهله لابتسّرهم بفتح الله عليه وبعاقيته، فأقبلت حتى أتيت أهله فأعلمتهم ذلك، ثم أقبلت حتى أدخل فأجد ابن زياد قد جلس للناس، وأجد الوفد قد قدموا عليه، فأدخلهم وأذن للناس، فدخلت فيمن دخل فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه، وإذا هو ينكت بقضيب بين ثنيتيه ساعة، فلما رآه زيد بن أرقم لا ينجم عن نكته بالقضيب قال له: اعل بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين، فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفّتي رسول الله على هاتين الشفتين يقبلهما، ثم انفضخ الشيخ يبكي، فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك، فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك، قال: فنهض فخرج، فلما خرج سمعت الناس يقولون: والله لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتله، قال: فقلت: ما قال؟ قالوا: مرّ بنا وهو يقول: ملك عبدٌ عبداً، فاتخذهم تلداً، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة وأمّرت ابن مرجانة فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل، فبعدا لمن رضي بالذل^(١).

موارد الاعتبار:

١ - بادر جيش العدو بإرسال رأس الحسين فوراً يوم العاشر كما تقدم، دون سائر الرؤوس وقوله: (وقطعت رؤوس الباقيين) قد تدل على أن تلك الرؤوس لم تقطع في نفس اليوم.

٢٥٠ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

٢- أن مجموع الرؤوس بلغت إثنين وسبعين، وحملت مع السبايا في اليوم الثاني عشر في جمع بقيادة أربعة، هم: شمر بن ذي الجوشن، وقيس بن الأشعث، وعمر بن الحجاج، وعزرا بن قيس (فأقبلوا بها على عبيد الله بن زياد).

٣- قيادة أربعة لإثنين وسبعين رأس يستلزم أن يكون في قيادة كل واحد منهم - على الأقل - ثمانية عشر جندياً، كل منهم يحمل رأساً من رؤوس الشهداء.

٤- ابن زياد اتخذ يوماً لإعلان النصر على الحسين وأهل بيته، وتوافدت الوفود لتهنئته بهذا النصر (جلس للناس وأجد الوفد قد قدموا عليه فأدخلهم، وأذن للناس).

٥- اهتم ابن زياد برأس الحسين دون غيره (فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه) وذلك باعتباره قائد الحركة دون غيره، والهدف من ذلك - كما هو واضح - إرهاب الآخرين المواليين لحركة الحسين.

٦- هال المنظر بعض الحاضرين منهم زيد بن أرقم لما رأى ان ابن زياد (ينكت بقضيبه بين شفتيه) وقال لابن زياد: «أعل بهذا القضيب عن هاتين الشفتين، فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله على هاتين الشفتين يقبلهما) ولم يتمالك زيد بن الأرقم نفسه من هول المنظر، ثم انفضخ الشيخ يبكي بالرغم من قساوة ابن زياد.

٧- هدد ابن زياد زيد بن الأرقم ملتمساً لقوله عذراً فقال: (أبكي الله عينيك، والله لو لا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك) مما يكشف عن خوف ابن زياد من تأثير رواية ابن الأرقم في الحاضرين وان ينضم إليه آخرون وتتصعب عليه مواجهتهم.

٨- لم يجد ابن الأرقم بداً من مقاطعة المجلس (فنهض فخرج) ولم يكتف بالمقاطعة فقط، بل أعلن قوله: (ملك عبدٌ عبداً فاتخذهم تُلدا، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم، فرضيتم بالذل، فبعداً لمن رضي بالذل).

وكان هذا الإعلان في غاية الوضوح والصراحة، ومن الطبيعي كثرة الجواسيس الذين نقلوا هذا القول الذي سمعه الناس الى ابن زياد، وربما تركه ابن زياد لا لشيخوخته فقط بل بسبب الخوف من أن يكون ذلك سبباً لإتقلاب داخلي يفوّف عليه نشوة النصر.

ابن زياد وزينب

رواية الطبري:

قال: فلما دخل برأس حسين وصبيانته وأخواته ونسائه على عبيد الله بن زياد لبست زينب ابنة فاطمة أرذل ثيابها، وتنكرت وحفّ بها إمامها، فلما دخلت جلست، فقال: عبيد الله بن زياد من هذه الجالسة؟ فلم تكلمه، فقال: ذلك ثلاثا، كل ذلك لا تكلمه، فقال بعض إمامها: هذه زينب ابنة فاطمة، قال: فقال لها عبيد الله: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب أحدوشتكم، فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيرا، لا كما تقول أنت، إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، قال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قالت: كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون إليه وتخاصمون عنده، قال: فغضب ابن زياد واستشاط، قال: فقال له عمرو بن حريث: أصلح الله الأمير، إنما هي امرأة، وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقها، أنها لا تؤاخذ بقول ولا تلام على خطأ. فقال لها ابن زياد: قد أشفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك، قال: فبكت ثم قالت: لعمرى لقد قتلت كهلي، وأبرت أهلي، وقطعت فرعي واجثت أصلي، فان يشفك هذا فقد اشتفيت. فقال لها عبيد الله: هذه السجاعة، قد لعمرى كان أبوك شاعرا سجّاعا، قالت: ما للمرأة والسجاعة إن لي عن السجاعة لشغلا، ولكنّ نفسي ما أقول.^(١)

موارد الاعتبار:

١- نص الرواية: (فلما دخل رأس الحسين وصبيانته وأخواته ونسائه على عبيد الله بن زياد) يدل على أن الرأس كان يحمل إليه كلما يعقد مجلساً عاماً، فقد تقدم أن الرأس حمل إليه يوم العاشر، ومن ذلك يظهر أنه حمل إليه مرة أخرى مع السبايا، فالقصد في هذه المرة كان لإرعاب السبايا (زيادة) على إرعاب الشعب.

٢ - زينب قابليت هذا المشهد بشجاعة فائقة بمواقف ثلاثة، هي:

أ - (لبست أرذل ثيابها) استهانة بالمجلس وأهله.

ب - (تنكرت).

ج - (حقّت بها إماموها).

د - لم تبدأ بالكلام قط.

كل ذلك استهانة بابن زياد ومجلسه الذي لم يكن إلا مسرحية.

٣ - أراد ابن زياد - وهو في موقع الحاكم المطلق العنان - أن يستدرج زينب في الكلام

معه، فخاطبها ثلاث مرات (من هذه الجالسة؟) فلم تجبه السيدة زينب ولم تكلمه قط.

٤ - تطوعت (بعض إمامتها) فقالت: (هذه زينب بنت فاطمة) وربما كان هذا التطوع

تحاشياً من غضب الأمير، وربما نسبها إلى أمها فاطمة بنت رسول الله دون أبيها علي بن أبي طالب لنفس السبب، أو لتوعية الجماهير.

٥ - بادر الأمير ابن زياد مخاطباً زينب بنقاط ثلاث:

أ - (الحمد لله الذي فضحككم).

ب - (وقتلكم).

ج - (وأكذب أحدو تنكم).

فقد نسب هذه النقاط إلى الله سبحانه دون السياسة المستخدمة للدولة المباشرة في

إصدار الأوامر؛ تمويهاً على المجتمع الحاضر بالدعاية المضادة المتأثرة بالعتيدة الجبرية.

٦ - لم يكن لزينب البطلة أن تنصت لهذا التحريف للعتيدة والتزييف في السياسة،

وأجابت عن كل نقطة بحقائق تاريخية ثابتة، فقالت:

أ - (الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد).

ب - (وطهرنا تطهيراً، لا كما تقول أنت).

ج - (إنما يفتضح الفاسق).

د - (ويكذب الفاجر).

وهذه النقاط معروفة في التاريخ الإسلامي ومعروف أتباعهما من الأخيار والأشرار.

٧- عبّر ابن زياد عن روحه الانتقامية حينما سأل زينب قائلاً: (كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟) فإنه لم يكن أي داع لهذا السؤال - بعد أن حصل على النصر على أخيها الحسين - سوى الانتقام.

٨- كان جواب زينب البطلة جواب المسلمة الواثقة بمبادئها، والكاشفة عن نتيجة سياسة الظلم بقولها: (كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم وتحاجّون وتخاصمون عنده).

٩- كان جواب السيدة زينب كشفاً لسياسة ابن زياد وإدانة له بما يستحق من المخاصمة في محكمة الله العادلة، لذلك غضب ابن زياد (واستشاط) حيث وجد في كلامها المقاومة الحية في صفوف عائلة الحسين التي لا تزال قائمة بالرغم من النصر العسكري ووقوعهن في الأسر، وهو مما يشجع رجال المعارضة في المقاومة.

١٠- كان موقف رجال الحكم موقف الخائف من أن يتصرف ابن زياد - وهو الحاكم المطلق - تصرفاً عشوائياً ويفقد الثقة المطلقة من المتعاونين معه على أساس عرقي وقبلي، فاعتذر بقوله: (أصلح الله الأمير إنما هي امرأة، وهل تؤخذ المرأة بشيء من منطقها؟!).

١١- ولم يتمكن ابن زياد أخيراً من التمويه على الحاضرين في نسبة هذه المعركة إلى الله بدعوى أنها بتقدير إلهي؛ دعماً للعقيدة الجبرية، فكشف عن نفسيته بقوله: (لقد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك) مصرّحاً بروحه الانتقامية.

ابن زياد وعلي بن الحسين

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: عن المجالد بن سعيد إن عبيد الله بن زياد لما نظر إلى علي بن الحسين، قال لشرطي: انظر هل أدرك هذا ما يدرك الرجال؟ فكشط إزاره عنه، فقال: نعم، قال: انطلقوا به فاضربوا عنقه، فقال له علي: إن كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهن رجلاً يحافظ عليهن، فقال له ابن زياد: تعال أنت فبعثه معهن.

قال أبو مخنف: وأما سليمان بن أبي راشد فحدثني عن حميد بن مسلم قال: إني لقائم عند ابن زياد حين عرض عليه علي بن الحسين فقال له: ما اسمك؟ قال: أنا علي بن الحسين قال: أو لم يقتل الله علي بن الحسين؟ فسكت فقال له ابن زياد: مالك لا تتكلم؟ قال: قد كان لي أخ يقال له أيضا. علي فقتله الناس، قال: إن الله قد قتله، قال: فسكت علي فقال له: مالك لا تتكلم قال: ﴿الله يتوفى الانفس حين موتها﴾^(١) ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾^(٢) قال: أنت والله منهم، ويحك انظروا هل أدرك والله إني لاحسبه رجلا، قال: فكشف عنه مري بن معاذ الاحمري، فقال: نعم قد أدرك، فقال: اقتله، فقال: علي بن الحسين من توكل بهؤلاء النسوة وتعلقت به زينب عمته، فقالت: يا ابن زياد حسبك منا، أما رويت من دماننا؟ وهل أبقيت منا أحدا؟ قال: فاعتنقته فقالت: أسألك بالله إن كنت مؤمنا إن قتلته لما قتلته معي قال: وناداه علي فقال: يا ابن زياد إن كانت بينك وبينهم قرابة فابعث معهن رجلاً تقيا يصحبهن بصحبة الاسلام، قال: فنظر إليها ساعة ثم نظر إلى القوم، فقال: عجباً للرحم، والله إني لاظنها ودّت لو أني قتلته أني قتلته معي، دعوا الغلام، انطلق مع نسائك.^(٣)

موارد الاعتبار:

- ١ - امتنع علي بن الحسين عن البدء بالكلام كسائر أسارى أهل البيت، حيث وجدوا أنفسهم في محكمة عسكرية، وكان اهتمامهم أن يفوتوا أية فرصة للمواخظة عليهم بأية وسيلة ممكنة، وكان أفضل الطرق هو السكوت وعدم التطوع بالكلام.
- ٢ - فابتدأ الأمير بالسؤال عن اسمه، فأجاب ثم سكت، وسأل الأمير ثانياً: (ألم يقتل الله علي بن الحسين؟) ولم يجب علي أيضاً بل سكت؛ لوضوح الجواب من كلام عمته زينب على نفس الدعوى التي سبقت من نفس الأمير، فلم تكن أية حاجة إلى الجواب.

١- الزمر: ٤٢.

(٢) آل عمران: ١٤٥.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٠-٣٥١.

٣- لما كرر الأمير السؤال: (مالك لا تتكلم؟) وكأنه كان تهديداً بلزوم التكلم ففوت عليه علي بن الحسين ذلك وقال: (قد كان لي أخ يقال له أيضاً علي، قتله الناس) وبذلك أدان الناس الذين قتلوه وفنّد العقيدة الجبرية التي كان يؤيّدھا الأمير.

٤- إستصغر الأمير سنّ علي بن الحسين فأعاد مقالته السابقة التي وجهها لزئيب قائلاً: (إن الله قد قتله) ولم يعلّق علي بن الحسين على ذلك بشيء وسكت حتى أمره مرة أخرى: (لماذا لم تتكلم؟) فأجابه علي بن الحسين مستشهداً بالآية الكريمة: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾^(١) فأنكشت سياسة الأمير بالتلاعب بالعقيدة في مصلحة السياسة.

٥- كلام ابن زياد: (أنت والله منهم ويحك) يكشف أنه وجد في علي بن الحسين روح الصمود وقوّة المنطق والرفض المطلق للإستسلام؛ إذ لا معنى لهذه الجملة وهو يعلم من قبل أنه منهم، وقد صرّح علي بن الحسين بذلك أيضاً، فليست هذه الجملة إلا باعتبارها من دعاة حركة الحسين، وإنه سيكون القائد المرتقب للحركة، فأراد القضاء عليه.

٦- حاول ابن زياد الحطّ من قدر علي بن الحسين في المجلس العام، فقال للشرطي: (أنظر هل أدرك هذا كما يدرك الرجال) لإستعلام بلوغه سنّ التكليف، وهو عادة الخامسة عشر من العمر، وحيث ولد علي بن الحسين عام ٣٨ هـ فيكون في التاريخ المذكور عام احدى وستين هـ قد بلغ ٢٣ عاماً من العمر، وهو يزيد على عمر البلوغ الطبيعي بثمانية سنوات، وفي مثل هذا العمر لا يبقى مجال للشك في البلوغ.

٧- في أسلوب الشرطي المأمور بالتحري عن بلوغ علي بن الحسين دلالة على هذا التحقير حيث تصدى الأمر مباشرة (فكشف إزاره عنه، فقال: نعم) حيث ان ذلك يستلزم كشف العورة في هذا المجلس العام ليتبين فيما إذا كان الشعر نابتاً على عاتقه.

٨- أبدى ابن زياد روحه الإنتقامية حيث أمر بقتل علي بن الحسين (انطلقوا به فاضربوا عنقه) مع أنّ الحرب قد وضعت أوزارها، وهذا من الأسارى ولا موجب لقتله.

٩- واجه علي بن الحسين الامر الظالم بروح قيادية واعية بمسؤولياته، وخاصة تجاه

العائلة، فخطب ابن زياد بروح بطولية بما يفرض عليه روحه القبلية بالمحافظة على الأسارى بقوله: (إن كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة، فابعث معهن رجلاً يحافظ عليهن).

١٠ - وهنا قامت السيدة زينب بطلّة كربلاء بالموقف القيادي والعاطفي في نفس الوقت (تعلّقت به زينب عمته... فاعتنقته) مما يكشف عن موقف عاطفي مؤكّداً على وحدة الأسرة في المصير والمسير، والموقف القيادي كان بالإدانة الصريحة بقرار ابن زياد الذي يخرق الأعراف القبلية السائدة آنذاك، وقالت: (يا بن زياد حسبك منا، أما رويت من دمائنا؟، وهل أبقيت منا أحداً - فاعتنقته فقالت: أسأل الله أن كنت مؤمناً إن قتلته لمّا قتلتنني معه).

وهذا الموقف القيادي جعل ابن زياد يعدل رأيه؛ حيث شاهد الوحدة العائلية بحيث لم يتمكن من قتل علي بن الحسين في المجلس العام إلا بقتله مع عمته زينب، وقتل المرأة ليس من العادات القبلية التي يتزعمها ابن زياد.

ابن زياد يخطب

رواية الطبري:

قال حميد بن مسلم لما دخل عبيد الله القصر ودخل الناس، نودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس في المسجد الاعظم، فصعد المنبر ابن زياد فقال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن عليّ وشيعته، فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي ثم الغامدي ثم أحد بني والبة - وكان من شيعة على كرم الله وجهه، وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل مع عليّ، فلما كان يوم صفين ضرب على رأسه ضربة وأخرى على حاجبه فذهبت عينه الأخرى، فكان لا يكاد يفارق المسجد الاعظم، يصلّي فيه إلى الليل ثم ينصرف - قال: فلما سمع مقالة ابن زياد قال: يا ابن مرجانة إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك، والذي ولّك وأبوه، يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتكلمون

بكلام الصديقين؟ فقال ابن زياد عليّ به، قال: فوثبت عليه الجلاوزة فأخذه قال: فنأدى بشعار الأزدي: يا مبرور، قال: وعبد الرحمن بن مخنف الأزدي جالس فقال: ويح غيرك، أهلكت نفسك وأهلكت قومك، قال: وحاضر الكوفة يومئذ من الأزدي سبعمائة مقاتل، قال: فوثب إليه فتية من الأزدي فانتزعه فأتوا به أهله، فأرسل إليه من أتاه به فقتله وأمر بصلبه في السبخة، فصلب هنالك.^(١)

موارد الاعتبار:

- ١ - إن الخطبة العامة من ابن زياد: (نودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس في المسجد الأعظم) كانت إعلاناً عاماً للمجتمع بنتائج الحرب والسياسة العامة للحكم.
- ٢ - استخدم ابن زياد أسلوب القادة الفاتحين المحاربين على أساس المبدأ أو العقيدة (تتكلمون كلام الصديقين) وليس على روح القبليّة في الحكم، وهما أسلوبان متناقضان.
- ٣ - لم يتمكن ابن زياد من أن يتم خطبته بسوى نقاط، هي:
 - أ - (الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله).
 - ب - (ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه)
 - ج - (وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته).
- أسند ابن زياد هذه النقاط إلى الله دون الجيش المؤتمر بأمره، ولم يستمر لأكثر من ذلك (فلم يفرغ ابن زياد من مقالته) حتى على صوت المعارضة.
- ٤ - وثب ثلاثة لمقاطعة خطبة ابن زياد ومعارضته، وهم:
 - أ - عبدالله بن عفيف الأزدي.
 - ب - الغامدي.
 - ج - أحد بني والبة.
- وانبرى المتكلم الأزدي المعروف بصلاحه (فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم

يصلي فيه إلى الليل) وخاطب ابن زياد بقوله:

أ - (يا ابن مرجانة) معرّضاً بنسبه.

ب - (إن الكذاب ابن الكذاب، أنت وأبوك، والذي ولّاك وأبوه) وكان هذا تنفيداً لجميع

النقاط التي استخدمها ابن زياد.

ج - وفنّد دعوى ابن زياد بإرادة الله في الحرب قائلاً: (يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء

النبیین وتكلّمون بكلام الصديقين؟). نصرت عشيرة الأزدي الرجل (فنادى بشعار الأزدي:

يا مبرور) وكان واثقاً من حمايتهم حيث كان فيهم سبعمئة مقاتل في الكوفة، فاستنقذوه.

٥ - وقد عاتبه بعض العشيرة بقوله: (أهلكت نفسك وأهلكت قومك) مما يكشف عن

سياسة الإرعاب المسيطرة على المجتمع كلّ، حيث لا يؤخذ المعارض وحده بل العشيرة

كلها، ونتيجة هذه السياسة كانت أن أرسل إليه ابن زياد من أتاه به (وأمر بصلبه بالسبخة)

وحدث في تاريخ الاسلام أن لأول مرة يقتل أحد من المعارضة علناً.

السبايا في الكوفة

رواية الطبري: قال هشام: وأما عوانة بن الحكم الكلبي فإنه قال: لما قتل الحسين

وجئ بالاثقال والاسارى حتى وردوا بهم الكوفة إلى عبيد الله، فبينما القوم محتبسون إذ

وقع حجر في السجن معه كتاب مربوط، وفي الكتاب: خرج البريد بأمركم في يوم كذا

وكذا إلى يزيد بن معاوية، وهو سائر كذا وكذا يوماً وراجع في كذا وكذا، فان سمعتم

التكبير فأيقنوا بالقتل، وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الامان إن شاء الله. قال: فلما كان قبل

قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد ألقى في السجن ومعه كتاب مربوط وموسى، وفي

الكتاب: أوصوا واعهدوا، فإنما ينتظر البريد يوم كذا وكذا، فجاء البريد ولم يسمع

التكبير.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - لا يُتَعرَف طبيعة السجن الذي كان فيه سبايا أهل البيت، كما لا يعرف دور عُوانة بن الحكم الكلبي في السجن أو خارجه، وروايته لهذه الحادثة في السجن تكشف عن دورٍ مّا له، وإن كان تفصيله مجهولاً.

٢ - المربوط بالحجر الذي وقع في السجن لأول مرة (إذ وقع حجر في السجن مع كتاب مربوط) يكشف عن أن السجن كان مكشوف السطح بحيث يمكن إلقاء الشيء إليه، ومن المستبعد أن يكون السجن ذا نوافذ يتمكن المسجونون من المحادثة مع من يكون في خارج السجن.

٣ - إرسال الكتاب بهذه الطريقة يكشف عن أنه لم يكن من جانب السلطة؛ لعدم إفتقارها إلى استخدام هذا الأسلوب، وكان بإمكانها تبليغ الأسارى مباشرةً وعلى عاداتها في الأرعاب، ولعل ذلك كان من الموالين لال البيت الذي حاولوا إيصال الأخبار إليهم وجعلهم أمام الصورة الواضحة من دون أن تأخذ السلطة عليهم بشيء، ويدل على ذلك كلمة إن شاء الله في آخر الكتاب.

٤ - الكتاب الثاني زاد على الرسالة أن كان مع الحجر موسى، ولم يعرف بالضبط لماذا هذه الزيادة، وربما لمحاولة قطع القيود والخلاص من الأسر، والمهم أن مضمون الرسالة التحذير: (أوصوا واعهدوا) مما يكشف عن التعاطف مع الأسارى للقيام بما يرغبون من تنفيذه.

٥ - إنتظار ابن زياد للقرار الأخير من يزيد يكشف بوضوح عن أن كل ما قام به ابن زياد من قبل - من قتل الحسين وأصحابه - كان بقرار قيادي من يزيد، فانتظر صدور قرار جديد منه في الأسارى أيضاً.

علي بن الحسين في الغل

رواية الطبري:

قال: ثم إن عبيد الله أمر بنساء الحسين وصبياناه فجَهَزَن، وأمر بعلي بن الحسين فغلَّ

بغلّ إلى عنقه، ثم سرح بهم مع محفز بن ثعلبة العائذي عائذة قريش، ومع شمر بن ذي الجوشن، فانطلقا بهم حتى قدموا على يزيد، فلم يكن عليّ بن الحسين يكلّم أحدا منهما في الطريق كلمة حتى بلغوا، فلما انتهوا إلى باب يزيد رفع محفز بن ثعلبة صوته فقال: هذا محفز بن ثعلبة، أتى أمير المؤمنين باللئام الفجرة. قال: فأجابه يزيد بن معاوية: ما ولدت أم محفز شر وألام.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - أرسل ابن زياد سبايا أهل البيت إلى دمشق متبعاً الطرق التالية:

أ - (جهّز) أي بالوسائل النقلية السائدة آنذاك.

ب - (أمر بعلي بن الحسين فغل بغل إلى عنقه).

ج - (سرح بهم مع قائدين هما: العائذ وشمر).

٢ - الغل في عنق علي بن الحسين يكشف عن خوف السلطة من أن يهرب علي بن الحسين، إضافة إلى زيادة في الإمتهان بسبايا أهل البيت، وأيضاً يكشف عن جهل السلطة بالثواب الإسلامية التي تحكم حياة أهل البيت فأن تلاحمهم الأسري الشديد لم يجعل مكاناً لمسألة الهرب، وقد مرّت نماذج من ذلك من موقف علي وعمته زينب.

٣ - أن علي بن الحسين بالرغم من كونه في غل (لم يكن يكلّم أحداً منهما في الطريق كلمة) وإنّ كلاً من القائدين كان يتوقع من عليّ بن الحسن طلباً برفع الغل، أو العطف عليه في الطريق، وعليّ كان يعلم أن هؤلاء لا يستحقون أن يطلب منهم شيئاً، فتحمل الغل في السفر على الراحلة بما فيه من ثقل طبيعي على المحبوس المسافر.

٤ - لم تصرّح الرواية بعدد الجيش المرفق مع هذين القائدين، وحيث تقدم أن ابن زياد سرح بالسبايا مع رؤوس الشهداء جميعاً، يستكشف أنه على أقل الفروض كان الجيش مكوناً من ٧٢ جندياً بعدد الرؤوس المحمولة. بالإضافة إلى القائدين فيكون

المجموع أربعة وسبعين شخصاً على أقل الفروض.

الاسارى في الشام

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: ثم إن عبيد الله بن زياد نصب رأس الحسين بالكوفة، فجعل يدار به في الكوفة، ثم دعا زحر بن قيس فشرح معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى يزيد بن معاوية، وكان مع زحر أبو بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان الأزدي، فخرجوا حتى قدموا بها الشام على يزيد بن معاوية.

قال هشام: فحدثني عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي عن أبيه عن الغاز بن ربيعة الجرشي، من حمير قال: والله إنا لعند يزيد بن معاوية بدمشق إذ أقبل زحر بن قيس حتى دخل على يزيد بن معاوية، فقال له يزيد: ويلك ما وراءك؟ وما عندك؟ فقال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره، ورد علينا الحسين بن عليّ في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته، فسرنا إليهم فسالناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال؛ فاختراروا القتال على الاستسلام، فعدونا عليهم مع شروق الشمس، فأحطنا بهم من كل ناحية حتى إذا اخذت السيوف مأخذها من هام القوم، يهربون إلى غير وزر، ويلوذون منا بالآكام والحفر، لوإذا كما لا ذ الحمائم من صقر، فوالله يا أمير المؤمنين ما كان إلا جزر جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجردة، وثيابهم مرّلة، وخدودهم معفّرة، تصهرهم الشمس، وتسفي عليهم الريح، زوّارهم العقبان والرخم بقيّ سبب، قال: فدمعت عين يزيد وقال: قد كنت أَرْضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سمية، أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه، فرحم الله الحسين! ولم يصله بشيء.^(١)

موارد الاعتبار:

- ١ - يظهر أن ابن زياد تدرّج في تعامله مع رأس الحسين:
 - أ - (نكته بالقضيب) في المجلس العام؛ ليراه كل من له حضور في المجلس.
 - ب - (نصب الرأس في الكوفة) وطبيعي أن يكون في الساحة الرئيسية ليراه عامة الناس، وربما على تقاطع الطرق.
 - ج - (جعل يدار به في الكوفة) وطبيعي أن يكون ذلك في المحلات الآهلة بالسكان للقبائل المختلفة التي تسكن منها.وكل ذلك إعلاناً لسياسة الإرعاب.
- ٢ - إن رأس الحسين كان قد حمل إلى ابن زياد في الكوفة في يوم العاشر، ورؤوس اصحاب الحسين في الثاني عشر، ولكن ابن زياد سرح بالرؤوس كلها دفعة واحدة من الكوفة إلى يزيد بن معاوية بدمشق بقيادة إثنين من الأزد.
- ٣ - تسليم القيادة إلى إثنين من الأزد، له دلالة على سياسة «فرّق تسد» التي كانت مؤثرة في عشيرة الأزد، فكان فيهم من يريد السلطة ومنهم من يعارضها.
- ٤ - تقرير زحر بن قيس ليزيد بن معاوية يفيد أن مجموع أصحاب الحسين كانوا (٧٨) وذلك مجموع (١٨ من الأسرة) و (٦٠ من الأصحاب) وقد تقدم أن مجموعهم كانوا (٧٢)، وحيث قد قتل جميع الأسرة ما عدى واحد هو علي بن الحسين، فيكون من قتل من أصحاب الحسين (٧٧) شخصاً، وستأتي رواية الطبري بأسمائهم.
- ٥ - تحدّد هذه الرواية أن الحرب بين الحسين وجيش العدو ابتدأت من شروق الشمس واستمر حتى بعد صلاة الظهر بساعة، وحيث أن شروق الشمس بحسب توقيت مكة بتاريخ ١٠ / محرم / ٦١ هـ كان في الساعة السابعة و١٦ دقيقة، والزوال في الساعة الثالثة عشر و٩ دقائق، والمشهور في روايات أهل البيت أن المقتل كان حوالي صلاة العصر.
- ٦ - أفاد التقرير بأن الحسين وأصحابه (اختاروا القتال على الإستسلام) وهذا صادق صريح وواضح، ولكنه وصف ذلك بما يأتي:

أ - (فسألناهم أن يستسلموا، أو ينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد).

ب - (فأحطنا بهم من كل ناحية).

ج - وصف موقف الحسين وأصحابه بالضعف بقوله: (يهربون إلى غير وَزْرٍ، ويلوذون منا بالآكام والحفر، لو إذاً كما لا ذ الحماث من صقر). لا يلائم ما تقدم تفصيله في رواية الطبري من مواقف الحسين وأصحابه في المبارزة أفراداً وجماعات، المعبرة عن روح المقاومة المستمرة، وقد تقدمت الروايات تفصيلاً.

د - يظهر أن الغرض من هذا التقرير الذي رفعه زحر أراد أن يُسمع يزيد ما يحب أن يسمع، حيث قال: (فوالله يا أمير المؤمنين ما كان إلا جزر جزور أو نومة قائل، حتى أتينا على آخرهم) فإن جزر الجزور ونومة القائل لا تستغرق حرباً تستمر من طلوع الشمس حتى ساعة ما بعد الظهر.

هـ - جاء في التقرير: (فهايتك أجسادهم مجرّدة، وثيابهم مرّلة، وخدودهم معقّرة، تصهرهم الشمس، وتسفي عليهم الريح، زوّارهم العقبان والرخم بقيّ سيسب) فإنّ هذا يكشف عمّا أراده جيش العدو، وكان كذلك في اليومين والحادي عشر والثاني عشر، ولم يعلم صاحب هذا التقرير أن هذا الأمل خاب في اليوم الثالث عشر حيث تقدّمت رواية الطبري أن عشيرة بني أسد تولّت دفن جسد الحسين والشهداء، ولا يزال المزار معروفاً حتى اليوم يتعاقب على زيارته محبّوا أهل البيت فينهالون عليه من انحاء العالم ويتلهفون بلشم ترابه الطاهر.

٧ - إن هذا التقرير - لهول الوصف - أثر في يزيد عاطفياً، وكان ردّ الفعل الطبيعي عنده أن (دمعت عين يزيد) حيث يكشف عن هول الصورة التي لم يتوقّعها.

٨ - أن مقالة يزيد (كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين) استنكار سياسي لا يعبر عن الواقع؛ لأنه يناقض تماماً ما ورد في رسالته إلى والي المدينة في حجم صغير جداً - كما وصفته الرواية - (أذن فارة) مما يدل على أنه أراد الكسب الوقتي بإيقاع اللوم على غيره بعدما تحققت أهدافه، وذلك بالترحم على الحسين، فإنه لو كان صادقاً في هذه الدعوى لقام بعقوبة القاتل ابن زياد على تلبّسه بجريمة قتل الحسين، أو على أقل

الفروض بعزل ابن زياد عن الولاية، فإن شيئاً من ذلك لم يحصل.

٩ - ما قام به زحر في رفع التقرير من الإعلان على باب يزيد بالتعبير عن الحسين وأصحابه (باللثام الفجرة) يكشف عن روحية جيش العدو، حيث أن هذا الوصف لم ينطبق على الحسين وأصحابه لا من قريب ولا من بعيد، وقد استنكر يزيد ذلك ربما تحسباً من أن يحصل له ما حصل لمعارضة الأزد لابن زياد، فإن من الطبيعي أن تصله الأخبار من طرق متعددة وهو في رأس الحكم، فلم يكن له بدّ سوى الاستنكار بالقول، ولم تصدر منه أي بادرة لعقوبة أي فرد من الجيش مما يدل على رضاه القلبي بكل ما جرى وإن استنكره باللسان.

رأس الحسين في الشام

رواية الطبري:

وجاء كتاب بأن سرح الاسارى إليّ. قال: فدعا عبيد الله بن زياد محفز بن ثعلبة وشمر بن ذي الجوشن فقال: انطلقوا بالثقل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، قال: فخرجوا حتى قدموا على يزيد فقام محفز بن ثعلبة فنادي بأعلى صوته جئنا برأس أحرق الناس والأهملهم، فقال يزيد: ما ولدت أم محفر ألام وأحمق ولكنه قاطع ظالم، قال: فلما نظر يزيد إلى رأس الحسين قال:

يفلّقن هاما من رجال أعزّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

ثم قال: أتدرون من أين أتى هذا؟ قال: أبي علي خير من أبيه، وأمي فاطمة خير من أمه، وجدي رسول الله خير من جده، وأنا خير منه وأحق بهذا الامر منه.

فأما قوله: (أبوه خير من أبي)، فقد حاج أبي أباه وعلم الناس أيهما حكم له.

وأما قوله: (أمي خير من أمه)، فلعمري فاطمة ابنة رسول الله خير من أمي.

وأما قوله: (جدي خير من جده)، فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عدلاً ولا ندا، ولكنه إنما أتى من قبل فقهه ولم يقرأ: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤت الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك

على كل شيء قدير. ^(١)

ثم أدخل نساء الحسين على يزيد، فصاح نساء آل يزيد وبنات معاوية وأهله وولولن، ثم إنهن أدخلن على يزيد فقالت فاطمة بنت الحسين - وكانت أكبر من سكينه: أبينات رسول الله سبايا يا يزيد؟

فقال يزيد: يا ابنة أخي أنا لهذا كنت أكره، قالت: والله ما ترك لنا خرص، قال: يا ابنة أخي ما آت إليك أعظم مما أخذ منك.

ثم أخرجن فأدخلن دار يزيد بن معاوية، فلم تبق امرأة من آل يزيد إلا أتتهن وأقمن المأتم، وأرسل يزيد إلى كل امرأة ماذا أخذ لك؟ وليس منهن امرأة تدعي شيئاً بالغاً ما بلغ إلا قد أضعفه لها، فكانت سكينه تقول: ما رأيت رجلاً كافراً بالله خيراً من يزيد بن معاوية. ثم أدخل الاسارى إليه وفيهم علي بن الحسين فقال له يزيد: إيه يا علي: ^(٢) فقال: على ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ^(٣) فقال يزيد: ^(٤) ما أصاب من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير ^(٥) ثم جهّزه وأعطاه مالا وسرّحه إلى المدينة.

قال هشام عن أبي مخنف قال: حدثني أبو حمزة الثمالى عن عبد الله الثمالى عن القاسم بن بخيت قال: لما أقبل وفد أهل الكوفة برأس الحسين دخلوا مسجد دمشق فقال لهم مروان بن الحكم: كيف صنعتم؟ قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً فأتينا والله على آخرهم، وهذه الرؤوس والسبايا. فوثب مروان فانصرف وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم فقال: ما صنعتم؟ فأعادوا عليه الكلام، فقال: حجبتم عن محمد يوم القيامة؛ لن أجامعكم على أمر أبداً، ثم قام فانصرف.

ودخلوا على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه وحدثوه الحديث، قال: فسمعت دور

٢٦٦ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز - وكانت تحت يزيد بن معاوية - فتقنعت بثوبها وخرجت فقالت: يا أمير المؤمنين، رأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله؟ قال: نعم، فأعولي عليه، وحدي علي ابن بنت رسول الله وصريخة قريش عجل عليه ابن زياد فقتله قتله الله.

ثم أذن للناس فدخلوا والرأس بين يديه، ومع يزيد قضيب فهو ينكت به في ثغره، ثم قال: إن هذا وإيانا كما قال الحصين ابن الحمام المري:

يفلّفن هاما من رجال أحبة إلينا وهم كانوا أعقّ وأظلما
قال: فقال رجل من أصحاب رسول الله يقال له أبو برزة الاسلمي: أتنتك بقضيبك في ثغر الحسين؟، أما لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً، لربما رأيت رسول الله يرشفه. أما إنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك، ويجيئ هذا يوم القيامة ومحمّد شفيعه، ثم قام فولّى^١.

قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير عن القاسم بن عبد الرحمن - مولى يزيد بن معاوية - قال: لمّا وضعت الرؤوس بين يدي يزيد رأس الحسين وأهل بيته وأصحابه، قال يزيد:

يفلّفن هاما من رجال أعزّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما
أما والله يا حسين لو أنا صاحبك ما قتلتك.
قال أبو مخنف: حدثني أبو جعفر العباسي عن أبي عمارة العباسي قال: فقال يحيى بن الحكم - أخو مروان بن الحكم:

لهام بجنب الطف أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
سميّة أمسى نسلها عدد الحصى وليس لآل المصطفى اليوم من نسل
قال: فضرب يزيد بن معاوية في صدر يحيى بن الحكم وقال: اسكت.

موارد الاعتبار:

١ - لما حمل الرسولان رأس الحسين إلى يزيد بن معاوية أعلنّا عن موقفهما: (فنادى بأعلى صوته: جنّا برأس أحقّ الناس والأهمّ) وهذا النداء يكشف عن طبيعة جيش العدو، وكان ردّ فعل يزيد في مجلسه العام حيث سمعه الحاضرون جميعاً ردّ فعل مزدوج، فهو من جانب يؤتّب المنادي بقوله: (ما ولدت أمّ محفّز الأمّ). ومن جانب آخر يؤيد قتل الحسين بقوله: (لكنه قاطعٌ ظالم).

٢ - استقبل يزيد بن معاوية رؤوس الشهداء في قصره:

أ - (وضعت الرؤوس بين يدي يزيد).

ب - أنشد بيتاً يتّهمهم بأنهم (رجال أعزّة) وأيضاً أنهم (كانوا أعقّ وأظلم).

ج - علّق على قتل الحسين بقوله: (أما والله يا حسين لو أنا صاحبك ما قتلتك) وهي مواقف متناقضة لا تتحمل التوجيه إلا لتضليل الرأي العام، وذلك:

أولاً: أن وضع الرؤوس بين يديه تأييد عمليّ لقتل الحسين وأصحابه كما يظهر من العادة المتبعة في ذلك العصر؛ إذ لو لم يكن راضياً لرفض إنعقاد مجلس كهذا، فهل كان يفعل ذلك لو كان المقتول واحد من أصحابه.

ثانياً: البيت يصف الحسين بأنه (أعقّ وأظلم) بالرغم من كونه من الرجال الأعزّة، وأي ظلم حصل من الحسين، وهل الإمتناع عن البيعة ظلم أو الإمتناع عن بيعه شخص مثل الحسين لشخص مثل يزيد يعتبر ظلماً أو عقوقاً حيث لم تثبت الشرعية للبيعة من أصلها. ثالثاً: مقالة يزيد: (لو أنا صاحبك ما قتلتك) إنكار للحقيقة التاريخية؛ لأن يزيد هو الذي أمر برسلته إلى والي المدينة في (أذن فارة) بقتل الحسين، وهو الذي أمر ابن زياد وولّاه الكوفة لهذا الغرض، ولم يتخلّف ابن زياد من الإتصال بيزيد في كل مرحلة من قراراته الحاسمة وآخرها مسألة السبايا، حيث أرسلهم ابن زياد إلى الشام بأمر يزيد.

٣ - ما أنشده أخو مروان بن الحكم يكشف عن إنشقاق في قيادة يزيد في مسألة قتل الحسين، كما وجدناه من قبل في موقف عمر بن سعد.

٤ - أن أخا مروان كان يقف موقف المتسامح المبتني على الأعراف القبلية، وهي:

أ - ان الحسين (أدنى قرابة) من ابن زياد.
 ب - (إن ابن زياد العبد) ليس من أصل عربي في النسب.
 ج - ان ابن زياد (ذي الحسب الوغل) فإنه مطعون في نسبه.
 د - ان ابن زياد إنما هو ابن أمة (سميّة) أي إنها لم تكن نجبية.
 هـ - إن نتيجة رجحان الجانب المتشدد أن: (ليس لآل المصطفى اليوم من نسل).
 فإن هذه النقاط لا تبتني إلا على الأعراف القبلية، ولم يستشهد فيها بنص قرآني وسنة بنوية.

٥ - ان يزيد بن معاوية لما سمع هذه النقاط (ضرب في صدر يحيى بن الحكم وقال: أسكت) تحسباً من أن يوجب ذلك إنقساماً في القيادة فيما اذا تسربت أنباء هذه المواقف إلى خارج قصر الحاكم.

٦ - استعراض جيش العدو رأس الحسين (دخلوا مسجد دمشق) وهو المركز الرئيسي لتجمع الناس، له دلالته على الإعلان العام للنصر من قبل الجيش في طريقهم إلى قصر يزيد، وموقع القصر هو الجانب الغربي من المسجد الجامع - المعروف اليوم بالمسجد الأموي - في دمشق.

٧ - استنكرت اسرة يزيد بن معاوية قتل الحسين تعاطفاً مع المستنكرين، وأهمها موقف زوجة يزيد (تقنعت بثوبها وخرجت فقالت: يا أمير المؤمنين، رأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله؟ قال: نعم، فأعولي عليه، وحدّي على ابن بنت رسول الله وصريخة قريش، عجل عليه ابن زياد فقتله، قتله الله) مما يظهر استخدام يزيد سياسة التعاطف مع المستنكرين بعدما وصل الاستنكار إلى داره وأهله، فاتخذ سياسة موالية مخاطباً زوجته: أ - (أعولي عليه) طلباً للنجاح في داخل الأسرة.

ب - علل الحداد على الروح القبلية (صريخة قريش).
 ج - ركّز بالقاء اللوم على غيره (عجل عليه ابن زياد فقتله، قتله الله) وبذلك أمنّ ولاء العائلة لنفسه.

٨ - وبالرغم من سياسته في أسرته الداخلية حيث هدأ زوجته مباشرة، قام يزيد بن

معاوية بعمل مناقض لذلك تماماً (ثم أذن للناس فدخلوا والرأس بين يديه، ومع يزيد قضيب، فهو ينكت به في ثغره) فإن هذا العمل يناقض تماماً أمر زوجته بالحداد كما هو شأن السياسيين الذين يقولون شيئاً ويعملون نقيضه.

٩- معارضة ابن برزة الأسلمي من أصحاب رسول الله لعمل يزيد هذا بقوله: (أنتكت بقضيبك في ثغر الحسين... رأيت رسول الله يرشفه، أما أنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شافعك، ويحيى هذا يوم القيامة ومحمد شفيعه) وهذا يكشف عن شيوع المعارضة في داخل القصر، مما لم يجد يزيد جواباً قط.

فإن هذا الموقف المتناقض من يزيد بن معاوية تجاه قتل الحسين من: أمر زوجته بالحداد، ونكت ثغر الحسين في المجلس، وتحميل المسؤولية على ابن زياد من ناحية، وعدم عقوبته بشيء من ناحية أخرى، كل ذلك يكشف عن سياسة عدوانية مدروسة للقضاء على الحسين ثم التنصل من المسؤولية.

قال الجلالى: قد زرت موضع رأس الحسين في دمشق ووصفته في الإنتقاء في مزارات دمشق الفيحاء وهو في الركن الغربي من ساحة المسجد الأموي الملاصق لقصر يزيد، ويعرف بمشهد الحسين، وحدثني شيخى العارف بالله نقيب الأشراف في سوريا الشيخ محمد الحسينى الرفاعى وكان قد جاء من موطنه الحسكة بمناسبة أيام عاشوراء عام ١٤٢١ هـ وقال: «ان مشايخه - في صغره - كانوا يمنعون من اللعب بالكرة؛ لأنه كان يعيد إلى الذاكرة ما فعله أعداء أهل البيت بالرأس الشريف في هذا القصر.»

يزيد وعليّ بن الحسين

رواية الطبري:

قال: ولما جلس يزيد بن معاوية دعى أشراف أهل الشام فأجلسهم حوله، ثم دعا بعليّ بن الحسين وصبيان الحسين ونساءه فأدخلوا عليه والناس ينظرون، فقال يزيد لعليّ: يا عليّ أبوك الذي قطع رحمي وجهل حقّي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما قد رأيت قال: فقال عليّ ﴿ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾^(١) فقال يزيد لابنه خالد: اردد عليه، قال: فما درى خالد ما يرد عليه، فقال له يزيد: قل ﴿ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾^(٢) ثم سكت عنه، قال: ثم دعا بالنساء والصبيان فأجلسوا بين يديه فرأى هيئة قبيحة، فقال: قُبِّحَ الله ابن مرجانة، لو كانت بينه وبينكم رحم أو قرابة ما فعل هذا بكم ولا بعث بكم هكذا.^(٣)

موارد الاعتبار:

١ - عقد يزيد مجلساً عاماً (دعى أشراف أهل الشام وأجلسهم حوله، ثم دعى بعليّ بن الحسين وصبيان الحسين ونساءه فأدخلوا عليه والناس ينظرون) فهذا المجلس العام تكوّن من:

أ - الحاكم: يزيد بن معاوية.

ب - أشراف أهل الشام حوله.

ج - أسارى أهل البيت.

(١) الحديد: ٢٢.

٢ - الشورى: ٣٠.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٢ - ٣٥٣.

د - الناس ينظرون.

فالمجلس كان أشبه بمؤتمر صحفي مخطط له من قبل الإدارة الحاكمة.

٢ - المحادثة بين يزيد بن معاوية الحاكم وعلي بن الحسين الأسير كان أشبه بالمناظرة الثنائية بين شخصين غير متكافئين، أحدهما رئيس غالب، والآخر أسير مغلوب على أمره، وبحسب المقاييس المادية يجب أن يبدو الضعف في جانب المغلوب.

٣ - وجه الحاكم يزيد خطاباً إلى الأسير ليبرر قتل الحسين بسرد نقاط، مخاطباً إياه بقوله: (يا علي:

أ - (أبوك الذي قطع رحمي).

ب - (وجهل حقّي).

ج - (ونازعني سلطاني).

د - (فصنع الله به ما قد رأيت).

وهي مواقف وحجج متشابهة لما قام به الأمير بن زياد في الكوفة، وهي خليطة مما يبرّر القتل، وأهمها العقيدة الجبرية التي يرى ما حصل من صنع الله، وكأنه ليس من تخطيط وأوامر قيادية، وهي مرفوضة:

أ - فإنه ليس بينهما رحم قريب، فهذا هاشمي وذلك أموي، ولا يجتمعان في النبي إلا في الجد السابع على بعض الفروض.

ب - ليس ليزيد حقّ على أحد من بني هاشم ولم يراه أحد منهم أهلاً.

ج - السلطان من ناحية مبدئية ليس إلا الله سبحانه ولمن يطبق حكمه بالشورى.

د - العقيدة بالجبر يبطل قانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس من الإسلام

في شيء.

٤ - كان جواب علي بن الحسين قصيراً في اللفظ، عميقاً في المعنى، واضحاً في الأسلوب والدلالة، وسائراً على الثوابت الإسلامية، وذلك بالاستشهاد بالقرآن الكريم حيث قرأ قوله تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من

قبل أن نبرأها^(١) فعلي بن الحسين بتلاوة هذه الآية الكريمة أكد على نقاط:

أ - إن صلة الرحم هي صلة الإسلام.

ب - وإن الحق هو حق الإسلام.

ج - وإن السلطان هو سلطان الإسلام.

د - وإن المرجع هو كتاب الإسلام.

وبالنتيجة: كل الأعراف إذا لم تستقم على أسس ثابتة من القرآن الكريم والسنة النبوية

فإنها سوف تفقد شرعيتها.

٥ - أراد يزيد أن يجعل ابنه خالدًا قريباً لعلّي بن الحسين، فطلب منه أن يردّ على عليّ

(فما درى خالد ما يرد عليه) مما يدل على نقص في الثقافة الإسلامية في الأسرة الحاكمة.

٦ - اضطرّ يزيد الحاكم أن يجيب على الأسير المحكوم بعد أن عجز ابنه خالد، فقال:

قل: ﴿ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾^(٢) ولم يفتقر هذا لأي تعليق؛ حيث ظهرت الحقيقة في هذا المجلس العام للجمهور.

٧ - لقد غطّى يزيد هذا الفشل بخطة مباشرة هي ان (دعى بالنساء والصبيان فأجلسوا

بين يديه، فرأى هيئة قبيحة) ولم يجد بداً سوى أن يدفع المسؤولية عن نفسه وهو الذي

يدّعي إحترام صلة الرحم، فحمل المسؤولية إلى شخص هو ولّاه فقال: (قبّح الله ابن

مرجانة، لو كانت بينه وبينكم رحم أو قرابة ما فعل هذا بكم ولا بعث بكم هكذا) ولم تكن

مبادرته هذه الا صورية، لانه لو كان صادقاً فلماذا لم يعاقب ابن زياد أو يعزله.

يزيد وزينب

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: عن الحارث بن كعب عن فاطمة بنت علي قالت: لما أجلسنا بين يدي يزيد بن معاوية رقّ لنا وأمر لنا بشيء وألطفنا. قالت: ثم إن رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه - يعنيني - وكنت جارية وضيئة، فأرعدت وفرقت، وظننت أن ذلك جائز لهم، وأخذت بثياب أختي زينب. قالت: وكانت أختي زينب أكبر منّي وأعقل، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون فقالت: كذبت والله ولؤمت، ما ذلك لك وله، فغضب يزيد فقال: كذبت والله، إن ذلك لي، ولو شئت أن أفعله لفعلت. قالت: كلا والله، ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملّتنا وتدين بغير ديننا. قالت: فغضب يزيد واستطار، ثم قال: إياي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك، فقالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك، قال: كذبت يا عدوة الله. قالت: أنت أمير مسلّط، تشتم ظالماً، وتقهّر بسطانك قالت: فوالله لكانه استحيا فسكت، ثم عاد الشامي فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية. قال: أعزب، وهب الله لك حتفا قاضياً^(١)

موارد الاعتبار:

١ - تناول الأحمر من أهل الشام بقوله: (يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية) يعني فاطمة بنت علي، وهذا له دلالة واضحة على الدعايات السلبية حول سبايا أهل البيت بأنهم أسارى غير مسلمين، وأنّ حالهم حال الكفار الذين يجوز استرقاقهم.

٢ - رد الفعل الطبيعية لفاطمة كانت أنها: (أرعدت وفرقت) فهي من جانبها ظنّت أن ذلك جائز عند أهل الشام، حيث أن الإسترقاق ليس بأعظم من القتل (وأخذت بشيات أختي زينب) حيث لم يكن لها طريق للتخلص من ذلك سوى بالتمسك بثياب أختها.

٣ - قامت زينب الكبرى بطلّة كربلاء بدور قيادي شجاع فأخذت تردّ على الرجل قبل أن يبادر الحاكم بكلمة، فقالت: (كذبت والله ولؤمت، ما ذلك لك وله) وهو تحدّي ظاهر لحكم يزيد الذي رأى أن مبادرة زينب كانت وسيلة لمعرفة الحقائق وتزييف للشعارات.

٤ - حاول الحاكم يزيد أن يرد التحديّ (فغضب يزيد فقال: كذبتني والله، إنّ ذلك لي، ولو شئت أن أفعله لفعلته) ولكنه كشف عن جهله أو تجاهله بالثواب الإسلامية، فإنّه لا يجوز استرقاق المسلمين.

٥ - أجابت زينب معرّبَةً عن شخصية سبايا أهل البيت من جانب، والتأكيد على الثواب الإسلامية من جانب آخر فقالت: (كلا والله، ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملّتنا وتدين بغير ديننا).

٦ - ومن الطبيعي أن لا يتوقع الحاكم هذا التحدي الصارخ الذي كشف زيف الشعارات التي رفعها بكل صراحة، وفي مجلس عام مخطّط للتغطية على الحقائق، فقال: (إيائي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك).

٧ - قارعت زينب الاتهام التي لا يمكن أن يتجاهلها أو ينكرها أحد ممّن درس التاريخ فقالت: (بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك) فلم يبق ليزيد الحاكم سوى السب فقال: (كذبت يا عدوّ الله) وهذا ما لم يتوقّعه أحد من حضّار المجلس بأن يقابل الحاكم الأمر امرأة بالسب، وكان ذلك كافياً لبيان شخصية يزيد التي ظهرت في المجلس، ولكن زينب أرادت بيان فشل سياسة يزيد فقالت: (أنت أمير مسلّط، تشتم ظالماً، وتقهر بسطانك) مؤكّدة على صفات ثلاث تتواجد في الحكم القبلي دون الحكم الإسلامي.

اطلاق سراح الأسرى

رواية الطبري:

قالت: ثم قال يزيد بن معاوية: يا نعمان بن بشير، جهّزهم بما يصلحهم، وابعث معهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً، وابعث معه خيلاً وأعواناً، فيسير بهم إلى المدينة، ثم أمر بالنسوة أن ينزلن في دار على حدة، معهنّ ما يصلحهن وأخوهن معهن عليّ بن الحسين، في الدار التي هنّ فيها، قال: فخرجن حتى دخلن دار يزيد، فلم تبق من آل معاوية امرأة إلاّ استقبلتهن تبكي وتنوح على الحسين، فأقاموا عليه المناحة ثلاثاً وكان يزيد لا يتعدى ولا يتعشى إلاّ دعا عليّ بن الحسين إليه، قال: فدعاه ذات يوم ودعا عمرو بن الحسن بن عليّ وهو غلام صغير فقال لعمرو بن الحسن: أتقاتل هذا الفتى - يعني خالداً ابنه -؟ قال: لا ولكن أعطني سكّينا وأعطه سكّينا ثم أقاتله، فقال له يزيد، وأخذه فضمه إليه ثم قال: شنشنة أعرفها من أخزم، هل تلد الحية إلاّ حية؟

قال: ولما أرادوا أن يخرجوا دعا يزيد عليّ بن الحسين ثم قال: لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو أني صاحبه ما سألني خصلة أبداً إلاّ أعطيتها إياه، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن الله قضى ما رأيت. كاتبنّي، وأنه - كل حاجة تكون لك. قال: وكساهم وأوصى بهم ذلك الرسول، قال: فخرج بهم وكان يسايرهم بالليل فيكونون أمامه حيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحّى عنهم وتفرّق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم، وينزل منهم بحيث إذا أراد إنسان منهم وضوءاً أو قضاء حاجة لم يحتشم. فلم يزل ينازلهم في الطريق هكذا ويسألهم عن حوائجهم ويلطفهم حتى دخلوا المدينة. وقال الحارث بن كعب: فقالت لي فاطمة بنت علي: قلت لأختي زينب: يا أختي، لقد أحسن هذا الرجل الشامي إلينا في صحبتنا، فهل لك أن نصله؟ فقالت: والله ما معنا شيء نصله به إلاّ حليّتنا، قالت لها: فنعطيه حليّتنا؟ قالت: فأخذت سوارى ودملجتي وأخذت أختي سوارها ودملجها فبعثنا بذلك إليه واعتذرنا إليه، وقلنا له: هذا جزاؤك بصحبتك إيانا بالحسن من الفعل، قال: فقال: لو كان الذي صنعت إنما هو للدنيا كان في حليكن ما

يرضيني ودونه، ولكن والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله (١).

موارد الاعتبار:

١ - فشلت المحاولات في تعجيز أسارى أهل البيت في المجلس العام الذي عقده الحاكم يزيد، وظهرت الحقائق للمشاركين في المجلس، وخشيت القيادة من التوعية العامة من تواجد أسارى أهل البيت، وخططت للتخلص من هذه المشكلة الغير مرتقبة، فأمر يزيد مباشرة بالقرار التالي: (يا نعمان بن بشير:

أ - (جهّزهم بما يصلحهم).

ب - (وأبعث منهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً).

ج - (وأبعث معه خيلاً وأعواناً، فسيروا بهم إلى المدينة).

٢ - كما قام بتكريم سبايا أهل البيت (ثم أمر بالنسوة أن ينزلن في دار على حدة، معهن ما يصلحهن وأخوهن معهن علي بن الحسين في الدار التي هنّ بها) فانقلبت السياسة التحقير والاذلال إلى سياسة التكريم والحرية بعد الأسر.

٣ - التعاطف مع شعور أهل البيت في قصر الحاكم (فلم يبق من آل معاوية امرأة إلا استقبلتهن تبكي وتتوح على الحسين) ويظهر أن هذه العادة كانت في أسرة يزيد خاصة دون غيرها.

٤ - (فأقاموا المناحة عليه ثلاثاً) ويظهر أن الذي قام بالمناحة هم من آل معاوية، فتكون العادة في الميت سائرة منذ ذلك العصر، ولكن لم يظهر سراية هذه العادة إلى البيوت الأخرى.

٥ - كان يزيد بالذات يهتم في استمالة علي بن الحسين إلى التعاطف مع سياسته، فكان (لا يتغذى ولا يتعشى إلا دعى علي بن الحسين إليه).

٦ - أراد يزيد معرفة تأثير هذه السياسة الجديدة في شعور أهل البيت عامة (فدعاه

ذات يوم ودعى عمرو بن الحسن بن علي وهو غلام صغير، فقال لعمرو بن الحسين: أتقاتل هذا الفتى - يعني خالداً ابنه؟ - قال: لا، ولكن أعطني سكيناً وأعطه سكيناً ثم أقاتله) مما يكشف عن عمق تأثير مواقف واحداث كربلاء في شعور أهل البيت.

٧ - لقد أبدى يزيد منتهى اللين في سياسته الجديدة بعد أن تيقن من زوال خطر الحسين، وقال:

أ - (لعن الله ابن مرجانة).

ب - (والله لو أني صاحبه ما سألني خصلة أبداً إلا أعطيته).

ج - (ولدفعت الحنف عنه بكل ما استطعت).

د - (ولو بهلاك بعض ولدي).

هـ - (ولكن الله قضى ما رأيته). حيث عاد إلى القول بالجبر.

٨ - خصّ يزيد علي بن الحسين بالذات وكلّفه أن يقوم بما يؤيد حكمه وسلطانه، قال: (كاتبني وانه كل حاجة تكون لك) ولم يعلّق علي بن الحسين على هذا الطلب قط، لوضوح نواياه المرفوضة مبدئياً من أهل البيت.

٩ - وجد سبايا أهل البيت بعض الحرية بعد الأسر، حيث أن الموكلين بإيصالهم إلى المدينة لم يضايقوهم قط، على النقيض تماماً في مسيرهم من الكوفة إلى الشام حيث كان علي بن الحسين في الغل.

١٠ - وبالرغم من علم أهل البيت بأن التعامل والسياسة الجديدة إنما هي في مصلحة السلطة لم يتركوا واجبه الإسلامى تجاه الحارس المأمور، فقالت فاطمة بنت علي: (قلت لأختي زينب: يا أختية لقد أحسن هذا الرجل الشامي إلينا في صحبتنا، فهل لك أن تصليه؟ قالت: والله ما معنا شيء نصله به إلا حلينا. قالت لها: فنعطيه حلينا قالت: فأخذت سوارى ودملجى وأخذت أختى سوارها ودملجها فبعثنا بذلك إليه... فقال: ولكن والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله) ففي هذه اللحظة الأخيرة أكد أهل البيت على الثابتة الإسلامية «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان».

النداء في المدينة

رواية الطبري:

قال هشام: حدثني عوانة بن الحكم قال: لما قتل عبيد الله بن زياد الحسين بن عليّ وجيء برأسه إليه دعا عبد الملك بن أبي الحارث السلمي فقال: انطلق حتى تقدم المدينة على عمرو بن سعيد بن العاص فبشّره بقتل الحسين - وكان عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة يومئذ - قال: فذهب ليعتل له، فزجره، وكان عبيد الله لا يصطلي بناره، فقال: انطلق حتى تأتي المدينة ولا يسبقك الخبر، وأعطاه دنائير وقال: لا تعتل وإن قامت بك راحلتك فاشتر راحلة، قال عبد الملك: فقدمت المدينة فلقيني رجل من قریش، فقال: ما الخبر؟ فقلت: الخبر عند الأمير، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون قتل الحسين بن عليّ، قال: فدخلت على عمرو بن سعيد، فقال: ما وراءك؟ فقلت: ما سرّ الأمير، قتل الحسين بن عليّ، فقال: ناد بقتله، فناديت بقتله، فلم أسمع - والله - واعيّة قط مثل واعيّة نساء بني هاشم في دورهنّ على الحسين، فقال: عمرو بن سعيد وضحك:

عجّت نساء بني زياد عجة كعجيج نسوتنا غداة الارنب

والارنب وقعة كانت لبني زيد على بني زياد من بني الحارث بن كعب من رهط عبد المدان، وهذا البيت لعمر بن معد يكرب، ثم قال عمرو: هذه واعيّة بواعية عثمان بن عفان، ثم صعد المنبر فأعلم الناس قتله.

قال هشام: عن أبي مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود، قال: لمّا بلغ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب مقتل ابنه مع الحسين دخل عليه بعض مواليه والناس يعزّونه - قال: ولا أظن مولاه ذلك إلّا أبا اللسلاس - فقال: هذا مالقينا ودخل علينا من الحسين قال: فحذفه عبد الله بن جعفر بنعله ثم قال: يا ابن اللخناء، أللحسين تقول هذا؟ والله لو شهدته لأحببت أنا لا أفارقه حتى أقتل معه، والله إنما لمّا يسخي بنفسي عنهما ويهون عليّ المصاب بهما أنهما أصيبا مع أخي وابن عمي مواسيين له صابرين معه. ثم أقبل على جلسائه فقال: الحمد لله عز وجل على مصرع الحسين أن لا يكن آست حسينا يدي، فقد آسأه ولدي. قال: ولما أتى أهل المدينة مقتل الحسين

خرجت ابنة عقيل بن أبي طالب ومعها نساؤها وهي حاسرة تلوي بثوبها وهي تقول:
 ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
 بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم
 قال هشام: عن عوانة قال: قال عبيدالله بن زياد لعمر بن سعد بعد قتله الحسين: يا
 عمر، أين الكتاب الذي كتبت به، إليك في قتل الحسين؟ قال: مضيت لامرك وضاع
 الكتاب، قال: لتجيئن به، قال: ضاع، قال: والله لتجيئنني به، قال: ترك والله يقرأ على
 عجائز قريش اعتذارا إليهن بالمدينة، أما والله لقد نصحتك في حسين نصيحة لو نصحتها
 أبي سعد بن أبي وقاص كنت قد أدّيت حقه، قال عثمان بن زياد - أخو عبيدالله - صدق
 والله، لوددت أنه ليس من بني زياد رجل إلّا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة وأن حسيناً
 لم يقتل، قال: فوالله ما أنكر ذلك عليه عبيدالله.

حدثني بعض أصحابنا عن عمرو بن أبي المقدام قال: حدثني عمرو بن عكرمة قال:
 أصبحنا صبيحة قتل الحسين بالمدينة، فإذا مولى لنا يحدثنا قال: سمعت البارحة منادياً
 ينادي وهو يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً أبشروا بالعذاب والتنكيل
 كل أهل السماء يدعو عليكم من نبي وملائك وقبيل
 قد لعنتم على لسان ابن داو د وموسى وحامل الانجيل

قال هشام: حدثني عمر بن حيزوم الكلبي عن أبيه قال: سمعت هذا الصوت.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - مبادرة رجل من قريش بالسؤال ممّن قدم المدينة المنورة، وجوابه (الخبر عند
 الأمير) تكشف عن شيوع نبأ مقتل الحسين قبل الإعلان الرسمي لذلك من قبل والي
 المدينة.

٢٨٠ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

٢- أمر عمرو بن سعيد بن العاص -والي المدينة - بالنداء العام بقتل الحسين (فناديت بقتله، فلم أسمع والله واعية قط مثل واعية نساء بني هاشم)، وقد علق الوالي على ذلك بقوله: (هذه واعية بواعية عثمان بن عفان) ويظهر أنه أراد تبرير قتل الحسين بإذكاء روح الطائفية.

٣- لم تؤثر هذه السياسة الجديدة في الوعاة لحركة الحسين وأهدافها في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الذي قتل له ابنان مع الحسين، وقال له مولاه مستخدماً سياسة التفرقة. (هذا ما لقيناه ودخل علينا من الحسين) وكان رد الفعل بالرغم من شهادة ولديه أن حذفه بنعله ثم قال: (يا بن اللخناء، أللحسين تقول هذا؟ والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتى أقتل معه) مؤكّداً على وحدة الكلمة.

٤- كان من الناحية التاريخية أول رثاء شعري للحسين من أهل البيت ما أنشدته ابنة عقيل بقولها:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم

ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

باعترتي وبأهلي بعد مفتقدي

منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم!

ولا تفتقر هذه الأبيات إلى جواب أو تعليق، وإنّ أو رثاء لغير أهل البيت كان في

الصيحة التي أعلنتها المعارضة ليلاً:

أيّها القاتلون جهلاً حسيناً أبشروا بالعذاب والتّنكيل

المعبّر عن السخط العام من مختلف الطوائف والملل والأديان.

اسماء شهداء كربلاء

رواية الطبري:

ذكر أسماء من قتل من بني هاشم مع الحسين عليه السلام وعدد من قتل من كل قبيلة من القبائل التي قاتلته.

قال هشام: قال أبو مخنف ولما قتل الحسين بن علي عليه السلام جيء برؤوس من قتل معه من أهل بيته وشيعته وأنصاره إلى عبيد الله بن زياد:

فجاءت كندة بثلاثة عشر رأساً، وصاحبهم قيس بن الأشعث.

وجاءت هوازن بعشرين رأساً، وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن.

وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً.

وجاءت بنو أسد بستة رؤوس.

وجاءت مذحج بسبعة رؤوس.

وجاء سائر الجيش بسبعة رؤوس، فذلك سبعون رأساً.

قال: وقتل الحسين - وأمه فاطمة بنت رسول الله - قتله سنان بن أنس النخعي ثم الأصبحي، وجاء برأسه خولي بن يزيد.

وقتل العباس بن علي بن أبي طالب - وأمه أم البنين ابنة حزام بن خالد بن ربيعة بن

الوحيد - قتله زيد بن رقاد الجنبى وحكيم بن الطفيل السنسى

وقتل جعفر بن علي بن أبي طالب وأمه أم البنين أيضاً - وقتل عبد الله بن علي بن أبي

طالب، وأمه أم البنين أيضاً

وقتل عثمان بن علي بن أبي طالب - وأمه أم البنين أيضاً - رماه خوّل بن يزيد بسهم

فقتله

وقتل محمد بن علي بن أبي طالب - وأمه أم ولد - قتله رجل من بني أبان بن دارم

وقتل أبو بكر بن علي بن أبي طالب - وأمه ليلى ابنة مسعود بن خالد بن مالك بن ربيعي بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم - وقد شك في قتله

وقتل على بن الحسين بن علي - وأمه ليلى ابنة أبي مرة بن عروة بن مسعود بن معتب الثقفي، وأما ميمونة ابنة أبي سفيان بن حرب - قتله مرة بن منقذ بن النعمان العبدي.

وقتل عبد الله بن الحسين بن علي - وأمه الرباب ابنة امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم من كلب - قتله هاني بن ثبيت الحضرمي.

واستصغر على بن الحسين بن علي فلم يقتل.

وقتل أبو بكر بن الحسن بن علي بن أبي طالب - وأمه أم ولد - قتله عبد الله بن عقبة الغنوي

وقتل عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب - وأمه أم ولد - قتله حرملة بن الكاهل، رماه بسهم

وقتل القاسم ابن الحسن بن علي وأمه أم ولد قتله سعد بن عمرو بن نفيل الازدي

وقتل عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - وأمه جمانة ابنة المسيب بن نجبة بن

ربيعة بن رياح من بني فزارة - قتله عبد الله بن قطبة الطائي ثم النبھاني

وقتل محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - وأمه الخوصاء ابنة خصفة بن ثقيف

بن ربيعة بن عائد بن الحارث بن تميم الله بن ثعلبة من بكر بن وائل - قتله عامر بن نهشل التيمي.

وقتل جعفر بن عقيل بن أبي طالب - وأمه أم البنين ابنة الشقر بن الهضاب - قتله بشر

بن حوط الهمداني

وقتل عبد الرحمن بن عقيل - وأمه أم ولد - قتله عثمان بن خالد بن أسير الجهني

وقتل عبد الله بن عقيل بن أبي طالب - وأمه أم ولد - رماه عمرو بن صبيح الصدائي

فقتله.

وقتل مسلم بن عقيل بن أبي طالب - وأمه أم ولد - ولد بالكوفة.

وقتل عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب - وأمه رقية ابنة على بن أبي طالب -

وأُمها أم ولد - قتله عمرو بن صبيح الصدائي، وقيل: قتله أسيد بن مالك الحضرمي
 وقتل محمد بن أبي سعيد بن عقيل - وأُمه أم ولد - قتله لقيط بن ياسر الجهني
 واستصغر الحسن بن الحسن بن عليّ - وأُمه خولة ابنة منظور بن زيان بن سيار
 الفزاري

واستصغر عمرو بن الحسن بن عليّ فترك فلم يقتل، وأُمه أم ولد
 وقتل من الموالى: سليمان مولى الحسين بن عليّ، قتله سليمان بن عوف الحضرمي
 وقتل منجح مولى الحسين بن عليّ.
 وقتل عبد الله بن يقطر رضيع الحسين بن عليّ.^(١)

موارد الاعتبار:

١ - ذكر الطبري عدد الشهداء في هذا الموضع ٣٥ قتيلاً كالاتي:

● بربر، قبل الحرب الجماعية.

● مسلم بن عوسجة، في بدء الحملة الجماعية.

● الكلبي، في بدء الحملة الجماعية.

● وبعد حرق الخيام ٣٢ شهيداً.

وقد تقدم أن مجموع أصحاب الحسين - كما صرحت رواية الطبري - كانوا (٧٢) شخصاً، مما يظهر أن الطبري لم يكن بصدد استقصاء أسماء الشهداء، أو حصل سقط في النسخة أو الرواية، وإنما اكتفى هنا بمن أثر عنه شيء من الرجز أو الشعر أو الخطبة أو الأثر.
 ٢ - وقد سردت رواية الطبري من قبل مجموع أصحاب الحسين بـ ٧٢، وعددهم بالإجمال .

واما الرؤوس التي حملت فهي كالآتي:

- ١٣ رأساً مع قيس بن الأشعث، حملت رؤوسهم.
- ٢٠ رأساً مع شمر بن ذي الجوشن، حملت رؤوسهم.
- ١٧ رأساً من تميم.
- ٦ رؤوس بنو أسد.
- ٧ رؤوس مذجع.
- ٧ رؤوس سائر الجيش.
- فالمجموع سبعون رأساً حملت إلى الشام.

٣- ونظرة إلى حَمَلَة هذه الرؤوس تكشف عن سياسة الحكام بالسعي في تشريك القبائل المختلفة في الحرب ضد الحسين، وهي كندة، وهوازن، وتميم، وبني أسد، ومذجع، فيكون أكثرها فخراً هوازن حيث حملت أكثر عدد من الرؤوس، وربما تعمّد بن زياد تلطيخ أيدي هؤلاء بالمشاركة بإقحامهم في حمل الرؤوس حتى لا يؤخذ بها قبيلة او قبائل وحدها.

٤- رواية أهل البيت تذكر أسماء الشهداء أطول من ذلك، نوردها بالإسناد عن رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر طاووس (ت / ٦٦٤ هـ) بإسناده، نستخلص منها الأسماء حسب الرواية التي رواها:

- ١- علي الحسين.
- ٢- عبدالله بن الحسين، الطفل الرضيع.
- ٣- عبدالله بن أمير المؤمنين.
- ٤- العباس بن أمير المؤمنين.
- ٥- جعفر بن أمير المؤمنين.
- ٦- عثمان بن أمير المؤمنين.
- ٧- محمد بن أمير المؤمنين.
- ٨- أبو بكر بن الحسن بن علي.

- ٩- عبدالله بن الحسن بن علي.
- ١٠- القاسم بن الحسن بن علي.
- ١١- عون بن عبدالله بن جعفر الطيار.
- ١٢- محمد بن عبدالله بن جعفر الطيار.
- ١٣- جعفر بن عقيل بن أبي طالب.
- ١٤- عبد الرحمن بن عقيل.
- ١٥- عبدالله بن مسلم بن عقيل.
- ١٦- عبيدالله بن مسلم بن عقيل.
- ١٧- محمد بن أبي سعيد بن عقيل.
- ١٨- سليمان، مولى الحسين.
- ١٩- قارب، مولى الحسين.
- ٢٠- منجح، مولى الحسين.
- ٢١- مسلم بن عوسجة الأسدي.
- ٢٢- سعد بن عبدالله الحنفي.
- ٢٣- بشر بن عمر الحضرمي.
- ٢٤- يزيد بن حصين الهمداني المشرفي القاري.
- ٢٥- عمر بن كعب الأنصاري.
- ٢٦- نعيم بن عجلان الأنصاري.
- ٢٧- زهير بن القين البجلي.
- ٢٨- عمر بن قرظة الأنصاري.
- ٢٩- حبيب بن مظاهر الأسدي.
- ٣٠- الحر بن يزيد الرياحي.
- ٣١- عبدالله بن عمير الكلبي.
- ٣٢- نافع بن هلال بن نافع البجلي المرادي.

- ٣٣- أنس بن كاهل الأسدي.
- ٣٤- قيس بن مسهر الصيدائي.
- ٣٥- عبدالله بن عروة بن حراق الغفاري.
- ٣٦- عبدالرحمن بن عروة بن حراق الغفاري.
- ٣٧- جون (عون) بن حري، مولى أبي ذر الغفاري.
- ٣٨- شبيب بن عبدالله النهشلي.
- ٣٩- الحجاج بن زيد السعدي.
- ٤٠- قاصد بن زهير التغلبي.
- ٤١- كرش بن زهير التغلبي.
- ٤٢- كنانة بن عتيق.
- ٤٣- ضرغامة بن مالك.
- ٤٤- حوي بن مالك الضبعي.
- ٤٥- عمر بن ضبيعة الضبعي.
- ٤٦- زيد بن ثبيت القيسي.
- ٤٧- عبدالله بن يزيد بن ثبيط (ثبت) القيسي.
- ٤٨- عبيدالله بن يزيد بن ثبيط (ثبت) القيسي.
- ٤٩- عامر بن مسلم.
- ٥٠- قعنب بن عمرو النميري.
- ٥١- سالم مولى عامر بن مسلم.
- ٥٢- سيف بن مالك.
- ٥٣- زهير بن بشر الخنعمي.
- ٥٤- زيد بن معقل الجعفي.
- ٥٥- الحجاج بن مسروق الجعفي.
- ٥٦- مسعود بن الحجاج.

- ٥٧- ابن مسعود بن الحجاج.
- ٥٨- مجمع بن عبدالله العائدي.
- ٥٩- عمّار بن حسان بن شريح الطائي.
- ٦٠- عمّار بن الحرث السلماني الأزدي.
- ٦١- جندب بن حجر الخولاني.
- ٦٢- عمر بن خالد الصيداوي.
- ٦٣- زيد بن زياد بن مظاهر الكندي.
- ٦٤- يزيد بن زياد بن مظاهر الكندي.
- ٦٥- زاهد [زاهر] مولى عمرو بن الحمق الخزاعي.
- ٦٦- جبلة بن علي الشيباني.
- ٦٧- سالم، مولى بن المدينة الكلبي.
- ٦٨- أسلم بن كثير الأزدي الأعرج.
- ٦٩- زهير بن سليم الأزدي؟
- ٧٠- قاسم بن حبيب الأزدي.
- ٧١- عمر بن جندب الحضرمي.
- ٧٢- أبو تمامة عمر بن عبدالله الصائدي.
- ٧٣- حنظلة بن أسعد الشيباني (الشبامي).
- ٧٤- عبد الرحمن بن عبدالله بن الكدر الأرحبي.
- ٧٥- عمار بن أبي سلامة الهمداني.
- ٧٦- عابس بن شبيب الشاكري.
- ٧٧- شوذب، مولى شاكر.
- ٧٨- شبيب بن الحارث بن سريع.
- ٧٩- مالك بن عبد بن سريع.
- ٨٠- الجريح المأسور: سوار بن أبي حمير الهمداني.

٢٨٨ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

٨١- عمرو بن عبدالله الجندي (المرتّب).

وهذه القائمة تحتوى على (٨١) إسماً، ثمانية منهم موالى، فيكون المجموع ٧٣ شخصاً، والأخير هو مرتب أي الذي حمل من المعركة رتباً، أي جريحاً وبه رمق، فالباقى (٧٢) قتيلاً كما تقدمت بذلك رواية الطبري المشهورة.

مطاردة المعارضة

رواية الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي: أن عبيد الله بن زياد بعد قتل الحسين تفقد أشراف أهل الكوفة، فلم ير عبيد الله بن الحر ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه، فقال: أين كنت يا ابن الحر؟ قال: كنت مريضا، قال: مريض القلب أو مريض البدن؟ قال: أما قلبي فلم يمرض، وأما بدني فقد منّ الله عليّ بالعافية، فقال له ابن زياد: كذبت، ولكنك كنت مع عدوّنا. قال: لو كنت مع عدوّك لرئيّ مكاني، وما كان مثل مكاني يخفى، قال: وغفل عنه ابن زياد غفلة فخرج ابن الحر فقعد على فرسه، فقال ابن زياد: أين ابن الحر؟ قالوا: خرج الساعة، قال: عليّ به، فأحضرت الشرط، فقالوا له: أجب الأمير، فدفع فرسه ثم قال: أبلغوه أنني لا آتيه والله طائعا أبدا، ثم خرج حتى أتى منزل أحمر بن زياد الطائي، فاجتمع إليه في منزله أصحابه، ثم خرج حتى أتى كربلاء، فنظر إلى مصارع القوم فاستغفر لهم هو وأصحابه، ثم مضى حتى نزل المدائن وقال في ذلك:

يقول أمير غادر حق غادر	ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة
فيا ندمي أن لا أكون نصرته	ألا كل نفس لا تسدّ نادمه
وإنني لأتي لم أكن من حماته	لذو حسرة ما إن تفارق لازمه
سقي الله أرواح الذين تآزروا	على نصره سقيا من الغيث دائمه
وقفت على أجداثهم ومحالهم	فكاد الحشى ينفض والعين ساجمه
لعمري لقد كانوا مصاليت في الوغى	سراعا إلى الهيجا حماة خضارمه
تأسوا على نصر ابن بنت نبيهم	بأسيا فهم آساد غيل ضراغمه
فإن يقتلوا فكل نفس تقيّة	على الارض قد أضحت لذلك واجمه
وما إن رأى الراؤون أفضل منهم	لدى الموت سادات وزهرا قماقمه

أنتقلتهم ظلماً وترجو ودادنا فدع خطة ليست لنا بملائمه
لعمري لقد راغمتونا بقتلهم فكم ناقم منا عليكم وناقمه
أهم مرارا أن أسير بجحفل إلى فئة زاغت عن الحق ظالمه
فكفوا وإلا ذدتكم في كتائب أشد عليكم من زحوف الديالمة^(١)

موارد الاعتبار:

١- بعد ما قضى ابن زياد مهمته الرئيسية بالقضاء على الحسين وأصحابه، جاء دوره في القضاء على فلول المعارضة باعتبارهم مكان من الخطر للثأر وأخذ (يتفقد أشراف الكوفة) ليتعرف على المعارضة لاستئصالها.

٢- وكان ابن الحر من أوائل القافلة الواعية لخطط ابن زياد، والمحادثة التالية تكشف عن محاولة ابن زياد لياخذ على ابن الحر مأخذاً، كما تكشف عن مدى حذر ابن الحر لتفويت كل فرصة لذلك.

ابن زياد: أين كنت يا ابن الحر؟

ابن الحر: كنت مريضاً.

ابن زياد: مريض القلب أو مريض البدن؟

ابن الحر: أما قلبي فلم يمرض، وأما بدني فقد من الله عليّ بالعافية.

ابن زياد: كذبت، ولكنك كنت مع عدونا؟

ابن الحر: لو كنت مع عدوك لرؤي مكاني.

وفي أول فرصة متاحة (غفل عنه ابن زياد غفلة) خرج ابن الحر من دون أن يجلب انتباه أحد، ولم ينفع أمر ابن زياد للشرطة برده، فقد أجاب بقوله: «أبلغوه أنني لآتيه طائعاً أبداً» لعلمه بمواقفه وخططه ومصيره.

٣- إختار ابن الحر أن يبتعد عن وطنه خشية من ابن زياد وتوجه نحو المدائن، ولكنه

لم ينس أداء الواجب بالتحية والسلام للقائد المعلوم - وليس للجندي المجهول - أبى الأحرار الحسين بن علي سيد الشهداء.

٤ - وتعتبر الأبيات التي أنشأها من أوائل قصائد الرثاء للحسين، والتي تشكل مكتبة غنية في الأدب العربي، وهذه الأبيات البالغ عددها ١٣ بيتاً لها دلالتها على نقاط كثيرة يستدعي كل منها دراسة مستقلة، وتكشف عن واقع الحال والحقيقة في حركة الحسين من منطلقها وأهدافها، ومواقف ابن زياد وأهدافه، والمجتمع الذي انقسم بين معارض ومناصر ومخاذل، وأهم هذه النقاط:

- ١ - الغدر صفة الأمير (أمير غادر حق غادر).
 - ٢ - الندم على عدم نصر الحسين (أن لا أكون نصرته).
 - ٣ - الحسرة على عدم الحماية (لذو حسرة).
 - ٤ - الدعاء للشهداء (سقى الله).
 - ٥ - الزيارة للحسين بمثابة القائد المعلوم، لا الجندي المجهول.
 - ٦ - الصمود في أصحاب الحسين (مصالييت في الوغى).
 - ٧ - النقطة السوداء في التاريخ (كل نفس واجمة).
 - ٨ - الفضيلة لأصحاب الحسين (سادات زهر قماقمة).
 - ٩ - الظلم في سياسة ابن زياد (أتقتلهم ظلماً).
 - ١٠ - الدكتاتورية (راغتمونا بقتلهم).
 - ١١ - روح الثأر (أهم مراراً أن أسير).
 - ١٢ - القطيعة (فكفوا وإلاً).
- وكانت هذه أولى المبادرات لملاحقة المعارضة.

وصدق الحسين

وصدق الحسين حيث قال: (وأيمُّ الله لو كنتُ في حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم).

حيث أن نظام الحكم في عهد النبي كان بالشورى، ودراسة أنواع الحكومات في ذلك العصر تدل على أنها كانت حكومات وراثية بين الامبراطورية البيزنطية - تركيا اليوم - والأكاسرة - إيران اليوم - وعلى هذا المنطلق تسلم معاوية الحكم على المسلمين على أساس أنه أقرب الناس إلى نبي الإسلام؛ لأنهما معاً من قريش، فكان يجد الحسين أقرب إلى النبي نسباً وحسباً؛ لأنه ابن بنت رسول الله، فكان حجر عثرة في ملكه.

وصدق الحسين حيث قال: (و الله لتعتدنَّ عليّ كما اعتدت اليهود في السبت)، مُشيراً إلى الصلة بين السياسة الجديدة السائرة على خطى أعداء الإسلام في نظام الحكم وقراراته، فقد استشار يزيد سرجون مولى معاوية وهو من موالي البيزنطيين الروم، ولم يستشر أحداً من المسلمين العرب من بلاد المسلمين. فقال سرجون: (أرأيت معاوية لو نشر لك، أكنت آخذاً برأيه؟ قال: نعم، فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة، فقال: هذا رأي معاوية، ومات وقد أمر بهذا الكتاب).^(١)

مما يكشف عن خطة واضحة مدروسة مسبقة للإعتداء على شخص الحسين بيد أجنبية ذات أصول رومية.

وصدق الحسين حيث قال: (... أما والله لو قد قتلتموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم).

فقد قام ابن زياد يطارد كل من لم يوافق على سياسته، فأول من قتل في الكوفة (من الأزد سبعمائة مقاتل) فأرسل إليه ابن زياد من أتى به (فقتله وأمر بصلبه في السبخة)،

(١) راجع نص الطبري في هذا الكتاب.

وكان ذلك بداية لسلسلة مستمرة من القتل والصلب.

و صدق الحسين حيث قال في آخر كلمة قبل أن يقتل: (وأيـم الله أني لأرجو أن يكرمـني الله بهوانكم، ثم ينتقم منكم من حيث لا تشعرون).

فهـي كلمة الـوائـق بـعدالة القضية ووضوح الرؤية، قالها كي تبقى حقيقة صارخة، فإن دم الشهادة كشفت زيف الدعايات الباطلة وأظهرت الحقائق للمجتمع الإسلامي، ولم يلبث حكم الظلم يتهاوى أمام الصحوة بعد الصحوة في مجلس ابن زياد في الكوفة، ومجلس يزيد في دمشق، ولم يبق للحاكم الظالم قائمة في الشرق حتى هرب المشاركون في قتل الحسين إلى الغرب.

وبكلمة: فإن حركة الحسين من المنطلق من المدينة، حتى الشهادة في كربلاء - لمن يدرسها بعمق - تمثل الثوابت الإسلامية الأصلية التي تعلمها الحسين في مدرسة جده رسول الله، وسار عليها في حياته بوضوح الرؤية في المسير والمصير والأهداف.

الملحق الاول

رواية الطبري:

وأما ابن الزبير فقال: الآن آتيكم. ثم أتى داره فكنن فيها، فبعث الوليد إليه فوجده مجتمعاً في أصحابه متحرّزاً، فألح عليه بكثرة الرسل والرجال، في إثر الرجال فأما حسين فقال: كفّ حتى تنظر ونظر وترى ونرى، وأما ابن الزبير فقال: لا تعجلوني؛ فاني آتيكم، أمهلوني، فألحوا عليهما عشيتهما تلك كلها وأول ليلهما، وكانوا على حسين أشد إبقاءً، وبعث الوليد إلى ابن الزبير موالى له فشتموه وصاحوا به: يا ابن الكاهلية، والله لتأتين الأمير أو ليقتلنك، فلبث بذلك نهاره كله وأول ليلة يقول: الآن أجىء، فإذا استحثوه قال: والله لقد استربت بكثرة الارسال، وتتابع هذه الرجال، فلا تعجلوني حتى أبعث إلى الأمير من يأتييني برأيه وأمره، فبعث إليه أخاه جعفر بن الزبير فقال: رحمك الله كفّ عن عبد الله، فانك قد أفرعته وذعرته بكثرة رسلك، وهو آتيك غداً إن شاء الله، فمر رسلك فليصرفوا عنا، فبعث إليهم فأنصرفوا. وخرج ابن الزبير من تحت الليل فأخذ طريق الفرع هو وأخوه جعفر، ليس معهما ثالث، وتجنب الطريق الاعظم مخافة الطلب، وتوجه نحو مكة، فلما أصبح بعث إليه الوليد فوجده قد خرج. فقال مروان: والله إن أخطأ مكة فسرح في أثره الرجال. فبعث راكبا من موالى بني أمية في ثمانين راكبا، فطلبوه فلم يقدروا عليه؛ فرجعوا. فتشاغلوا عن حسين بطلب عبد الله يومهم ذلك حتى أمسوا. ثم بعث الرجال إلى حسين عند المساء فقال: أصبحوا ثم ترون ونرى. فكفوا عنه تلك الليلة ولم يلحوا عليه.^(١)

الملحق الثاني

رواية الطبري: ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمر بن سعيد.
وفي هذه السنة عزل يزيد الوليد ابن عتبة عن المدينة عزله في شهر رمضان فأقر عليها عمرو بن سعيد الأشدق.

وفيهما قدم عمرو بن سعيد بن العاص المدينة في رمضان، فزعم الواقدي أن ابن عمر لم يكن بالمدينة حين ورد نعي معاوية وبيعة يزيد على الوليد، وأن ابن الزبير والحسين لما دعيا إلى البيعة ليزيد أبيا وخرجا من ليلتهما إلى مكة، فلقيهما ابن عباس وابن عمر جاء بين من مكة، فسألاهـما: ما وراءكما؟ قالـا: موت معاوية والبيعة ليزيد. فقال لهما ابن عمر: اتقيا الله ولا تفرقا جماعة المسلمين. وأما ابن عمر فقدم فأقام أياما، فانتظر حتى جاءت البيعة من البلدان، فتقدم إلى الوليد بن عتبة فبايعه وبايعه ابن عباس.

وفي هذه السنة وجّه عمرو بن سعيد عمرو بن الزبير إلى أخيه عبد الله ابن الزبير لحربه. ذكر الخبر عن ذلك: ذكر محمد بن عمر أن عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق قدم المدينة في رمضان سنة ستين فدخل عليه أهل المدينة، فدخلوا على رجل عظيم الكبر مفعّوه.

قال: محمد بن عمر حدثنا هشام بن سعد عن شيبه بن نصاب، قال: كانت الرسل تجري بين يزيد ابن معاوية وابن الزبير، في البيعة فحلف يزيد أن لا يقبل منه حتى يؤتي به في جامعة، وكان الحارث بن خالد المخزومي على الصلاة، فمنعه ابن الزبير، فلما منعه كتب يزيد إلى عمرو بن سعيد: أن ابعث جيشا إلى ابن الزبير، وكان عمرو بن سعيد لما قدم المدينة ولّى شرطته عمرو بن الزبير، لما كان يعلم ما بينه وبين عبد الله بن الزبير من البغضاء فأرسل إلى نفر من أهل المدينة فضربهم ضربا شديدا.

قال محمد بن عمر: حدثني شرحبيل بن أبي عون عن أبيه، قال: نظر إلى كل من كان

يهوى هوى ابن الزبير فضربه، وكان ممن ضرب المنذر بن الزبير، وابنه محمد بن المنذر، وعبد الرحمن بن الاسود بن عبد يغوث، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، وخبيب بن عبد الله بن الزبير، ومحمد بن عمار بن ياسر، فضربهم الاربعين إلى الخمسين إلى الستين، وفر منه عبد الرحمن بن عثمان وعبد الرحمن بن عمرو بن سهل في أناس إلى مكة، فقال عمرو بن سعيد لعمر بن الزبير: من رجلٌ نوجه إلى أخيك؟ قال: لا توجه إليه رجلاً أبداً، أنكأ له مني، فأخرج لأهل الديوان عشرات، وخرج من موالى أهل المدينة ناس كثير، وتوجه معه أنيس بن عمرو الاسلمي في سبعمئة، فوجه في مقدمته، فعسكر بالجرف، فجاء مروان بن الحكم إلى عمرو بن سعيد فقال: لا تغز مكة واتق الله ولا تحل حرمة البيت، واخلوا ابن الزبير فقد كبر، هذا له بضع وستون سنة، وهو رجل لجوج، والله لن لم تقتلوه ليموتن، فقال عمرو بن الزبير: والله لنقاتلنه ولنغزونه في جوف الكعبة على رغم أنف من رغم فقال مروان: والله إن ذلك ليسوءني، فسار أنيس بن عمرو الاسلمي حتى نزل بذي طوى، وسار عمرو بن الزبير حتى نزل بالابطح، فأرسل عمرو بن الزبير إلى أخيه: برّيمين الخليفة واجعل في عنقك جامعة من فضة لا ترى، لا يضرب الناس بعضهم بعضاً، واتق الله فإنك في بلد حرام

قال ابن الزبير: موعذك المسجد، فأرسل ابن الزبير عبد الله بن صفوان الجمحي إلى أنيس بن عمرو من قبل ذي طوى وكان قد ضوى إلى عبد الله بن صفوان قوم ممن نزل حول مكة، فقاتلوا أنيس بن عمرو، فهزم أنيس بن عمرو وأقبح هزيمة، وتعوق عن عمرو جماعة أصحابه فدخل دار علقمة فأتاه عبدة بن الزبير فأجاره، ثم جاء إلى عبد الله بن الزبير فقال: إني قد أجرته فقال: أتجير من حقوق الناس! هذا ما لا يصلح

قال محمد بن عمر: فحدثت هذا الحديث محمد بن عبيد بن عمير فقال: أخبرني عمرو بن دينار قال: كتب يزيد بن معاوية إلى عمرو بن سعيد: أن استعمل عمرو بن الزبير على جيش وابعثه إلى ابن الزبير وابعث معه أنيس بن عمرو، قال: فسار عمرو بن الزبير حتى نزل في داره عند الصفا، ونزل أنيس بن عمرو بذي طوى، فكان عمرو بن الزبير يصلي بالناس ويصلي خلفه عبد الله بن الزبير، فإذا انصرف شبك أصابعه، في أصابعه ولم يبق

أحد من قريش إلا أتى عمرو بن الزبير، وقعد عبد الله بن صفوان فقال: مالي لا أرى عبد الله بن صفوان! أما والله لئن سرت إليه ليعلمن أن بني جمح ومن ضوى إليه من غيرهم قليل، فبلغ عبد الله بن صفوان كلمته هذه. فحركته، فقال لعبد الله بن الزبير: إني أراك كأنك تريد البقيا على أخيك، فقال عبد الله: أنا أبقي عليه يا أبا صفوان! والله لو قدرت على عون الذر عليه لاستعنت بها عليه، فقال ابن صفوان: فأنا أكفيك أنيس بن عمرو، فاكفني أخاك. قال ابن الزبير: نعم، فسار عبد الله بن صفوان إلى أنيس بن عمرو وهو بذي طوى، فلاقاه في جمع كثير من أهل مكة وغيرهم من الاعوان، فهزم أنيس بن عمرو ومن معه، وقتلوا مدبرهم وأجهزوا على جريحهم، وسار مصعب بن عبد الرحمن إلى عمرو. وتفرق عنه أصحابه حتى تخلص إلى عمرو بن الزبير، فقال عبدة بن الزبير لعمرو: تعال أنا أجيرك، فجاء عبد الله بن الزبير، فقال: قد أجرت عمرا، فأجره لي، فأبى عبد الله أن يجيره، وضربه بكل من كان ضرب بالمدينة وحبسه بسجن عارم.

قال: الواقدي قد اختلفوا علينا في حديث عمرو بن الزبير وكتبت إلى كل ذلك. حدثني خالد بن إلياس عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم قال: لما قدم عمرو بن سعيد المدينة واليا قدم في ذي القعدة سنة ستين، فولى عمرو بن الزبير شرطته وقال: قد أقسم أمير المؤمنين أن لا يقبل بيعة ابن الزبير إلا أن يؤتى به في جامعة، فليبري يمين أمير المؤمنين، فإني أجعل جامعة خفيفة من ورق أو ذهب ويلبس عليها برنسا ولا ترى إلا أن يسمع صوتها، وقال:

خذا فليست للعزیز بخطّة
وفيها مقال لامرئٍ متدلّل
أعامر إن القوم ساموك خطّة
ومالك في الجيران عدل معذل

قال محمد: وحدثني رياح بن مسلم عن أبيه قال: بعث إلى عبد الله بن الزبير عمرو بن سعيد، فقال له أبو شريح: لا تغز مكة، فإني سمعت رسول الله يقول: «إنما أذن الله لي في القتال بمكة ساعة من نهار، ثم عادت كحرمتها» فأبى عمرو أن يسمع، قوله: وقال: نحن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ، فبعث عمرو جيشا مع عمرو ومعه أنيس بن عمرو الاسلمي، وزيد غلام محمد بن عبد الله بن الحارث بن هشام - وكانوا نحو ألفين - فقاتلهم

٣٠٠ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

أهل مكة، فقتل أنيس بن عمرو والمهاجر مولى القلمس في ناس كثير، وهزم جيش عمرو فجاء عبيدة بن الزبير فقال ل أخيه عمرو: أنت في ذمتي وأنا لك جار، فانطلق به إلى عبد الله، فدخل على ابن الزبير، فقال: ما هذا الدم الذي في وجهك يا خبيث؟ فقال عمرو: ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدماء فحبسه وأخفر عبيدة، وقال: أمرتك أن تجير هذا الفاسق المستحل لحرمت الله؟ ثم أقاد عمرا من كل من ضربه إلا المنذر وابنه، فإنهما أبيا أن يستقيدا، ومات تحت السياط، قال: وإنما سمي سجن عارم لعبد كان يقال له: زيد عارم فسمي السجن به، وحبس ابن الزبير أخاه عمرا فيه، قال الواقدي: حدثنا عبد الله بن أبي يحيى عن أبيه قال: كان مع أنيس بن عمرو ألفان.^(١)

الملحق الثالث

رواية الطبري:

رجع الحديث إلى حديث عمار الدهني عن أبي جعفر:

حدثني زكرياء بن يحيى الضرير، قال: حدثنا أحمد بن جناب المصيصي قال: حدثنا خالد بن يزيد بن عبد الله القسري قال: حدثنا عمار الدهني قال: قلت لأبي جعفر: حدثني عن مقتل الحسين حتى كأني حضرته، قال: فأقبل حسين بن عليّ بكتاب مسلم بن عقيل كان إليه، حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال لقيه الحر بن يزيد التميمي فقال له: أين تريد؟ قال: أريد هذا المصر، قال له: ارجع فإنني لم أدع لك خلفي خيراً أرجوه، فهم أن يرجع وكان معه إخوة مسلم بن عقيل فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب بئارنا أو نقتل، فقال: لا خير في الحياة بعدكم، فسار فلقيته أوائل خيل عبيد الله، فلما رأى ذلك عدل إلى كربلاء، فأسند ظهره إلى قصباء وخلاً كيلاً يقاتل إلا من وجه واحد، فنزل وضرب أبيته، وكان أصحابه خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل، وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولّاه عبيد الله بن زياد الرّيّ وعهد إليه عهده، فقال: اكفني هذا الرجل، قال: اعفني فأبي أن يعفيه قال: فأنظرني الليلة، فأخره فنظر في أمره، فلما أصبح غدا عليه راضياً بما أمر به، فتوجه إليه عمر بن سعد، فلما أتاه قال له الحسين: اختر واحدة من ثلاث: إما أن تدعوني فانصرف من حيث جئت، وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد، وإما أن تدعوني فألحق بالثغور. فقبل ذلك عمر، فكتب إليه عبيد الله: لا ولا كرامة حتى يضع يده في يدي، فقال له الحسين: لا والله لا يكون ذلك أبداً، فقاتله فقتل أصحاب الحسين كلهم وفيهم بضعة عشر شاباً من أهل بيته، وجاء سهم فأصاب ابناً له معه في حجره فجعل يمسح الدم عنه ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا، ثم أمر بحبرة فشققها، ثم لبسها وخرج بسيفه فقاتل حتى قتل صلوات الله عليه، قتله رجل من مذحج وحزّ رأسه، وانطلق به إلى

عبيد الله وقال:

أوقر ركابي فضة وذهباً فقد قتلت الملك المحجّباً

قتلت خير الناس أما وأباً وخيرهم إذ ينسبون نسباً

وأوفده إلى يزيد بن معاوية ومعه الرأس، فوضع رأسه بين يديه وعنده أبو برزة الأسلمي،

فجعل يـنـكـت بالقضيب عـلى فيه ويقول:

عـيـلـثـن وهـمـا كـمـلـنـون أعـجـقـال وأظـلـعـلـمـة

فقال له أبو برزة: ارفع قضيبك، فوالله لربما رأيت فارسل الله على فيه يلثمه،

وسرح عمر بن سعد بحرمة وعياله إلى عبيد الله، ولم يكن بقي من أهل بيت الحسين بن

علي عليه السلام إلا غلام كان مريضاً مع النساء، فأمر به عبيد الله ليقتل، فطرح زينب نفسها

عليه وقالت: والله لا يقتل حتى تقتلوني، فرّق لها، فتركه وكف عنه، قال: فجهّزهم

وحملهم إلى يزيد، فلما قدموا عليه جمع من كان بحضرته من أهل الشام، ثم أدخلوهم

فهتئوه بالفتح، قال: رجل منهم أزرق أحمر، ونظر إلى وصيفة من بناتهم فقال: يا أمير

المؤمنين هب لي هذه! فقالت زينب: لا والله ولا كرامة لك ولا له، إلا أن يخرج من دين

الله، قال: فأعادها الأزرق، فقال له يزيد: كف عن هذا. ثم أدخلهم على عياله فجهّزهم

وحملهم إلى المدينة، فلما دخلوها خرجت امرأة من بني عبد المطلب ناشرة شعرها

واضعة كعها على رأسها تلقاهم وهي تبكي، وتقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم

بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

حدثني الحسين بن نصر قال: حدثنا أبو ربيعة قال: حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد

الرحمن قال: بلغنا أن الحسين عليه السلام.

وحدثنا محمد بن عمار الرازي قال: حدثنا سعيد بن سليمان قال: حدثنا عباد بن

العوام قال: حدثنا حصين أن الحسين بن علي عليه السلام كتب إليه أهل الكوفة: انه معك مائة

ألف، فبعث إليهم مسلم بن عقيل، فقدم الكوفة فنزل دار هاني بن عروة، فاجتمع إليه

الناس، فأخبر ابن زياد بذلك. زاد الحسين بن نصر في حديثه: فأرسل إلى هاني فاتاه فقال: ألم أوقرك! ألم أكرمك! ألم أفعل بك؟ قال: بلى، قال: فما جزاء ذلك؟ قال: جزاؤه أن أمنعك، قال: تمنعني؟ قال: فأخذ قضيباً مكانه فضربه به، وأمر فكتف ثم ضرب عنقه، فبلغ ذلك مسلم ابن عقيل فخرج ومعه ناس كثير، فبلغ ابن زياد ذلك، فأمر بباب القصر فأغلق، وأمر منادياً فنادى: يا خيل الله اركبي، فلا أحد يجيبه، فظن أنه في ملاٍ من الناس، قال حصين: فحدثني هلال بن يساف قال: لقيتهم تلك الليلة في الطريق عند مسجد الانصار، فلم يكونوا يمشون في طريق يميننا ولا شمالاً إلا وذهبت منهم طائفة: الثلاثون والاربعون ونحو ذلك، قال: فلما بلغ السوق وهي ليلة مظلمة، ودخلوا المسجد قيل لابن زياد: والله ما نرى كثير أحد، ولا نسمع أصوات كثير أحد، فأمر بسقف المسجد فقلع، ثم أمر بحرادي فيها النيران فجعلوا ينظرون فإذا قريب خمسين رجلاً، قال: فنزل فصعد المنبر، وقال للناس: تميزوا أرباعاً أرباعاً، فانطلق كل قوم إلى رأس ربهم، فنهض إليهم قوم يقاتلونهم، فخرج مسلم جراحة ثقيلة وقتل ناس من أصحابه وانهزموا، فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة، فجاء رجل إلى محمد بن الاشعث وهو جالس إلى ابن زياد فسأره، فقال له: إن مسلماً في دار فلان، فقال ابن زياد: ما قال لك؟ قال: قال: إن مسلماً في دار فلان، قال ابن زياد لرجلين: انطلقا فأتياني به، فدخلا عليه وهو عند امرأة قد أوقدت له النار فهو يغسل عنه الدماء، فقالا له: انطلق الأمير يدعوك، فقال: اعقدا لي عقداً، فقالا: ما نملك ذاك، فانطلق معهما حتى أتاه فأمر به فكتف، ثم قال: هيه هيه يا ابن خلية - قال الحسين في حديثه: يا ابن كذا - جئت لتتزع سلطاني؟ ثم أمر به فضربت عنقه.

قال حصين: فحدثني هلال بن يساف أن ابن زياد أمر بأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة، فلا يدعون أحداً يلج ولا أحداً يخرج، فأقبل الحسين ولا يشعر بشيء حتى لقي الاعراب فسألهم فقالوا: لا والله ما ندري، غير أننا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج، قال: فانطلق يسير نحو طريق الشام نحو يزيد، فلقيته الخيول بكرباء فنزل يناشدهم الله والاسلام، قال: وكان بعث إليه عمر بن سعد وشمير بن ذي الجوشن وحصين بن نمير، فناشدهم الحسين الله والاسلام أن يسيروه إلى أمير المؤمنين فيضع يده في يده،

فقالوا: لا إلا على حكم ابن زياد، وكان فيمن بعث إليه الحر بن يزيد الحنظلي ثم النهشلي على خيل، فلما سمع ما يقول الحسين قال لهم: ألا تقبلون من هؤلاء ما يعرضون عليكم، والله لو سألكم هذا الترك والديلم ما حلّ لكم أن تردّوه، فأبوا إلا على حكم ابن زياد، فصرف الحرّ وجه فرسه وانطلق إلى الحسين وأصحابه، فظنوا أنه إنما جاء ليقاتلهم، فلما دنا منهم قلب ترسه وسلّم عليهم ثم كرّ على أصحاب ابن زياد فقاتلهم، فقتل منهم رجلين، ثم قتل رحمة الله عليه. وذكر أن زهير بن القين البجلي لقي الحسين وكان حاجا، فأقبل معه وخرج إليه ابن أبي بحرية المرادي ورجلان آخران، وعمرو بن الحجاج ومعن السلمي، قال الحصين: وقد رأيتهما.

قال الحصين: وحدثني سعد بن عبيدة قال: إن أشياخا من أهل الكوفة لوقوف على التلّ يبكون ويقولون: اللهم أنزل نصرك، قال: قلت: يا أعداء الله ألا تنزلون فتصرونه، قال: فأقبل الحسين يكلم من بعث إليه ابن زياد قال: وإني لانظر إليه وعليه جبة من برود، فلما كلّمهم انصرف، فرماه رجل من بني تميم يقال له: عمر الطهوي بسهم، فأني لانظر إلى السهم بين كتفيه متعلقا في جيبته، فلما أبوا عليه رجع إلى مصافه وإني لانظر إليهم، وانهم لقريب من مائة رجل، فهم لصلب عليّ بن أبي طالب عليه السلام خمسة، ومن بني هاشم ستة عشر، ورجل من بني سليم حليف لهم، ورجل من بني كنانة حليف لهم، وابن عمر بن زياد. قال: وحدثني سعد بن عبيدة قال: إنا لمستنقعون في الماء مع عمر بن سعد، إذ أتاه رجل فسارّه وقال له: قد بعث إليك ابن زياد جويرية بن بدر التميمي وأمره إن لم تقاتل القوم أن يضرب عنقك، قال: فوثب إلى فرسه فركبه، ثم دعا سلاحه فلبسه وانه على فرسه فنهض بالناس إليهم، فقاتلوهم، فجئ برأس الحسين إلى ابن زياد فوضع بين يديه، فجعل يقول بقضيبه ويقول: ان أبا عبد الله قد كان شمط، قال: وجئ بنسائه وبناته وأهله، وكان أحسن شيء صنعه أن أمر لهم بمنزل في مكان معتزل وأجرى عليهم رزقا، وأمر لهم بنفقة وكسوة، قال: فانطلق غلامان منهم لعبد الله بن جعفر، أو ابن ابن جعفر فأتيا رجلا من طيّ، فلجئا إليه، فضرب أعناقهما وجاء برؤوسهما حتى وضعهما بين يدي ابن زياد، قال: فهم بضرب عنقه وأمر بداره فهدمت، قال: وحدثني مولى لمعاوية بن أبي سفيان قال: لما أتي

يزيد برأس الحسين فوضع بين يديه، قال: رأيته يبكي، وقال: لو كان بينه وبينه رحم ما فعل هذا، قال حصين: فلما قتل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثة كأنما تلتطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع، قال: وحدثني العلاء بن أبي عاثة قال: حدثني رأس الجالوت عن أبيه قال: ما مررت بكربلاء إلا وأنا أركض دابتي حتى أخلف المكان، قال: قلت لم؟ قال: كنا نتحدث أن ولد نبي مقتول في ذلك المكان، قال: وكنت أخاف أن أكون أنا، فلما قتل الحسين قلنا: هذا الذي نتحدث، قال: وكنت بعد ذلك إذا مررت بذلك المكان أسير ولا أركض.

حدثني الحارث قال: حدثنا ابن سعد قال: حدثني علي بن محمد عن جعفر بن سليمان الضبعي قال: قال الحسين: والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقمة من جوفي، فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرم الامة.

فقدم العراق فقتل بنيوى، يوم عاشوراء سنة احدى وستين، قال الحارث: قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر قال: قتل الحسين بن عليّ عليه السلام في صفر سنة احدى وستين وهو يومئذ ابن خمس وخمسين.

حدثني بذلك أفلح بن سعيد عن ابن كعب القرظي، قال الحارث: حدثنا ابن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر عن أبي معشر قال: قتل الحسين لعشر خلون من المحرم قال: الواقدي هذا أثبت.

قال الحارث: قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا عطاء بن مسلم عن ابن جابر عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال: أول رأس رفع على خشبة رأس الحسين رضي الله عن الحسين وصلى الله على روحه.

قال أبو مخنف: عن هشام بن الوليد عن شهد ذلك قال: أقبل الحسين بن عليّ بأهله من مكة ومحمد بن الحنفية بالمدينة قال: فبلغه خبره وهو يتوضأ في طست قال: فبكي حتى سمعت وكف دموعه في الطست.^(١)

الخاتمة

حادثة كربلاء بالارقام

حسب ما أجمعت عليه الروايات التاريخية المعنية بحادثة كربلاء

- انَّ الفترة الزمنية لثورة الحسين منذ إعلانها الى شهادة الامام كانت ١٧٥ يوماً :
- ١٢ يوماً في المدينة، واربعة أشهر و ١٠ ايام في مكة،.
- منها: ٢٣ يوماً في الطريق من مكة الى كربلاء، و ٨ ايام في كربلاء.
- انَّ رسائل الدعوة التي وجَّهت إلى الامام الحسين كانت ١٢ الف رسالة.
- انَّ المبايعون مع سفير الامام مسلم بن عقيل في الكوفة كانوا ما بين ١٨ الف و ٤٠ الف شخص.
- انَّ حضر في كربلاء من المقاتلين من اهل الكوفة ٣٣ ألف شخص.
- انَّ شهداء كربلاء من اولاد ابي طالب عليه السلام بلغوا ٣٣ شهيداً، وهم:
- ١- الحسين بن علي، ٣ من اولاد الامام الحسين، ٩ من اولاد الامام علي، ٤ من اولاد الامام الحسن، ١٢ من اولاد عقيل، ٤ من اولاد جعفر بن ابي طالب.
- انَّ مجموع شهداء كربلاء من انصار الامام (ع) كانوا ١٣٨ شخصاً.
- انَّ مجموع الرؤوس التي قطعت وارسلت الى الكوفة كانت ٧٨ رأساً.
- انَّ القبائل التي حملت الرؤوس هي:
- ١- كندة ١٣ رأساً بقيادة قيس بن الاشعث .
- ٢- هوازن ١٢ رأساً بقيادة شمر بن ذي الجوشن.
- ٣- بني اسد ١٦ رأساً.

٤- ولمذبح ٦ رؤوس.

٥- وللقبائل الاخرى ١٣ رأساً.

○ كان في جسد الحسين ٣٣ إصابة بالرمح، و ٣٤ ضربة بالسيف، ماعدا اصابات السهام التي لم تحصر في عدد خاص.

○ انّ الخيول التي داست صدر الحسين وظهره كانت عشرة.

○ لقد نعى الامام الحسين عشرة من أصحابه الكرام، وهم: ابو الفضل العباس، علي الاكبر، القاسم، عبد الله بن الحسن، عبد الله الرضيع، مسلم بن عوسجة، حبيب بن مظهر، الحر الرياحي، زهير بن القين، جون مولى الامام (ع).

○ حضر الحسين على جسد سبعة شهداء، هم: مسلم بن عوسجة، الحر، واضح الرومي، جون مولى الامام، ابو الفضل العباس، علي الاكبر، القاسم بن الحسن.

○ انّ جيش يزيد رمى برأس ثلاثة شهداء نحو معسكر الامام، وهم: عبد الله بن عمير الكلبي، عمرو بن جنادة، وعابس بن أبي شبيب الشاكري.

○ في كربلاء قطعت أجساد ثلاثة شهداء إرباً إرباً، هم: أبي الفضل العباس، علي الاكبر وعبد الرحمن بن عمير.

○ في كربلاء قتل خمسة اطفال لم يبلغوا الحلم، وهم: علي الأصغر (عبد الله الرضيع)، عبد الله بن الحسن، محمد بن ابي سعيد بن عقيل، القاسم بن الحسن، عمرو بن جنادة الانصاري.

○ كان في اصحاب الامام الحسين ممن شهدوا رسول الله وسمعوا حديثه خمسة، هم: انس بن حارث الكاهلي، حبيب بن مظهر، مسلم بن عوسجة، هاني بن عروة، عبد الله بن يقطر العميري.

○ قتل من أصحاب الحسين اربعة بعد مقتل الامام الحسين، وهم: سعد بن الحرث، ابو الحتوف، سويد بن ابي مطاع، محمد بن ابي سعيد بن عقيل.

○ قتل في كربلاء من أصحاب الامام الحسين امرأة واحدة، هي ام وهب (زوجة عبد الله بن عمير الكلبي).

○ انّ النساء اللاتي حضرن كربلاء هن:

زينب، ام كلثوم، فاطمة، صفية، رقية، وام هاني من بنات امير المؤمنين (ع).
وفاطمة وسكينة من بنات الامام الحسين.
ورباب، وعاتكة، وام المحسن بن الحسن، وبنت مسلم بن عقيل، وفضة النوبية
(خادمة فاطمة الزهراء)، وام وهب بن عبدالله.

أهم المصادر

- ١ - البداية والنهاية؛ لابي الفداء اسماعيل بن كثير (ت / ٧٧٤)، ط / بيروت ١٤١١.
- ٢ - تاريخ الطبري؛ لابي جعفر الطبري (ت / ٣١٠)، ط / دار المعارف - مصر.
- ٤ - تاريخ مدينة دمشق؛ لابن عساكر (ت / ٥٧٣)، مخطوطة دار الكتب الظاهرية، دمشق.
- ٥ - تحف العقول؛ لابن شعبة الحراني (/ ٢٣٦ ح)، ط / سنة ١٣٨٥.
- ٦ - الدر المنثور؛ لجلال الدين السيوطي (ت / ٩١١)، ط / بيروت د.ت.
- ٧ - السيرة النبوية؛ لعبد الملك بن هشام (ت / ٢١٨)، ط / بيروت د.ت.
- ٨ - السيرة الحلبية؛ لبرهان الدين الحلبي (ت / ١٠٤٤)، ط / بيروت ١٢٩٢.
- ٩ - السير والمغازي؛ لمحمد بن اسحاق (ت / ١٥١)، ط / بيروت ١٣٩٨.
- ١٠ - صحيح البخاري؛ لمحمد بن اسماعيل البخاري (ت / ٢٥٦)، ط / بيروت ١٣٣٤.
- ١١ - صحيح مسلم؛ لمسلم النيسابوري (ت / ٢٦١)، ط / بيروت ١٣٧٥.
- ١٢ - الطبقات الكبرى؛ لمحمد بن سعد (ت / ٢٣٠)، ط / بيروت ١٣٧٧.
- ١٤ - الكامل في التاريخ؛ لمحمد بن محمد الاثير (ت / ٦٣٠)، ط / بيروت ١٤٠٧.
- ١٥ - معجم البلدان؛ لياقوت الحموي (ت / ٦٢٦)، ط / بيروت ١٣٩٧.

الفهرس

٩	المقدمة
١٢	المعارضة للاستبداد

الفصل الاول: المنطلق

١٥	خلافة يزيد بن معاوية
١٧	موارد الاعتبار:
١٩	المقاطعة
٢٠	موارد الاعتبار:
٢٣	دعوة اهل الكوفة
٢٥	موارد الاعتبار:
٢٦	رسالة مفتوحة
٢٦	موارد الاعتبار:
٢٨	حقيقة الموقف
٢٩	موارد الاعتبار:

الفصل الثاني: سفير الحسين الى الكوفة

٣٣	المقاطعة
٣٧	موارد الاعتبار:
٣٨	موقف يزيد
٤٠	موارد الاعتبار:
٤١	موقف ابن زياد

٣١٢ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

٤٢ موارد الاعتبار:

٤٣ ابن زياد في الكوفة

٤٦ موارد الاعتبار:

٤٧ خطة الاغتيال

٤٨ موارد الاعتبار:

٤٩ رفض الاغتيال

٥٠ موارد الاعتبار:

٥١ موقف هاني بن عروة

٥٤ موارد الاعتبار:

٥٦ موقف مسلم بن عقيل

٥٨ موارد الاعتبار:

٥٩ مع طوعة

٦٢ موارد الاعتبار:

٦٣ محاربة مسلم

٦٣ موارد الاعتبار:

٦٤ مع ابن الأشعث

٦٦ موارد الاعتبار:

٦٧ مقتل مسلم بن عقيل

٦٩ موارد الاعتبار:

٧٣ مقتل هاني بن عروة

٧٤ موارد الاعتبار:

٧٥ تصفية المعارضة

٧٦ موارد الاعتبار:

٧٧ خطة مدروسة

٧٨ موارد الاعتبار:

٨٠ نصائح المعارضة

٣١٣	الفصل الثالث: مسير كربلاء - مَكَّة
٨٢	موارد الاعتبار:

الفصل الثالث: مسير كربلاء - مَكَّة

٨٧	كربلاء (العراق)
٨٩	خروج الحسين من مَكَّة
٩٠	موارد الاعتبار:
٩٢	التنعيم
٩٢	موارد الاعتبار:
٩٤	الصفاح
٩٥	موارد الاعتبار:
٩٧	ذات عِرق
٩٨	موارد الاعتبار:
١٠٠	الحاجر
١٠١	موارد الاعتبار:
١٠٣	زروود
١٠٤	موارد الاعتبار:
١٠٦	الثعلبية
١٠٧	موارد الاعتبار:
١٠٨	زبالة
١٠٩	موارد الاعتبار:
١١١	بطن عقبة
١١٢	موارد الاعتبار:
١١٣	شراف
١١٣	موارد الاعتبار:
١١٥	ذو حسم
١١٦	موارد الاعتبار:

٣١٤ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

١١٦ مواجهة الجيش

١١٨ موارد الاعتبار:

١٢٢ البيضة

١٢٣ موارد الاعتبار:

١٢٥ عذيب الهجانات

١٢٧ موارد الاعتبار:

١٢٩ قصر بني مقاتل

١٣١ موارد الاعتبار:

١٣٢ نينوى

١٣٣ موارد الاعتبار:

١٣٥ صحراء كربلاء

١٣٦ موارد الاعتبار:

١٣٧ رسالة ابن سعد

١٣٨ موارد الاعتبار:

١٣٩ كتاب ابن زياد

١٤٠ موارد الاعتبار:

١٤١ حصار الماء

١٤٢ موارد الاعتبار:

١٤٣ مفاوضات

١٤٤ موارد الاعتبار:

١٤٦ فشل المفاوضات

١٤٦ موارد الاعتبار:

١٤٨ اعلان الحرب

١٤٩ موارد الاعتبار:

١٥١ تاسوعاء

١٥٣ موارد الاعتبار:

٣١٥	الفصل الرابع: عاشوراء
١٥٥	ليلة العاشر
١٥٥	موارد الاعتبار:
١٥٦	موقف الاصحاب
١٥٨	موارد الاعتبار:
١٥٨	موقف الأسرة
١٦٠	موارد الاعتبار:

الفصل الرابع: عاشوراء

١٦٥	مصرع الحسين في كربلاء
١٦٦	موارد الاعتبار:
١٦٨	استفزاز
١٦٩	موارد الاعتبار:
١٦٩	خطبة الحسين
١٧١	موارد الاعتبار:
١٧٤	خطبة زهير
١٧٥	موارد الاعتبار:
١٧٦	توبة الحرّ
١٧٨	موارد الاعتبار:
١٧٩	بدء الحرب
١٨٠	موارد الاعتبار:
١٨٠	مبارزة الكلبي
١٨٢	موارد الاعتبار:
١٨٣	دعوة مستجابة
١٨٤	موارد الاعتبار:
١٨٤	مبارزة برير
١٨٦	موارد الاعتبار:

٣١٦ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

١٨٧ مبارزة الانصاريّ

١٨٧ موارد الاعتبار:

١٨٨ مبارزة الحرّ

١٨٩ موارد الاعتبار:

١٨٩ مبارزة نافع

١٩٠ موارد الاعتبار:

١٩٠ الحملة الجماعيّة

١٩٢ موارد الاعتبار:

١٩٣ عقر خيل الحسين

١٩٤ موارد الاعتبار:

١٩٥ حرق خيام الحسين

١٩٦ الحنفي

١٩٦ زهير بن القين

١٩٧ موارد الاعتبار:

١٩٧ نافع الجملي

١٩٨ استدعاء لاداء الصلاة

١٩٨ موارد الاعتبار:

٢٠٠ أصحاب الحسين

٢٠٠ حبيب بن مظاهر الأسدي

٢٠١ موارد الاعتبار:

٢٠٢ الحرّ الرياحي

٢٠٣ موارد الاعتبار:

٢٠٣ الحنفي

٢٠٤ موارد الاعتبار:

٢٠٥ نافع الجملي

٢٠٥ موارد الاعتبار:

٣١٧	الفصل الرابع: عاشوراء
٢٠٦	الغفاريان
٢٠٧	الجابريان
٢٠٧	الشَّبابي
٢٠٨	موارد الاعتبار:
٢٠٨	الشاكري و شوذب
٢٠٩	موارد الاعتبار:
٢١٠	الضحَّاك الناجي
٢١١	موارد الاعتبار:
٢١٣	أبو الشعثاء ويزيد بن زياد
٢١٣	قتل جماعي
٢١٤	سويد
٢١٥	أسرة الحسين
٢١٥	علي الأكبر
٢١٦	موارد الاعتبار:
٢١٧	بنو عقيل و جعفر
٢١٧	موارد الاعتبار:
٢١٨	القاسم بن الحسن
٢١٩	موارد الاعتبار:
٢٢٠	عبد الله بن الحسين
٢٢٠	موارد الاعتبار:
٢٢١	أبوبكر بن الحسين
٢٢١	موارد الاعتبار:
٢٢١	إخوة العباس
٢٢٢	موارد الاعتبار:
٢٢٢	غلام من آل الحسين
٢٢٣	موارد الاعتبار:

٣١٨ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

٢٢٤ الحسين وحيداً

٢٢٤ عطش الحسين

٢٢٥ موارد الاعتبار:

٢٢٥ الهجوم على الحرم

٢٢٦ موارد الاعتبار:

٢٢٧ تطويق الحسين

٢٢٩ موارد الاعتبار:

٢٣٠ قبل أن يقتل

٢٣١ موارد الاعتبار:

٢٣١ الاعتداء على الحسين

٢٣٢ موارد الاعتبار:

٢٣٢ قتل الحسين

٢٣٣ موارد الاعتبار:

٢٣٤ سلب الحسين

٢٣٤ موارد الاعتبار:

٢٣٥ نهب متاع الحسين

٢٣٥ موارد الاعتبار:

٢٣٦ آخر قتيل

٢٣٦ موارد الاعتبار:

٢٣٦ على الأصغر

٢٣٧ موارد الاعتبار:

٢٣٨ رأس الحسين

٢٣٨ موارد الاعتبار:

٢٣٩ ناجيان

٢٤٠ موارد الاعتبار:

٢٤٠ وطء صدر الحسين وظهره

٣١٩	الفصل الخامس: اسارى أهل البيت
٢٤٠	موارد الاعتبار:
٢٤١	دفن الحسين وأصحابه
٢٤١	موارد الاعتبار:
٢٤٢	الرأس في أجانة
٢٤٣	موارد الاعتبار:

الفصل الخامس: اسارى أهل البيت

٢٤٥	الكوفة - الشام
٢٤٧	سبايا اهل البيت
٢٤٧	موارد الاعتبار:
٢٤٩	رؤوس الشهداء
٢٤٩	موارد الاعتبار:
٢٥١	ابن زياد و زينب
٢٥١	موارد الاعتبار:
٢٥٣	ابن زياد وعلي بن الحسين
٢٥٤	موارد الاعتبار:
٢٥٦	ابن زياد يخطب
٢٥٧	موارد الاعتبار:
٢٥٨	السبايا في الكوفة
٢٥٩	موارد الاعتبار:
٢٥٩	علي بن الحسين في الغل
٢٦٠	موارد الاعتبار:
٢٦١	الاسارى في الشام
٢٦٢	موارد الاعتبار:
٢٦٤	رأس الحسين في الشام
٢٦٧	موارد الاعتبار:

٣٢٠ موارد الاعتبار / ج ٧ (في مقتل الامام الحسين عليه السلام)

- ٢٧٠ يزيد وعلي بن الحسين
٢٧٠ موارد الاعتبار:
٢٧٣ يزيد وزينب
٢٧٣ موارد الاعتبار:
٢٧٤ الحكم القبلي
٢٧٥ اطلاق سراح الأسرى
٢٧٦ موارد الاعتبار:
٢٧٨ النداء في المدينة
٢٧٩ موارد الاعتبار:
٢٨١ اسماء شهداء كربلاء
٢٨٣ موارد الاعتبار:
٢٨٩ مطاردة المعارضة
٢٩٠ موارد الاعتبار:
٢٩٢ وصدق الحسين

الملاحق

- ٢٩٥ الملحق الاول
٢٩٧ الملحق الثاني
٣٠١ الملحق الثالث
٣٠٦ الخاتمة
٣٠٦ حادثة كربلاء بالارقام
٣٠٩ الفهرس





The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0398